الجمهورية العراقية
وزارة الأعلام
بغداد

وراء الأفق الأدبي

مقالات

الدكتور
علي جواد الطاهر





منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية

١٩٧٧

سلسلة دراسات
(١٢٥)

الدكتور علي جواد الطاهر

وراء الأفق الأدبي

مقالات

المقدمـة

(١)

افتتحت جريدة الجمهورية صفحة يومية سمتها « آفـاق » تميزت ، واجتذبت كثيراً من القراء حتى لكأنها جريدة داخل جريدة .

دعيت الى الاسهام في هذه الصفحة ، ففكرت ثم أقدمت آملا ان يفتح لي باب خاص « بشؤون من النقد الأدبي » تنشر لي فيه اسبوعيا كلمـة تطمح أن يكون لها ما يمكن من مقومات المقالة الأدبية ، وان كنت أسميها لدى الحديث عنها : خاطرة ، عطفاً على تجربة لي سابقة في مجلة « المعـلم الجديد » بدأت سنة ١٩٥٨ .

اعتذرت الصفحة عن فتح الباب ورحبت بالنشـــر تحت باب دائمي لديها اسمه : « ما وراء الأفق » ينسجم ومضمون الطلب . وجرى ما يشبه الاتفاق على أن يكون « الخميس » اليوم المناسب للنشر .. ما لم يدع داع الى التقديم قليلا أو التأخير قليلا ..

ونشرت الكلمة الأولى بتاريخ ١٦-٢-١٩٧٢ .

وسار الأمر وأنا أتلقط القضية من قضايا النقـــد الأدبي التي تصلح للصفحة ونسط عرضها .. وقد يجر الموضوع الى نظيره .

واذ اقترب حزيران كتبت « ٥ حزيران » ، واذ عرضت مسرحيـــة « الطوفان » كتبت « شاهدت الطوفان » الا" ان الكلمتين لم تجدا مجالهما الى النشر بسبب يرجع الى انصراف الجريدة الى قضايا النفط والتأميم ..

(٢)

وتلقيت من « إذاعة صوت الجماهير » دعوة للاسهام في برامجها للدورة الجديدة التي تبدأ في ١-١٢-١٩٧١ : « ... وأملنا وطيد في أن تتمكنوا

في كتابة أحاديث في النقد الأدبي لا تزيد مدة اذاعة الواحد منها على (١٥) دقيقة لنتولى اذاعتها ضمن برامجنا الأدبية ••• »

ففكرت ثم أجبت راجياً أن يكون الحديث شهريا (لا اسبوعياً) ، في السبت الأول من كل شهر ، واقترحت أن تكون السلسلة بعنوان « على هامش النقد الأدبي » ولم يكن ما يدور في خلدي يختلف عن مقتضى « ما وراء الأفق » الا في الطول •

واذيع الحديث الاول في أول سبت من ٢-١٩٧٢ •

(٣)

توقفت عن الاذاعة بعد الحديث السادس • وتوقفت - مؤقتا - عن الكتابة للجريدة بعد الكلمة الخامسة عشرة ••• وكان السبب المباشر لهذا التوقف رغبة « الصحيفة » في أن تكون « الكلمات » أكثر تنوعا وأعم نظرة ، وكانت الرغبة تصدر عن مصلحة صحفية ، أما الكاتب فليس ملزما • وهنا توقف قليلا يسترجع الحال وكتب لنفسه كلمة بعنوان « هذه الكلمات » جاء فيها انه « يعتز بهذه الكلمات كثيراً ، واعتزازه بالشكل يفوق اعتزازه بالمضمون • انه لا يكتب ليعلم ولا ليوصل مادة من مواد المعرفة المقرة ولا ليقوم بعملية من عمليات النقد الأدبي ، وكأنه يشعر أن لهذه الامور أماكن أخرى ••• » ، والاعتزاز بالشكل يعني - عنده - العناية الخاصة بالادارة الفنية والسعي الحثيث الى عنصر الطراوة •

واستوجت الحال شيئا من الاستجمام يرى الكاتب فيه المدى الذي يستطيع أن يصل اليه والمادة التي يمكن أن يتناولها دون أن يجور على مخططه • وهكذا كان • ونشرت الكلمة المستأنفة الأولى في « آفاق » ٣٠-١١-١٩٧٢ ، حتى اذا اقترب « حزيران » جديد تذكر الكاتب كلمته المؤجلة فبحث عنها فلم يجدها فانطلق يعيد بناءها من فكرة أساسية بقيت في النفس •

وتوقف الاستئناف بالكلمة المؤرخة في ١٢-٧-١٩٧٣ لأن الكاتب بدأ

يحس بان عمله يقرب أن يستحيل « واجبا » وأنه اذا استمر فرض على قلمه من الموضوعات وساعات العمل مالا يطاوعه فيها وقد يوقعه ذلك في الجفاف ويجره الى خلاف قصده من التحرير •

أجل ، فقد كان وهو يعد هذه الكلمات يريد لمداها أن يكون أبعد من الخبر الصحفي الذي ينتهي بانتهاء اليوم الزمني الذي تصدر فيه الجريدة، ويريد لها ـ قدر المستطاع ـ أن تجمع الطرافة الى رصد الحاضر والاهتمام بالغد • لقد كان ـ بمعنى آخر ـ يخطط الى أن ينشرها لدى أول مناسبة في كتيب خاص •

ذلك رأيه ، وقد يكون على خطأ ، أو على مبالغة ، الا انه لم يكن ـ في جملة الحال ـ رأيه وحده ، فقد أبدى عدد لا بأس به من القراء ـ او السامعين ـ اهتمامهم ـ واعجابهم ـ وبينهم من اقترح الجمع والنشر • ولم يكن في لهجتهم ما يدعو الى سوء الظن •

(٤)

بقيت المجموعة بانتظار فرصة النشر ، واستأنف القلم ـ على أمل في الفرصة ـ شيئا من نشاطه ، ونشرت له « الجمهورية » مقالات لا تخرج عن الجو الصحفي ولكنها قد تتوحد في باب يبدو أقل طراوة وأكثر مادة • ويضم حينئذ ـ اضافة الى ذلك ـ مقالة نشرت في « الثورة » عن « القربان » ومقالتين نشرتا في «الرابطة» الأولى عن «المقالة» والثانية عن الجانب التطبيقي من حماسة الشبيبي •

(٥)

ويجري حديث في « آفاق » يؤدي الى سؤال عن النقد الأدبي العربي الحديث ، ويأتي الجواب في ثلاث مقالات تنشرها « الجمهورية » •

ورأت هيئة جديدة لتحرير مجلة « البيان » ان توسع من دائرتها وتنوع في كتابها فتوجهت الى المؤلف بثلاثة اسئلة من قضايا النقد ، جاء جوابها في ثلاث مقالات •

ولم يكن صعبا ضم الثلاث الى الثلاث لتكون بابا من الكتاب •



الجائزة الأولى

انتهى آخر موعد للمشاركة في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها اذاعة صوت الجماهير • وبلغت القصص المقدمة للمسابقة ٣٢٥ • العدد ضخم ، ونحن ثلاثة ، ولابد من منهج ؛ واقتضى المنهج طرح احدى وثلثمائة بين رديئة جدا ورديئة •

ـ ترى لم تقدم هؤلاء ؟

ـ استسهالا للموقف وطمعا بالجائزة واهتبالا للفرصة ••

ـ ولم لم يتقدم الآخرون ؟

ـ ترفعا أو خوفا من السقوط •

وليس بين الـ ٢٤ ما يستحق الجائزة الاولى •• وكان نقاش بين أن تحجب الاولى وان تمنح لخير الموجود • ولو لم تكن اللجنة منسجمة غاية الانسجام لبلغ الدجل درجة غير محمودة ولجر الى حجب الثانية ، وربما الثالثة •

واذا اقترب الاتفاق على حجب الاولى لوح أحد الاعضاء باوراق سبق أن قرأها فنالت رضاه •

ـ اقرؤها •• فربما ••

واخذ كل من الاثنين الآخرين نسخة وشرع يقرأ •• جيدة ، تبشر بخير، يمكن أن تكون الاولى اذا استمرت حتى الاخير على هذا النهج وهذا النسج •• لقد حلت لنا اشكالا ، وسوغت الاعلان عن المسابقة ، وهيأت لادبنا قصة جديرة بالاعتبار • وما انتهينا من القراءة حتى كان كل شيء قد اطمأن ، وشرع الثلاثة يكتبون القرار عن رضى وارتياح وغبطة :

« عقدت اللجنة عدة اجتماعات ••• وقررت ان تمنـــح القصة التي عنوانها (الوصية) ورمز لصاحبها بالرقم السري ٢٣٠ •• الجائزة الاولى •• »

وعاد الثلاثة الى تعليقاتهم : لقد انقذت (الوصية) الموقف ، لقد انقذتنا •• انها جديدة وطريفة ونقية •• وراح احدهم يبحث عما تهدف اليــه هذه الصفحات الاربع من مغزى ، وعما يمكن ان يكون وراء بنائها من رمز •• وكاد أن يبلغ درجة الالحاح ••

ـ لا موجب الى هذا الالحاح ، انها جيدة وكفى !

ـ يهمني أن أعرف الرمز •

ـ انها جيدة من غير هذه المعرفة •• ويندر ان يكتب في العراق مثلها • واشك بأن يكون صاحبها واحدا من هؤلاء القصاصين « المحترفين » من الذين أصدروا مجموعة او لم يصدروا •• انا ملمون بما كتبوا ، وليس في (الوصية) نفسهم في عبثهم وجدهم •• وما كادوا ان يبلغوا جدها •• وتماسكها منـــذ البداية حتى النهاية ، ان كل كلمة فيها تقود الى معنى من الصميم ، ولكل سطر مكانه الطبيعي الوطيد •• ولم تعــد ما في الجديد من نكهة يــدل بها الجديد في الايماء من وراء ضباب وشاعرية واسطورية واقعيـــة وفي فن الادارة الذي يبعدها عن المقالة وينزهها عن التسجيلية •

انها تمثل الحلقة المفقودة في التطور القصصي ، انها المرحلة التي كان على القصة العراقية ان تمر بها بعد الخمسينات •

ـ ترى من عساه ان يكون صاحب (الوصية) ؟

ـ سنرفع الارقام السرية ونرى :

ـ انا مطمئن انه ليس واحدا من هؤلاء الذين يحتلون ميدان القصة ذهابا وايابا ، وطردا وعكسا ، وتجربة وخطأ •• وادعاء ـ سوف نرى ••

ـ اني اتسنى على القاص رقم ٢٣٠ ، الذي ابدع (الوصية) اشياء ، منها ان يتلافى مسائل صغيرة في النحو والاملاء والا فتعبيراته سليمة ولغتــه أدبية ، ومنها الاستمرار على قراءة الروائع ولتكن احدى وسائله الى ذلك لغة اجنبية ، ومنها الاستمرار على الكتابة على النمط الذي طالعنا به ، لانه نمط عال ينبعث صادقا عن نفسه ، وعن موهبته • وعن مكونات شخصيته • لم يسع اليه سعيا ولم يتكلفه تكلفا ولم يقلد فيه غربا أو شرقا •

وافترقنا ••

ومر يوم ويومان وثلاثة •• واذ بالتلفزيون يعلن النتائج ، واذ بنا نعلم ان صاحب « الوصية » المرقم ٢٣٠ هو محمد سعدون السباهي •

اسم نسمع به لاول مرة •• ولا بأس ، فهكذا تبدأ الاشياء ، وقد ادينا ما علينا وبقي على السيد السباهي ان يؤدي ما عليه ، عليه التتمة وهي طويلة وصعبة تقتضي جدا وجهدا •

ان الجائزة تعني أمرين :

الاول : ٨٠ دينارا •

الثاني : قابليته على كتابة القصة •

وارجو الا يذهب بك الخيال بعيدا فيستحيل الفوز غرورا ، والغرور هبوطا • وكم قبلك من خيب ظننا وآل ماؤه سرابا ، وبرقه خلبا •

نرجو ان تكون عند حسن الظن . تهانينا ••

وانا لمنتظرون •

١٦-٢-١٩٧٢

مواهب صغيرة

ـ ماذا تقول في شاعر يقول الشعر ويجيد ، وتلوح عليه مخايل الابداع ، وينشر ديوانا حسنا .. ثم لا يستطيع ان يرتفع أكثر من ذلك مهما يواصل من نظم او نشر ، فيلجأ الى الافتعال ويقرن افتعاله بدعوى التجديد مستغلا كل الوسائل للاحتفاظ بلفظة الشاعر ولفظة الشاعرية .. ماذا تقول ؟

ـ اقول : موهبة صغيرة .

وليس هذا الشاب وحيدا في بابه ، فمثله العشرات ممن عاصره او سبقه أو لحقه .. انهم يتفاوتون في مدى الافتعال والادعاء والاستعداد . ولكنهم يتوقفون عن الابداع .. فماذا تقول ؟

ـ اقول : موهبة صغيرة .

لقد استنفدوا طاقتهم في القصائد الاولى ، ولكنهم يصرون على أن يبقوا شعراء كأنهم استطابوا اللفظة . وهم ـ في ذلك ـ يغالطون انفسهم ويغالطهم آخرون خوفا ، وطمعا او مجاملة .. او كرها .. اما المواهب نفسها فقد كانت صادقة اذ اعطت كل ما لديها وصرحت بما آلت اليه من مصير .

ولو لم تكن المواهب صغيرة لكان وراء الالحاح شيء ، ولكان بين العشر والعشرين من القصائد قصيدة : ولا يجدي الالحاح اذا لم يكن رصيد .

اننا نطالب المجد بالاستمرار بشرط وجود الرصيد الذي يمد كل جديد بإبداع ، اما اذا لم يكن وراء الاستمرار رصيد ، فالخير ـ له ولنا ـ في التوقف والانصراف الى عمل آخر .

ـ أما يمكن ان تكون للموهبة بقية لم تستثمر ؟

ممكن ، ولكنها بقية ليس غير ، وان بقاء صاحبها حيث هو لا ينفعها ،

وان تكرار التجربة لا يجديها • وربما يكون في سفر بعيد من مجتمع آخر ما يثير الكوامن ويشحذ الهمم •• وينفع شيئا ـ شيئا فقط ، وقد يدرك هناك حقيقة نفسه ، فينكفيء •

ـ دعوت الشعراء ذوي المواهب الصغيرة الى الانصراف الى عمل آخر ، ماذا يمكن ان يكون هذا العمل ؟

ـ قد يكون لهم في الحدادة نصيب ، وقد يكون لهم في النجارة نصيب •• اما من اجتاز منهم الى الادارة ومناضد المكاتب فقد يكونون اذكياء وقد يكونون على غير ذلك •• اذكياء لانهم عرفوا انفسهم وارادوا عيشا لا تنسخ فيه ايديهم وملابسهم ، وغير اذكياء لانهم حسبوا في المناضد ما يمكن ان يعوض عن النقص وان يغطى على الحقيقة وان يجتذب المادح والمطري •

انها قد تعوض ، ولكن على سبيل المخادعة فقط • فما هكذا فعل ـ ويفعل الشعراء الكبار في الشرق والغرب ، في القديم والحديث • انهم كبار لان مواهبهم كبيرة • وان هذه المواهب هي التي تفرض المكانة العالية والمنزلة المرموقة والذكر الذي لا ينزل من سموه حقد حاقد او جور جائر • وانهم يستمرون على النتاج لان مواهبهم الكبيرة تملي عليهم معاني الاستمرار وتسير بهم من بديع الى ابدع •

ـ اراك خصصت الشعراء دون سواهم ؟

ـ لان سؤالك كان عنهم •• والا فليس القصاصون باحسن حظا ، ولا كتاب المسرحية •••

ان المرء هنا يكتب القصة والقصتين ويصدر المجموعة والمجموعتين •• ويدل على مقدرة ، ولكنه لا يرتفع بعد ذلك • ولا بد من ان نحمد للذين توقفوا منهم •• اما الذين لا يريدون ان يعرفوا انفسهم فليعلموا انهم لايخدعون الا انفسهم ، ولا يجديهم المنطق الملتوي والطريق الاعوج •

انهم مواهب صغيرة قد استنزفت مادتها ، فليكفوا ، وفي ما قدموه

كفاية والناس ينتظرون الجديد والاحسن ويملون المستوى المنخفض ، ويزداد الملل على مر الزمن فيستحيل نكرانا واستنكارا •

لقد احسن من هؤلاء من غير مجرى نشاطه الى ما يمكن ان ينتفع به وينفع ، والا فهل كان لزاما على المرء ان يكون قصاصا ويبقى قصاصا ؟ أأبقى أمتص عقب السكارة ولم يبق منه تبغ وورق ؟! الارض واسعة •

اننا ـ ايها السادة والسيدات ـ في احسن احوالنا مواهب صغيرة تمر ببالها مطامح أمل المواهب الكبير • فما نكاد تتقدم حتى تتأخر ، كمن يعتزم قطع طريق طويل بسيارته ، فما يسير حتى يرى ان « البنزين » قد انتهى •• ولو كانت المواهبة كالبنزين لاشتريناها وواصلنا السير وقطعنا الطريق كله • ولكن الموهبة ليست كالبنزين لحسن الحظ •

ـ لحسن الحظ ••

١٩٧٢-٢-٢٤

الجواهري وحده ..!

الجواهري وحده شاعر الجماهير ، اي الشاعر الذي لـه الجمهور ، الشاعر الذي يرتفع اليه الجمهور وهو يعلو بفنه ، ولم تحدثه نفسه يوما ان يستهين بالفن العالي تملقا للعامة او للفكرة ، أو أن يلوث هذا الفن بخروجه عن طوره تكلفا للغموض وادعاء للتجديد . ولو حاول لما طاوعته نفسه . ولـم هذه المحاولة الرخيصة التي تأباها الموهبة الكبيرة . ان الموهبة اقوى من الاسباب الموجبة للتنازل .

وفنه من العلو كما تعلم ـ ويعلمون ـ لغة وخيالا وصورا واشياء أخرى تستعصي على التحديد ، وكم وكم بحثوا عن عيب فقالوا ، لغته جاهلية ، صوره معقدة ، الخاصة لا تفهمه فكيف العامة ؟

والقائلون هؤلاء اصناف لا يعلم عددها حتى الجواهري نفسه ، ومـا عهدي بالجواهري يأبه لاعدائه من شتى صنوفهم ، من يستحل دمه منهـم ومن يقض مضجعه الحقد عليه ومن تأخذه الراجفة اذا سمع اسمه او تخيل رسمه .. لغير سبب .. ولا تصدق عشرات الاسباب التي يقدمونهـا ، فما هم بمخلصين في واحد مما يعدون .. والا فالمسألة لا تحتمل التعدد .. انه شاعر ، وانهم لا يبلغون مداه ، وقد جهدوا فآدهم السعي ، وهم في الانحطاط عنه سواء : قريبهم وبعيدهم ، صديقهم وعدوهم ، جديدهم وقديمهم ..

انه شاعر ، وهو يعرف ذلك جيدا جدا ، وهذا سر ترفعه عما يضيع فيه الاخرون أوقاتهم ..

اما هم .. فيدل موقفهم على انهم ليسوا شعراء حتى فيما يرونـه لانفسهم من الشاعرية .

قالوا : ان لغته جاهلية وصوره معقدة ، الخاصة لا تفهمه فكيف العامة؟

كأنهم وجدوا بذلك عيبا كبيرا ، ولم يكونوا فيه باغبياء جدا ، لان كلامهم يرمي الى تجريد الجواهري من جماهيره ، واذا تحقق لهم ذلك ، فليذهب الرجل حيث يشاء ، وليكن من يكون .

وحجتهم صحيحة .. ولكنها تفقد قيمتها لدى التطبيق ، انها تنزل تحت الصفر اذ يعتلي الجواهري المنبر فيفهمه الحاضرون على اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافاتهم ، يفهمه المعقدون والبسطاء ، وربما كان البسطاء اليه اسرع .

الفهم الادبي أن تسمع – أو تقرأ – فتتأثر ، فتنسجم مع الشاعر انسجاما تاما وتستحيل وأياه واحدا .

الجواهري صعب ، وصعب جدا ، انا معك ، وقد يكون اصعب من الجاهلي والاموي والعباسي .. ولابد ان يكون اصعب .. ولكنه – مع ذلك – اسهل شاعر بدليل انسجام العامة واياه وتأثرهم بسعانيه واعجابهم بفنه – ولا غرو أن سمي (شاعر الرعاع) .

ولم ينفذ الجواهري الى العامة الا عن طريق واحد ، هو طريق الشعر العالي والفن الصعب ، والا فما رأيناه يستجدي المدح ، وما عهدناه يضيق بالنقد الشريف ، وما لحظنا انه يجمع حوله زمرة تدعو اليه فتدفع عنه وتهجم على غيره . ان تكون جماهيريا لا يعني ان تضحي بالفن ، ولا يعني الركة في اللغة والضحالة في الفكر ، ولا يعني التمسح بالشعارات فيكون الهتاف للشعارات او التشبث بالتمثيل فيكون التصفيق للتمثيل ، والانتماء لجهة فيكون الاعجاب بالانتماء ... ولا يعني كذلك ان تدعي فكرة الجماهير فاذا هي لعق على اللسان لا تورثك غير التعالي والاختيال والصعر .

ليس المهم ان تكون ذا جمهور فقط ، وانما المهم ان تكون ذا جمهور لانك شاعر فقط .

لقد التقى في الاعجاب بشعر الجواهري عدوه وصديقه ، اما اعجاب الصديق فيسهل فهمه ، ولكن العسر في اعجاب العدو ، فلابد من ان يكون

للشاعر سر غريب يأسر به ويستولي •• ويؤثر حتى في هذا المخلوق المصمم المستعصم •

والتقى المثقف وغير المثقف •• المثقف يدرك اجزاء من الابعاد ، وهذا ممكن ، ولكن لا بد من ان يكون للشاعر سحر عجيب يجتذب غير المثقف طواعية وعن رضى •

والتقى المختص وغير المختص •• اما المختص فأمره طبيعي ، واما غير المختص فلا بد من ان يكون أمره طبيعيا كذلك •

والتقى طالب الصورة المتشابكة المبدعة البعيدة الغور التي يصعب السيطرة على اجزائها وضم الكف على صميمها •• وطالب المعنى التعليمي الرخيص من حكمة وعبرة ومغزى •• وهذان على تباعد ما بين اطرافهما لا يفضلان على الجواهري غيره ممن يرون في انفسهم انهم احسن صورة أو أكثر « وطنية » او ممن يسقطون الى الدرك الاسفل من التقريرية والعامية •

ـ لماذا ؟

ـ •••

٢ـ٣ـ١٩٧٢

يوسف الصائغ ... حاله !

عرفته منذ عام ١٩٥٤ ، ولم يكن طالبا اعتياديا في دار المعلمين العالية ، فقد كان يشتمل على أديب ، ومن كان كذلك تمرد ، ومن تمرد فر خارج الدار ... واداه العناد الى ضرر ظاهري .

وتخرج ... وذاق حلو العيش .. ومره ، وكان راسب المرارة في القعر اضعاف الحلاوة على السطح .

ثم استأنف الحياة ، وطلع على الناس كما كان في حقيقته اديبا ، وكان هذا الاديب ينتظر تجربة قاسية تملأ على صاحبها الاقطار ، وتعيـــده الى الجـــد . .

كتب الخاطرة باناقة ولباقة بما يستهوي القاريء ويذكره ان الخاطـرة - المقالة فن فيه شعر وفيه قصص .

كتب فاعجب ، وخرجت الاناقة احيانا عن حدودها فوقعت في غموض صادر عن « الما حول » مرة وعن اللعب بالرزق مرة .

انه مقالي جيد ، ويمكن ان يكون اجود لو انصرف الى المقالة ، وسهر على تشذيبها ولم شتاتها قبل ان يرمي بها الى الجريدة او المجلة .

- فهل يستطيع ان يكون مقاليا ؟
- تبدو المسألة سهلة !

وكتب القصة وجود فيها ، وكانت « اللعبة » انموذجا لمقدرته ودليلا على ما يمكن ان يحقق .. لغة وشعرا وتأنقا ... جدا وهزلا ... ايجـــازا وتفصيلا .

ولا غرو ان قرئت « اللعبة » واعجب بها كثيرون ، ولا غرو ان نفســه عليها اخرون - ولا يمكن ان تصدر اللعبة الا عن قلم بعينه - .

كم يتمنى القاريء لو شفعها بأختها ، وتلافى ما يمكن ان يكون فاته ، ليتوطد الفن وتشتد به الصلة .

ـ فهل يستطيع ان يكون قصاصا ؟

ـ تبدو المسألة سهلة !

وكتب الشعر .. فانشد في مجالسه الخاصة « رياح بني مازن » :

« وكالذئب ذقت دمعي فاختنقت »

ثم نشرها في مجلة .. فكانت جديدة .

وانشد في مجالسه الخاصة « انتظريني عند تخوم البحر » :

« ... اخبز بالحقد لاهل الجنة أرغفة من الذهب » ٨١٢ >>

ثم نشرها مستقلة .. فكانت جديدة ..

وانشد في مجالسه الخاصة « اعترافات مالك بن الريب » :

« اشترطت موتا بلا ندم ... »

والقاها في المربد الاول فكانت من مباهج المهرجان ، وكانت جديدة .

وها انت ذا ازاء ديوان يضم الى القصائد الثلاث رابعة بعنوان « سفر الانشاد » :

« من يخلع لي ضروس العقل ... »

ويبقى الطريق متصلا ولا من جواب ، لانه غير جاد ، ولانه لا يتضرع الا حين يخلو الى نفسه فيرى « الوجه المعروق بلا عينين ولا شفتين » حتى اذا راه واختلجت نفسه قال : انه وجه هناء الشيباني ـ وما هو بصادق ، وما هو بجاد ... ما هو بهناء وما هو من بني مازن ، وما هو مالك بن الريب وما هو ببدر شاكر السياب وانما يختار منهم ما يناسبه ويضفي عليهم ما يناسبهم او لا يناسبهم .. وما فيه اكبرمما فيهم ..

انك ازاء ديوان بعنوان « اعترافات مالك بن الريب » تقرأه فترى نفسك

ازاء شاعر من طراز خاص ، فنان يمزج الحقيقة بالخيال حتى يضيعها فيه ويضيعه فيها ، ويمزج التراث بالمعاصر فتعجب له ، واليومي بالاسطوري فتدهش له ••• والواقعي بالسريالي ، والمسيحي بالمسلم والشيوعي باللاشيوعي •• ويمزج يوسف الصائغ بأي دم وأي خوف او أي حساب وأي شجاعة •• يدخل نفسه فيها أو يدخلها في نفسه ـ كأنك من شعره في يوم القيامة ويوم ينفخ في الصور •••

لقد مزج الشعر بالقصة اذ كتب القصة ••• وهو اليوم يمزج القصة بالشعر اذ يكتب الشعر ••

وبز ـ على غير انتظار منه او منا ـ كثيرين ممن عرفوا بالشعر او من لم يعرفوا الا بالشعر حتى كاد ان « يخرب عليهم الشغل » • وربما ضاقوا به ذرعا وتمنوا لو انصرف هذا الطارىء الجديد الى أي من شؤونه الكثر الاخر ••• تمنى الشعراء ان يكون قصاصا • وتمنى القصاصون ان يكون شاعرا ؟

ـ أتراه يستطيع أن يكون شاعرا !؟

ـ تبدو المسألة سهلة !

ثم انه رسام جيد ، ولن تدعه نفسه دون ان يكتب المسرحية ••• واشياء أخرى ••• حتى البحث والماجستير والدكتوراه •••

ومن يدرينا ، فقد تفاجئه نفسه بأمر لا يعرفه هو فيها ولا نعرفه ـ نحن ـ فيه ••

هو ، اذن ، متعدد النواحي ، وهذا حسن ممدوح ، فما اجمل ان تتحدث عن انسان منا فتقول انه : مقالي ، قصاص ، شاعر ، رسام •••

هذا حسن ، ولكنه يمكن ان يكون غير حسن ، فقد ينذر بالخطر ، فيضرب هذا الانسان يوما عن كل هذا « لبيع البن في البرازيل » •

هو متعدد النواحي ، وهذا صحيح ، ولكنه يجعل المسألة السهلة صعبة، فهل يستطيع أن يرتفع في كل ناحية من هذه النواحي عالميا كما لو كان صاحب موهبة واحدة منها ؟

والمفروض الذي يتبادر الى الذهن ان هذا غير ممكن ، فلابد من ان تجور ـ في هذا الانسان ـ موهبة ويغلب اهتمام على اهتمام .

وهذا المفروض يعني لو ان يوسف الصائغ اختار لنفسه مجالا واحدا لاستطاع ان يرتفع بذلك المجال عاليا عاليا لانه سيهبه وقته كله وجهده كله ونفسه كلها .. وسيحول ـ بذلك ـ المواهب الاخرى الى ما اختار الاستقلال به مسترفدا ماءها ، مستوهبا رصيدها ... الى القصة ان اختار ان يكون قصاصا والى الشعر ان اختار ان يكون شاعرا .. وهذا لا يكون لان يوسف الصائغ لا يفعله ولا يستطيعه ..

١١-٥-١٩٧٢

محمد خضير ... وحده

قال محمد خضير ... كتب محمد خضير ... قصة في « الاداب » وقصة في « الكلمة » ... مقابلة معه ..

ثناء لا ينقطع ومن كل جانب ..

هو قليل النشر ، قليل الظهور في المجتمع ... فمن هو ؟ واين يسكن ؟ ومن رآه ؟ ولكن ما ذكرت القصة العراقية المعاصرة الا ذكر ، وما ورد اسمه الا صحبة التكريم ، وفي التكريم مدح قصصه واطراء بنائه والنص على تجديده .

وهذه الحال لم تكتب لقاص عراقي ، ولعلها لم تكتب لغير عراقي . وكنت تحس بصدق اللهجة لدى الثناء . ولا تلمح وراء اهتمام محدثك أي ظل لقصد خارج عن طبيعة العمل ، فتزداد الحال تفردا وتميزا ...

وانها ـ لذلك ـ تبعث فيك تفاؤلا بأن الحق يعلو والموهبة لا تضيع والا فمن محمد خضير ؟ واين يسكن ؟ ومن رآه ؟ أم ترى سببا آخر يعود الى تكوينه ؟ واذ يرد هذا السؤال الاخير ، يرد محاطا باخلاق البيئة بيئتنا نحن ـ فنحسب انه امرؤ يحسن الدعاوة لنفسه ، ويحسن ان يؤدي خدمات لمن يدعو له ، ويحسن ويحسن .. اشياء أخرى مما يحتمل انه لا يحسنها ولم يفكر بها ، لانه لو كان كذلك لصحب اسمه ما يصحب الاسماء الاخرى من غمز ولمز وهمز ونبرات تفضح القصد . اما وقد صدرت عن القاص نفسه على شكل فخر بالنفس وادعاء بالذي لديه وبالذي ليس لديه فهي أدخل في الفضيحة وأدل على الرخص . ولا يمكن ان تهيىء لصاحبها هذا الذكر الطيب وهذا الاعجاب بالقصص ..

ان حولك قصاصين كثيرين .. يتحدثون عن انفسهم ويحملون الاخرين على الحديث عنهم ، وهم يحملونك على ما حملوا عليه غيرك .. ولكنك لاتلمح

لمحمد خضير بينهم طيفا •• أو شبحا • فمن هو ؟ واين يسكن ؟ ومن رآه ؟
لقد قرأت له الارجوحة ••

وقرأت له الشفيع •••

وفيهما شيء من الفن • ولكني لم أر فيهما ما رآه الاخرون من عوامل الثناء الذي لا تنقطع سلسلته ولا ينتهي حده ••

فيهما لمحات انسانية لم تحوها القصة العراقية المعاصرة ، وفيهما نفس فيه جدة ، ولكنه ليس جديدا كل الجدة • وانما هو امتداد وتطوير لانفاس القصاصين السابقين من عراقيين وعالميين • وقد يكون هذا من اسرار الثناء لانه يعني ان القاص يجد ضمن طبيعة الاشياء منطلقا مما تمليه عليه ذاته المبدعة دون قصد خارج عن طبيعة العمل ودون استجابة لنزوة مفتعلة •• يذكرنا حينا بالجيل السابق عليه •• اما فرأت التكرلي مثلا ، ويذكرنا حينا ــ اذا انتقلنا من نوع ادبي الى نوع أدبي ــ ببدر شاكر السياب في الشــعر •

وظل ذكر محمد خضير في اطراد •• ولم اسهم في الذكر لاني لا اعرف عن الرجل الا القليل • ولم ألم الذاكرين لانهم صادقون في لهجتهم ولانهم يعرفون عنه الكثير •

ثم كانت مناسبة ذكرى بدر في البصرة وتقاطرت الوفود من داخل العراق وخارجه •• وفيهم القاص وفيهم الشاعر وفيهم الناقد والصحفي •• ولو كان غير محمد خضير لعمل المستحيل في أن يلقى بثقله عليهم • انا محمد خضير • انا الذي نشرت لي « الاداب » الارجوحة •• ونشــرت لي « الكلمة » الشفيع •• وستنشر لي « المجلة » في عددها الخاص عن القصة القصيرة العربية : منزل النساء •• وانا وانا •• وسين وسوف • ولكن أمرا من هذا لم يحدث • فلم يسأل محمد خضير عن أحد ولم يسأل عنه احد • وكان طبيعيا الا يقع أمر من ذلك المفترض ان يقع ، لانه ليس من مزاج الرجل•

وتحين ـ بعد شهرين ـ مناسبة « المربد » الاول وهي أوسع من المناسبة السابقة •• ولكن محمد خضير لم يظهر الا في لحظة واحدة من الايام الخمسة الحافلة ••

كنا في البصرة ـ ومحمد خضير في البصرة ـ وفي ذات مساء أذ طاف الوفود بتمثال بدر قيل هذا « محمد خضير » •• وكان سلام •• وكاد الطلب بنشر مجموعة من قصصه في كتاب يسبق السلام •• وكاد رفضه يسبق الرد على السلام •• وكان ذلك وحده كافيا لان يدلني على اني ازاء شاب من نوع خاص جدا • ويبعثني ان اقف منه في اسئلتي واجوبتي كما تقتضي الحال•

واستمرت المسيرة الى النادي ، واذ اجتمع ادباء حول منضدة مستطيلة كان واحدا منهم ، أكثــر تضاؤلا في المجلس •• على كثرة ما حطت عليــه من انظار واتجهت اليه من افكار •• كان طبيعيا هذا الذي يبدو غير طبيعي •• كان قليل الكلام ، ولكل حرف مما ينطق دلالة في الحزم والجزم تزيده تفــــردا ••

انه شاب لا يلفت النظر فما بناؤه بضخم ولا صوته بعال ، ولا مجلسه بقلق يتدخل فيما يعنيه ولا يعنيه ، وهو هادىء وصوته هادىء وكأنه درس كل شيء فيه وفي الاخرين وعرف قدره وقدرهم من دون غرور وعلى غير سذاجة• يجيبك على مقدار ســؤالك أو أقــل ، ولكن في الجــواب كفاية ونفــاذ • مهتم بأمره ، ســاهر على تنميــة نفســه ، يقرأ ، يريــد ان يتعلــم ، يهمــه ضميره ، ويسعى ـ من غير تكلف ـ الى انيبقى نظيفا • ولابد من انه يؤمن بان الكفاءة ـ ان وجدت حقا ـ تفرض نفسها •• ويؤمن بأن الانسان اما ان يكتب أو لا يكتب •• ويبلغ به التواضع حدايجعلك تخشى منه عليه • وتخاف ان يقضي هذا التواضع على طماحه ويفل همته • ان امرأً على هذه الدرجة من التواضع يصعب ان يكتب ويواصل الكتابة •• ولكن الجميــل فيه انه تواضع طبيعي ذكي يصدر عن ثقة ووعي ورصانة ويدل على أن الرجل يعرف نفسه ويعرف حدوده • ولم يوقعه ثناء الاخرين ـ على توافر حسن النية

فيه ـ في الغرور ومخادعة النفس والابتعاد عن منطق الثناء والخروج به عن طبيعة العمل •

لقد اعجبنا بالرجل الفني غاية الاعجاب •• واذ انفض القوم الا أقلهم ، أمطره صاحبي بوابل من الاسئلة واثار واياه عشرات القضايا فبلغ في اعجابه حد المبالغة حتى اذا كان الوداع بلغ الاعجاب بالشخصية المتواضعة حـــد القلق ، وخشي ان يقتل التواضع صاحبه ، وان يحول المثل الاعلى دون ان يحقق المستطاع ••

انه لمدهش ان ترى شابا تكتب له هذه الشهرة في ميدان ابداعه وهـو على هذا التواضع ، ولابد ان يكون الدافع الاول في مثل هذه الدهشة ما ترى في الاخرين ، وما تسمع عنهم ، والا فليس الامـر على ما ترى فيه من غلو في الغرابة : شاب يعيش في البصرة ، يزاول التعليم في مدرسة ابتدائية في ابي الخصيب ، يقرأ ويثقف نفسه وله مثل يهمه ان يحافظ عليها • ثم يكتب ـ بين حين وآخر وعلى مدد متباعدة ـ قصصا قصيرة محدودة العدد يبعث بها الى بغداد او بيروت فتجد طريقها الى النشر ثم الى القراء فيرى فيها من يرى من نقاط تدعو الى الاعجاب ••

هذه هي طبيعة الاشياء ، وليس في الامر غرابة لو لم تكن الغرابة فينا ، اي لو لم يكن الشائع هو الشاذ ولو لم يكن الغريب هو القاعدة •

يكتب من بعيد وحوله عدد من الاصدقاء ، وينشر ويتقدم ويحقق تقدما من قصة الى قصة ويتوطد فنه ويشتد ساعده يوما بعد يوم • هذا هو الامر الطبيعي • اما انه لا يريد ان يكتب كثيرا ، ولا يريد ان يتعجل فيجمع ما توافر لديه من قصص في كتاب يطبعه ثم لا يلبث ان يلحق المجموعة بأخرى وأخرى ويجعل من القصة القصيرة قصة طويلة ومن القصة الطويلة ثنائية وثلاثية ورباعية •• فذلك من حقه ، وهكذا يجب ان يكون الانسان والا فيصبح غير الطبيعي طبيعيا •

وكثر الطلب على محمد خضير في أن ينشر مجموعته وهو يعتـــذر

ويعتذر ، وتزايد فما وجد ـ بعد لأي ـ بدأ من الجواب •• وصدرت المجموعة باسم « المملكة السوداء » فلقيت الاقبال المنتظر • وكتب عنها من كتب • ولم تعدم من استكثر الثناء • ولم يكن في دوافعه ان المجموعة لا تستحق ، ولكن ربطا لما قرأ فيها بما سمع من ثناء سابق على الكاتب • واستقل آخرون ما كتب عنها ، وهو لدى التحقيق قليل اذا ما قيس بما قاله القارئون عن كل قصة يوم نشرت مفردة ، وقليل اذا قيس بما كتب عن مجموعات دونهـا قيمـة •

وكان صاحبي ممن اعجب بالمفردات كثيرا •• ثم هزه ما رأى من تواضع القاص يوم التقاه حتى ذهب به الامـر مذاهب شتى كأنه لم يقدر الامـر في الحالين على حجمه الطبيعي •• أو بمعنى أدق انه حسب الحال الثانية تواضعا فقط وليست حديث انسان يعي ابعاد نفسه ويدرك اصداء فنه :

ـ لم يكن ـ اذا ـ محمد خضير متواضعا وانما كان أمرأً يعـرف حـدوده •

ـ انه لا يزيد •• ولا ينقص ، وهذا سر في فضله يجعلنا نطمع بالاحسن والاحسن • فليس قليلا ان يكتب شاب كالمملكة السوداء • وليس صعبا على من كتب مثلها أن يجوزها ويتخطاها •

واذا كان المحبون والمعجبون قد ارادوها اكبر مما كانت ، فكان ذلك من بعض السبب في سكوت من سكت منهم ، فان الكاتب نفسه غـير مسؤول عن أحلامهم ، وانه اعرف بالمرحلة التي تؤرخها مجموعته • واكبر الظن ، انه لم يفكر بالمملكة السوداء كثيرا بعد ان صدرت لان همه اتجه للخطوة التالية وللعدة التي يتخذها في هذه الخطوة • وهذا ما يؤلـف بعض السبب في سكوته هو •

انه مشغول بالحاضر والمستقبل ، واذا تلفت الى الوراء ، فبمقدار ما يصل الى سمعه من نداء المخلصين ان هذا جميل فتابعه ، وهـذا فيه نظر

فانظر فيه ، وعلى كثرة ما لديه من جميل فالنداء الثـــاني أحب اليه واشد اهتماما به ، لان المهم لديه ان يقف وقفة وطيدة ويسير سيرة حميدة ، وله من ثقته بنفسه التي لم تصدر عن غرور ومن ثقتنا به التي لم تقم على هوى ما يبقى الامل كبيرا •

٢١-١٢-١٩٧٢

قصة الستينات كانت صادقة

تنظر في هذا الذي كتب من قصص « ستيني » بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ بخاصة فتلاحظ بيسر ما بات معروفا عنها من تمزق وضياع وقرف وغثيان ...

ان ادبا يقوم على هذه العناصر أدب منحل ، هدمي ، يبغض الحياةويزري بالجمال ويبعد عن الخير ..

ولا شك في أن أسبابا خارجية غذته وأدت اليه ، منها الوجودية وموجة « عالمية » من السخط والضياع ما كان لعدد من الاقطار العربية ان تسلم منها ، ولم يكن للعراق معدى عنها ـ طوعا او كرها ، صدقا أو كذبا ...

وهكذا كان ..

ولكن للعراق اسبابه الخاصـــة وظروفه ، ولشبابه اسبابهم وظروفهم وحساسيتهم فقد خابت لهم آمال ، وضاقت بهم سبل ، وتقدم متأخر ، وتأخر متقدم .. الى ما هنالك مما يجب على التـــأريخ ان يسجله في موضوعية وإنصاف .

ولابد لهذا الظرف ان ينعكس في الادب وان ينساب الى الحرف ..

وهكذا كان ..

انك لتقرأ هذه القصة او تلك .. وهذه المجموعة او تلك ، فلا تكاد تجد غير التمزق ..

وكان هؤلاء الشباب ، وهم تحت وطأة الظرف ، يفخرون بنتاجهم شكلا ومضمونا ..

ولا شك في انهم ـ والى هذا الحد فقط ـ كانوا في ـ جملتهم ـ صادقين ازاء انفسهم وازاء فنهم أي انهم لم يعربوا ذلك الاعراب محض هوس ومجرد تقليد ، ولا أدل على ذلك من هذه الحرارة في آثارهم ..

ثـم ..

قاربت الظروف ان تتغير والنفوس ان تستقر ، وبدت خيوط من امل

ولاحت تباشير من ضياء .. وشرع قليل من هذا ينساب الى الادب على سبيل الايجاب . اما ما فهم سلبا فأكثر وأكثر . واقصد بالسلب ما أخذ يظهر على منشئي الموجة من اعياء وتكلف وما يؤديه ادبهم في القراء من برم لم يلبث ان استحال نقمة .. وحسابا شديدا .. وثورة ..

وقد جاءت « الثورة » في مكانها فأتت أكلها ـ مهما تكن البواعث والوسائل ـ ولا أدل على ذلك من اضمحلال الموجة ونكوص اصحابها واختفاء انصارها .. حتى لم يقم واحد منهم الى الدفاع كأن لم يكن لهم في حالهم الماضي حجة وكأن حاضرهم يقتضي السكوت فقط جبنا .. أو اتهازا .. أو حسن ظن أو .. أو ..

والان ..

وقد اصبحت الموجة « ماضيا » لم يعد التعصب لها أو عليها مناسبا ، ولابد للنظرة الموضوعية ان تأخذ سبيلها ولابد ان تنجلي هذه النظرة الموضوعية عن انصاف ، ولابد ان ينجلي هذا الانصاف عن الاعتراف بأنها كانت صادقة في التعبير عن « أزمة » قائمة في الفرد العراقي ومجتمعه ، وان اصحابها ـ وهم شباب ـ اذ كانوا يزاولونها لم يكونوا في اعماقهم اعداء للوطن أو الانسانية ، لم يكن شيء واضح من ذلك في وعيهم أو قصدهم ، واننا قبل ان ندينهم ، علينا ان ندين الظرف الذي حاق بهم ، وما أكثر ما وقف المؤرخون من ظواهر ادبية ـ فردية او جمعية ـ مثل هذا الموقف ، فاتخذوا من « ابداع المبدعين » وثيقة للتاريخ بشرط الا يبلغ الانصاف حد السذاجة فيعمم الخاص ويبرىء الدخيل والمقلد والمزيف ..

أجل ..

كانت قصة الستينات في جملتها صادقة ..

ثم انك تستطيع ان تختار منها نماذج جيدة الفن ـ ولكن هذه مسألة أخرى .

كتبت في ١٩٧٠ ونشرت في ٧ـ٢ـ١٩٧٣

هل من سبعينات

قالت الخمسينات وحكت الستينات ..

هذه صفحة من خلاصة الوضع الادبي في العراق ..

لقد كف أهل الخمسينات في القصة ولم يبق لهم الا قليل لا يكون ظاهرة ولا يقدم مهما ، ولكنهم أرسوا للقصة مرحلة من اخطر مراحلها ، المرحلة الفنية ... وعملوا في كثير من التواضع ... وانسحبوا في هدوء .

وكتب أهل الستينات كثيرا في حماسة وطماح ولا تعـدم ان تجـد لهم جيدا تختاره ، الا انهم لم يلبثوا ان اثاروا حربا على سابقيهم لغير سبب وجيه ، ولامر تلتقي فيه معاني الادعاء والغرور وانكار الفضل . وكلما خف وزن أهل الستينات زادت حملاتهم على أهل الخمسينات ، ، حتى اذا قالوا كل شيء ـ أو كادوا ـ لم يبق في الميدان غير : قالت الخمسينات وحكت الستينات حتى لكأن القائلين يثبتون بذلك وجودهم حقا وباطلا ، وظلت المعركة مدة طويلة من جانب واحد ، حتى اذا تطرف الستينيون في دعواهم وفي تمزقهم وتغـير الظرف قليلا تصدى عدد من الخمسينيين فكالوا لهم بالصاع صاعين وما كان جوابهم غير سكوت يجمع بين الخوف والاعتراف .

ولم يدم السكوت طويلا فما اسرع ما استأنف الستينيون ادعـــاء وجودهم على اختلاف في اللهجة واختيار مكان الحديث . فقـد يتشبثون بالتبرير وقد يلجأون الى المقهى .. وهم كما يحاربون غيرهم ، يحارب بعضهم بعضـــا .

والمسألة لا تعدو ان تكون لجاجة .. والا فنحن القراء نبحث عـن نصوص نقرؤها ، لقد كتب أهل العقد الخامس فشكرا ، وكتب أهل العقد السادس فشكرا ، ولكن مجموع ما كتبه هؤلاء وهؤلاء مرحلة يطالبهـم القارىء ـ بعدها ـ بمراحل ومراحل ، انه يريد ان يقرأ جيدا وجميلا ، ويتلفت يمنة ويسرة فلا يقع على الجيد ولا يلتقي بالجميل ..

لقد كانت ـ سيداتي وسادتي ـ زوبعة في فنجان لم يلبث ان تهشم ونرجو ان يعلم المتحدثون والمتخاصمون والمدعون ان ما عملوه ليس كثيرا ، وان الذي يبقى منه على الزمن اقل من القليل وان الذي سيصبح تاريخا أكثر من الذي يصبح فنا •• وهذا لا يسرهم ولا يسرنا ، وقد نكون احرص منهم على سمعتهم ازاء الابداع والاجيال القادمة لاننا واياهم نلتقي غــدا في المسؤولية •• الا ان الذي لا شك فيه ، هو ان السكوت خير من الثرثرة ، وان يكف كاتب عن مواصلة النشر خير من ان ينشر رديئا •

وهذه صفحة ثانية من تاريخ الوضع الادبي في العراق •

لقد انتهى الامر عند سكوت خير من نشر وان كان لابد من نشر ففي سكوت •

وما كان من أمر الشعر فيما جرى لمتعاطيه من ادعاء لا يختلف جوهرا عما جرى لمتعاطي القصة . فقد استهانوا بالسياب وادعوا لانفسهم ما كان لادونيس وجعلوا الشعر نثرا رديئا ، واستعانوا بوسائل خارج طبيعة الفــن الادبي ولم تكن الموهبة شرطا لديهم . ولما كان التراث الشعري أعرق لم يكتف أهله بالحط من قدر أهل الخمسينات وانما امتدوا الى ما وراء ذلــك فاصطدموا بالعسود ، أو أنهم امتدوا لوجود العسود • واستحالت النار دخانا وقارب الدخان ان يستحيل رمادا •

اما في المسرحية •• والنقد فلم تكن مسألة « العشرات » قائمــة على وجه يذكر •

والخلاصة هي اننا ـ نحن القراء ـ نبحث عن الجسيل فلا نجده ، فيطغى علينا الاسى ، وقد نجد شيئا من جيل فنفرح ، الا انه يبقى في حدود ضيقة ، يضمر بدل ان ينمو ويسفل عوض أن يعلو ••

وليست المسألة الراهنة مسألة العشرات الماضية وما ادت وما خلفت ، فذلك أمر يتكفله التأريخ الادبي ، وانما هي مسألة العشرة الحالية ، عشرة

السبعينات وما يمكن ان تكون وما يدل عليها ، فالمفروض اننا تتقدم ونتطور وننمو ونتخذ من المرحلة اساسا لمرحلة تقوم عليها ، وليس من المعقول ان نبقى في دور المحاولة والخطأ ونظل نبدأ من جديد كلما اردنا ان نبدأ .. وتتلفت ذات اليسار وذات اليمين فلا من دليل على وجود ، تقرأ لاقلام جديدة في القصة والشعر والنقد ... ولكنك لا تكاد تقرأ شيئا او انك لا تقرأ فعلا .. فصحيح أن هذا الذي تشحن به الجرائد والمجلات كلام يسميه اصحابه مرة شعرا ومرة قصة .. وصحيح ان المطابع تخرج مجموعة من الاوراق لها غلاف وعليها اسم ، الا ان هذا لا يزيد في مجمله على مجموعة من اوراق مسودة بحبر ، وهذا يؤلمنا كثيرا لاننا نريد ان نقرأ ونريد ان نرتاح لما نقرأ .

أجل ، لقد دخلنا العام الثالث من العشرة السابعة ، وكانت العشرة السادسة قد آذنت بالزوال منذ نحو خمس سنين ، وبدأ تغير في الجو الادبي ومالت النفوس الى البناء قراءة وكتابة ورأيا .. ومع هذا ، لم تلد هذه السنوات الخمس اثرا يلفت النظر .

ــ لماذا ؟ أفي ذلك علامة للصحة ؟ للمرض ؟ هل من موجب لليأس ؟ !

ــ اما اليأس فلا ، لانه غير طبيعي ، وليس معقولا ان يبقى بلد ــ كبلدنا ــ من غير شعر وقصة ومسرحية ونقد ، واذا فات امر أمس ومات أمر اليوم ، فليس منطقيا ان يلازمه الفوت أو الموت ، وقد تكون الحالة صحية أولى من ان تعد مرضية ، فمن يدرينا كيف كان يكون هؤلاء الذين نشأوا اليوم لو خلا لهم الجو ولم يروا في المرآة غير وجوههم ووجوه ترتبط وإياها بقانون تبادل المنفعة ..

يصعب اليوم ان يدعي مدع « العظمة » في قصة أو قصيدة أو نقد .. واذا استطاع شاعر ان يجد ناقدا يتجاوب واياه بسبب واه ، فلا يؤدي هذا التجاوب الكسيح الى أكثر من الفراغ والهوان .

وهذه هي الصفحة الثالثة من الوضع الادبي في العراق .

أجل ، هي ثلاث صفحات ، خلاصة الاولى ان اهلها لموا شباكهم ، وبقى من بقى منهم حائرا بين ما هو كائن وما يريد ان يكون وقد تؤدي الحيرة الى تغيير النوع الادبي او البحث عن بلد يقبل اسطورته وولد يصدق اكذوبته، وخلاصة الثانية ان أهلها اسلمهم الادب الى الدينار ولم يسلمهم الدينار الى الادب ، ويحاول من يحاول ان يجد مسوغا لدعاوى قديمة ، وخلاصة الثالثة ضعف الامل في أهلها الى درجة اليأس .

- اما يمكن ان يرد تأخر « ابداع » السبعينات الى أن أهلها يعملون في صمت على تجهيز انفسهم بما يجعل منهم الادباء الذين ننتظرهم ؟

- لا ، فما في السماء غيمة تدل على مطر .

- اما يمكن ان تكون مخطئا ؟

- في حدود ما تخطيء « الانواء الجوية » ... وأقل ..

- خاب فألك ..

- آمين !

١٩٧٣-٣-٢٢

واذا تحدثوا عن مهرجان أبي تمام

دعي الى مهرجان ابي تمام من اقطار العروبة ادباء وصحفيون •• ثم عادوا •• وقد كتب عدد منهم ـ وهو يمر ببيروت أو دمشق ـ « مقالات » نشروها في هذه المجلة او تلك الجريدة دبجوها بدافع حقيقي من الاخلاص للدعوة وقالوا فيها ما تقتضي اللياقة ان يقال ـ وقد وقعوها باسمائهم الصريحة •

ولكن من اين تهيأت لهذه الاسماء هذه المعلومات ، فطفقت تتحدث عن المهرجان منذ بدايته حتى نهايته بلهجة تدع القارئ يطمئن الى انها حضرت المهرجان من اوله الى آخره ، وواظبت ـ كما ينبغي ـ على ارتياد القاعة التي يقام فيها ؟

ـ الم تكن هذه الاقلام مدعوة ؟ الم تكن في الموصل ؟

ـ كانت ••

ـ اذاً ، فهي تتحدث عن علم ووعي •• وهي أهل للثقة ••

ـ لك ما شئت •• اما انا فاني اعرف عددا من حملة هذه الاقلام • وقد رأيتهم رأي العين في المهرجان ، ولكني رأيتهم خارج المهرجان أكثر مما رأيتهم في داخله ، ورأيتهم في غرفهم وفي صالات الفنادق أكثر مما رأيتهم في قاعات الاحتفال •

ـ اذاً ، من اين جاءت تلك الاقلام بذلك الكلام ؟

ـ العادة على الكلام في كل موضوع •• عن علم وعن غير علم ، حتى يصير المهم ان نكتب •• انها المقدرة الانشائية ـ يا أخي • ثم الحماسة الجاهزة التي كنا نسمعها يوما ما عبر الاثير ، فما اسهل ان يجد المتحدث عن المهرجان متسعا اذ ينقل الكلام من ميدان الى ميدان ومن لهجة الى لهجة ، ومن لم

يعرف أن « الاتحاد » قوة فليعرف ذلك اليوم ، ومن يجهل « الاقليمية » فليدخل في نفسه !

ثم ان المهرجان قد اقيم باسم ابي تمام ، وهذا يعني الاهتمام بالتراث ، واذا ، فليجد القلم مستطردا طبيعيا في التحـدث عن أهمية التراث ، فتلك مسألة جاهزة أخرى لا تستدعي حضور المهرجان وشهود وقائعه ...

التراث ، اجل .. هذا التراث الخالد العظيم ، الذى يجب ان يكون الاس المتين لحاضرنا ونهضتنا ، كما كان لنهضة أوربا سياسة وادارة وادبا وشعرا ..

لنقل هذا ولو لم يكن الاهتمام بالتراث قد مر منا ـ قبل اليوم ـ ببال ، لنقل هذا وان كنا ادباء « المعاصرة » في عصر القلق المجدي ، والضياع الواعي والادب الذى ليس بادب .

لقد دعت الى ذلك مناسبة « قيمة » يجب ان تعطي حقها ، فلنكـن تراثيين أكثر من التراثيين ، والمسألة ، قبل ذلك وبعده ، مسألة انشاء واداء « واجب » والا فأين كانت هذه الحماسة الى التراث ؟!

لقد فوجىء ضيوفنا الادباء المدعوون لابي تمام . ولعلهم قالوا في قرارة نفوسهم : ما نحن وابو تمام ؟.. ولكن لا بأس . سيتحلق حولنا الشباب الصاعد ، وسنشغلهم عن ابي تمام بنا وبآرائنا . سيأخذون منا التوقيعات ، وسيبرزون لنا الاوتوكرافات ، والتصريحات ، وسيعقدون الريبورتاجات ..

واطمأنوا الى ذلك ولم يكونوا فيه بعيدين كثيرا عن الصواب ، انهم يعرفون جيدا طبيعةقرائهمفي العراقـ البلد المعطاء ـ فقد تلقوا ـ وما زالوا ـ رسائل الاعجاب تتلو رسائل الاعجاب ، وكثيرا ما تجتمع مع بعضها في حقيبة ساعي البريد ..

ولكني أرجو ان يكونوا هذه المرة على خطأ .

ـ كيف ؟

ـ تلك مسألة لها فرصة اخرى ..

اما اليوم فان المشكلة التي اعترضتهم من نوع اخر .. فانهم اذ مروا بدمشق وبيروت حتمت عليهم « ضرورة معينة » ان يتحدثوا عن المهرجان وعن ابي تمام ، ولابد من ان يظهروا علمهم بالموضوع وان يبدوا بعين القارىء العراقي متخصصين كما كان يعهدهم متخصصين بكل ما يطرقون ، ولابد اذا ـ من ان يطلوا عليهم اعزة من على شرفات قصورهم باسبانيا دون حسيب أو رقيب ..

وهنا ، هنا احسوا ـ لاول مرة ـ بخطأ الاخرين ، وقرروا واثقين انه كان من واجب وزارة الاعلام في العراق ان تزود الاديب المدعو بقائمة من المراجع التي تتحدث عن ابي تمام ليلموا بها قبل المجيء الى الموصل ..

ثم زالت الغمة وكشفت الكربة بان مدوا ايديهم الى اقرب كتاب فوقع بيد هذا طه حسين ، ووقع بيد ذاك فريد رفاعي .. فنقلوا خبرا او خبرين من الدرجة الثالثة وعلقوا على الابيات المذكورة في المرجع السهل تعليقا او تعليقين من الدرجة الرابعة .

ولكنهم اعتادوا ان يمدوا ارجلهم اكثر من غطاهم ، واذا ، فما اسهل المهمة ، الم تكن كلمة « البهيتي » المرتجلة جدا قيمة ؟ انها قيمة جدا !

ثم ان المرجع الثانوي ذكر « همذان » بين ما ذكر من اسماء المدن في حياة أبي تمام وهذه فرصة ذهبية لاظهار « المعاصرة » وقد ضاق القلم ذرعا بالخوف والحذر .. أجل فليخط آمنا وليضع علمه اليقين بين قوسين بارزين ، اجل : همذان (هي الان مدينة في جمهورية سوفياتية) .

أي أخي ، يا اخي العزيز ، ما الذي دعاك الى هذا التعليق ، ما الذي دعاك الى الحديث عن المهرجان .. اهكذا تتحدثون عن اشيائكم الاخرى التي يأخذها عنكم شبابنا حقائق ومسلمات ..؟ تتحدثون عن اشياء تجهلونها حديث العالم الخبير ، وتتحدثون عن اشياء لم تروها حديث الرائي البصير ..

ـ ماذا أهناك أمر غير المقامة الهمذانية :

ـ المقامة الهمذانية تهون •• لان الخطأ فيها صارخ ، ابلق ، اما المصيبة في الداء العياء فهي أن تتحدث في يسر منقطـــع النظير بلهجـــة توحي الى القارىء المغفل بانها شهدت المهرجان من أوله الى آخره قلبا وقالبا ، جســما وروحا ، ولا أدل على هذا اليسر المنقطع النظير من الكلام على المحاضرات التي القيت في ختام المهرجان ! واشهد ان ليس بين ضيوفنا الكرام من الادباء الذين كتبوا عن المهرجان وكتبوا عن المحاضرات كأنهم شهدوها من حضر الجلسة المخصصة للبحوث ، والا فقد كان الحاضرون يعدون على الاصابع • ولو كان الادباء فيهم لازداد العدد قليلا ••

ـ انها لمصيبة ••

ـ ولابد في أن تكون المصيبة اعظم في كلام نفر باغتوا المطار الـدولي والمحطة العالمية وقطار الموصل •• على انهم يمثلون صحافة بيروت في مهرجان ابي تمام •• وذكر اسم جريدة بعينها ••

مسكين قطار ابي تمام ، والبركة بأشد الناس اعجابا (بافتعالات) شاعر حائط المبكى !

٩-٣-١٩٧٢

محمد عوض محمد

« نعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة احد اعضائه العاملين .. الدكتور محمد عوض محمد !.. » واشك في انك تعرف محمد عوض محمد لان جيلك الحالي لم يكن على صلة به ، او لانه لم يكن على صلة بجيلك في العراق . اما في مصر نفسها فلعله عرف يوم صار وزيرا .. دون ان تزيده الوزارة شيئا عندنا .

محمد عوض محمد ..

ثم كان مستشارا لهيئة الينسكو لحقوق الانسان .. ولم يكن في ذلك لدينا بأحسن حظا من الوزارة ..

ويعرفه جمهور كبير من الجغرافيين ، اساتذة وطلابا .. فقد كان في الجغرافية من البارزين استاذا ومؤلفا ومترجما ومحاضرا ..

ولا يهمنا ذلك .. ولا يمكن ان يكون سببا الى الهزة التي احدثها فينا نبأ وفاته . والا فكم من جغرافي او مدير او وزير او مستشار .. نمر بهم ويمرون بنا دون ان يعنينا امرهم ودون ان تختلج لفقدهم عين وتجيش نفس ويأسف حال ..

آه كم كنا نود لو انصرف عوض عن الادارة والوزارة والينسكو الى الترجمة او الى المقالة ..

أجل فهذا امرؤ جغرافي أديب وهو عملة نادرة في بابه .

قلت للدكتور شاكر خصباك وهو يعتزم التخصص بالجغرافية بعد دراسته الثانوية أخشى أن تضيع الجغرافية علينا الادب . فأجاب كمن أعد للسؤال عدته : ولكن أما ترى الدكتور محمد عوض محمد ؟ قلت أرى – وكان ذلك عام ١٩٤٧ – على ما اذكر . ولم يكن فينا من يجهل محمد عوض محمد .

يعود تاريخ معرفتي به ـ أي أعجابي بأدبه ـ الى عام ١٩٣٨ ، أو قبيله •

كنت كأني أودع الدراسة المتوسطة واستقبل الثانوية •• وكنت ارتاد المكتبة العامة في الحلة ، وأطلب الكتب على غير نسق أو منهج أو علم ، وأقرأ هنا وهناك ، هذا وذاك ، ويستزج بالنفس ما هو منها ويتصل بها ما هو اليها •• ووقعت العين على كتاب بعنوان : « من حديث الشرق والغرب » ، اسم مؤلفه : محمد عوض محمد •• فاخترته ـ ولا تسل عن السبب ـ ورحت اقرأ في متعة نادرة ، وأواصل القراءة . كمن يقرأ قصة تستولي عليه وتشغله عما حوله ، وما كان بقصة انما هو مجموعة مقالات طريفة تستهوي القارىء بما فيها من جديد مادة ونهجا ولغة ، وبما تنقل الى القارىء العربي من أجواء الغرب ومن الاحوال التي تعتريه هناك في انكلترة ••

وعلقت في ذهني من عنواناته « عاصفة في قدح » و « الثورة في مستودع الخزف » وأني على الرغم من مرور اكثر من ثلاثين سنة على تاريخ القـــراءة ما أزال أذكر اسم السيد « دوفال » وهو من الاسماء التي وردت فيه •

لابد من ان يكون عوض معدا لكتابة المقالة ، ولابد من انـه أدرك أهميتها هناك في الغرب ، ووقف على كثير من أسرارها الفنية •• ولابد من أنه عرف نجاحه فيها لدى نشره عددا منها في الصحف ، ولو لم يكن كذلك لما جرؤ ان يقدم كتابه « من حديث الشرق والغرب » عام ١٩٣٧ وهو تاريخ يعد مبكرا في نشر الكتب المقالية لدينا •

ولا غرو ان نصحت بقراءته واقتنيته لاول فرصة ، ونصحت باقتنائه •• ولا غرو أن أعيد طبعه •

اما جيل اليوم ، فأكبر الظن انهم لا يجدون فيه من المتعة ما وجدنـاه أمس •• واين لهم الوقت لمثل هذه المتع الفنية ••

« •• هذه •• خاطرات •• لم يجد الفكر عنها منصرفا •• فهل في الاذن العزيز بقية من الصبر •• تستطيع بها الانصات الى هذه الترهات ؟ »

وطلبت كتابا آخر ، اسمه غريب عليّ كل الغرابة : « هرمن و دروتيه » تأليف جوته ، نقله عن الالمانية محمد عوض محمد سنة ١٩٣٣ • وقد تكون هذه أول قصة مترجمة اقرؤها •

موضوع القصة – فيما اذكر – وطني ، فيه مغزى الاخلاص للوطن والاستعداد لرد غارة الاعداء ، وفيه مغزى الدعوة الى ازالة الفوارق الطبقية في الزواج ، فقد أحب هرمن البرجوازي الثري دروتيه المشردة وعمل على الزواج منها ••

ولكني استطيع أن اؤكد ان ليس المغزى وحده هو الذي استهواني في القراءة فلابد من ان تكون هناك جدة الفن علي ، وجمال اللغة العربية التي صيغت به القصة •

أجل ، انك لا تحس وانت تقرؤها بان الكتاب مترجم ، لانك تقرأ قلما عربيا ناصعا متمكنا •

ولا غرو ان نصحت بقراءة « هرمن ودروتيه » ولا غرو ان اقتنيه لدى أول فرصة ، ونصحت باقتنائه •• وقد اعيد طبعه – فيما اعلم – •

ترى ماذا يجد جيل اليوم في « هرمن ودروتيه » لو قرأها ؟ أكبر الظن انه لا يجد شيئا يهمه او يستثيره وقد يلاحظ عليها سذاجة كبيرة وان فيها من الرومانتية ما لم يعد له مكان •

لقد « تصفحتها » حديثا ، فما كادت تجتذبني في شيء • فكيف بشباب اليوم •

ولكن يكفي انها ادت دورها ، وان المترجم ادى واجبه •

ونقل عوض الى العربية – قبل هرمن ودروتيه – قصة اخرى للمؤلف الالماني نفسه ، هي فاوست ، وقد ذاعت الترجمة وشاعت •• ولكني لم اكمل قراءتها ولعلي لم اتذوقها •• اما اللغة العربية التي جاءت بها فعلى أجود ما يمكن ان تكون عليه لغة ترجمة •

وكنا نسمع بالنقد الادبي ، ونسمع ان للغرب به عناية فائقة . وكنا نطمح ان نحقق لانفسنا صفة الناقد ومكانة الناقد ..

وقد هيأ لنا محمد عوض محمد كتابا قيما من تأليف آبر كرومبي الاستاذ بجامعة لندن فرحنا نقرؤه ونعيد القراءة ونأخذ منه في كل مرة ما يخيل الينا اننا اخذناه ..

الكتاب قيم .. وقد تكررت طبعته وتتكرر ، وفضل المؤلف الانكليزي فيه كبير ولكن فضل المترجم العربي لم يكن بأقل منه ، انك تقرؤه فلا تحس بتلكؤ ، كأن المترجم يكتب بقلم متمكن في موضوع هو جزء من وجوده ..

وكم تمنينا لو انه اتحفنا بنظائره .. ولكنه لم يفعل ، ولعل فيما رأى من هوان المترجم ما صرفه الى ما فيه العزة من ادارة ووزارة .. لعله ؟

ولكنه اذ يبعد ويبعد .. لا يمكن ان يبلغ في الفراق الى أقصاه فقد صدر « ملكات الجمال » ، واذا بعد هو لا يتركه عارفو ادبه ، وها هم أولاء يدعونه الى أن يلقى ست محاضرات في « فن المقالة الادبية » (١٩٥٩) فتأتي قيمة انتفع فيها بما له من قديم وجديد ومن انكليزي وعربي .. وحب لفن المقالة ونجاح في مزاولتها ..

آه كم كنا نود لو انصرف عوض عن الادارة والوزارة واليونسكو الى الترجمة او الى المقالة او اليهما ! ولكنه مضى !

١٦-٣-١٩٧٢

أعادت مجلة الاديب البيروتية نشرها

الثناء عبء ومسؤولية

ينظم الشاب منا قصيدة فنـــرى فيها مخايل الشاعرية ودلائل القابلية : موزونة ، جيدة اللغة ، تعرب عن معنى خاص بصاحبها •• فنحس بواجـب الثناء على الشاعر الناشيء تشجيعا لــه وشحذا لقريحته ، واعترافا بحقه ••• وقد تثني من دون قصد واضح وخطة مقررة ، اي انك تثني لان القصيدة تستثير الثناء وتستدعيه ، ولأنك لا تكـــاد ترى في أوائل ما نظمه الشـــعراء المعروفون ما يوازيها ولا تكاد تتذكر بين تلك ما أومأ الى مستقبل كمـــا تومىء هذه :

انك شاعر ، يا اخي ، شاعر ، فالى مثلها ، والى ما هو احسن منها ••• ولم لا ؟••

ـ الثناء عبء ومسؤولية

ويكتب شاب آخر قصة فتراها جيدة ، وترى ان هذا الشاب راغب في عمله ، قد استوفى كثيرا من ادواته ، فهو قارىء جيد للقديم والحديث ، الموضوع المترجم ، يحسن التعبير بلغة سليمة ويبني عمله بناء فيه روعـــة الاصالة وفي هذا ما يدل على عرق يمكن ان يجعل منه قاصا ناجحا :

انك قاص ، يا أخي قاص ، فإلى مثلهـــا ، والى ما هو خير منهـــا ••• ولـــم لا ؟

ولم يسأل الشابان عما يجب عليهما بعد هذه الخطوة ، ولكنك تطوعت فعرفتهما بجانب من العرق الذي سفحه كبار الادباء في العالم قبل ان يصيروا كبارا ، وشرحت لهما ما بهما من حاجة خاصة في القراءة والتعلم والتجربة والكتابة • وقد دفعك على المضي في حديثك فرحك بما قرأت لهما وحرصك على أن يستثمر كل ذوي موهبة موهبته ، وحب خاص لمعنى الشعر ومعنى القصص حتى بات ذلك جزءا مهما من عملك اليومي •

لقد كنت على الغاية من الاخلاص فيما ابديت وفيما اعلنت ، وكنت تؤدي بذلك واجبا ... ولم لا ؟

فارقك الشابان ... فرحين ، وذلك من صميم حقهما ، وعلى شيء من الاختيال ، وليكن ، فما ذلك بعجيب في دنيا الابداع الفني . وما لم يثق المرء بنفسه وبعمله صعب عليه الاستمرار ، وصعب عليه تلقي الصعاب ، وقد يضجر ، وقد ينكل ، وقد يخور .. وعوامل التثبيط في مجتمعنا كثيرة ، والمثبطون كثيرون ...

ويكتب هذا قصة اخرى وينظم ذلك قصيدة أخرى ، وتقرأ لهما في هذه الجريدة وتلك المجلة فترتاح وتعيد الثناء ـ بقصد التشجيع حينا وبعامل تلقائي حينا .

والمفروض بالثناء ان يدفع المرء على المثابرة ومضاعفة الجهد والسعي نحو الاحسن لانه حمل الشاعر والقاص عبئا يجب ان ينهضا به والقى عليهما مسؤولية يجب ان يؤدياها ليدلا على انهما اهل للثناء وانهما اقوى من الثناء .

هذا هو المفروض ...

ولكن الذي يحدث ـ لسوء حظهما ـ هو العكس ... ماذا ؟

ان يركب الاديبين المبتدئين الغرور . فيظنا أنهما بلغا الغاية وانهما حققا ما لم يحققه احد ... انهما اديبان كبيران ، وما على الناس وعلى النقاد الا الثناء ومواصلة الثناء ، وعلى هؤلاء النقاد ـ بوجه خاص ـ ان ينظروا فيما دبجت يراعتهما ليزدادوا علما بقواعد الشعر والقصص ومعرفة باصول النقد الادبي ـ مساكين النقاد !!

ويزداد الغرور ويزداد فيركبهما طولا وعرضا ويملأ زواياهما ويحتل ما يمكن ان يكون لهما من موهبة أو قابلية فلا يعودان يريان الامور كما هي أو يبصران الاشياء كما يجب ... يركبهما طورا ويركبانه طورا والنتيجة واحدة في أصول مسك الدفاتر : الوبال المبكر والموت في المهد .

اما انت فتحتويك الخيبة الطاغية ، وربما أحسست بالاثم ، وما كنت بآثم ، فما في أمرك أكثر من انك كنت تريد ان يفهم الاديبان الثناء كما هو فيدفعهما نحو الاحسن والاحسن ويحقق لهما الرضى بعد الرضى ، ولكنهما اتخذاه غاية فوقفا حيث بدءا ، فذهب الشعر وبقي الغرور .

ـ كأنك تعاني تأنيب الضمير ...

ـ أجل ...

ـ انك من السذاجة بمكان ..

ـ أرجو ، لان السذاجة أهون من الاثم .

ـ لو كان صاحباك أصيلين لتقدما في الابــداع أكثر ولارضيـا النقد العالي أكثر ... ولادركا عبء الثناء الذي القيته عليهما وفهما عظم المسؤولية التي حملتهما أياها .

ـ هل يخفف هذا شدة المصاب ؟ أرجو !

٢٣ـ٣ـ١٩٧٢

الطرف الأول في مسؤولية الثناء

ـ الشاعر الذي أثنيت عليه فلم يحسن الفهم ولم يدرك مهمته •• مسؤول، ومع انه يكون الطرف الثاني من القضية ، اراك تشبثت به وامسكت بتلابيبه ونسيت الطرف الاول •• ولعلك تناسيته لقرابة لك به ومت اليه ، كأنـــك لم تنظر الى ما في جرائدنا ومجلاتنا من هذا شاعر مجدد وهذه قصيدة رائدة ، وصار فلان مدرسة وصارت فلانة كلية • ولم تقرأ الاحاديث عن اعمــاق القصة وابعادها وما حملت من ثورة في الفن وفن في الثورة • إلى آخره ، الى آخره ••

ـ لم يكن ذلك تناسيا ، ولكنه وقع والا فالطرف الاول معروف ، وربما كانت هذه المعرفة سببا في تأخير ما حقه التقديم : انه الناقد •

ومن واجب الناقد ان يثني صراحة وهو يرى الرأى ولمحا وهو يحلل ويفسر فمن شأنه ان يعطي الحق أهله ، ينوه بهم وينبه اليهم ، فيهتدي الاخرون الى المنبع ينهلون ويعلون شاكرين حسن الهداية ، ذاكرين طيب الدراية •

الثناء واجب ولا يؤدى الواجب الا في مكانه المخصص له اللائق به • وأول مكان له الشعر الرائع والقصة المبدعة والمسرحية المبتكرة • وليس في هذا المكان شك • اما ان يسيء الشاعر فهم الثناء فذلك عيب فيه وليس في الناقـــد •

وثاني مكان له •• ان تقرأ اديبا طالعا فتلمح سمات النبوغ ودلائــل الخيرات فتهتز مرتين ، مرة للنص ومرة أن يكون بداية ساقها شاعر في أول الطريق ، فتزجي الثناء ولا لوم عليك ولا تثريب اما ان يسيء الشاب الفهم وذلك ذنبه •

أما ذنبك فاذ تبالغ في الثناء وتخرج عن الطور ، واذ تثني من غير مسوغ يقوم في سندك اذا اشتد الحساب .

ومن النقاد من يثني والاثر رديء ، القصيدة والقصة رديئتان ، ولابد من أن يكون في هذا غريبا على المهنة . فألف باء الناقد ان يميز الجيد من الرديء ، والف باء هذا التمييز دلالته على فطرة صاحبه ومكتسبه .

يقولون لك : ان هذا الناقد حسن النية ، ولا غرض له ، وقد صرح بما رأى وحكم بما احس .

فنقول : هذا لا يسوغ ، لان انسانا على مثل هذه الصفات قد يكون رجلا طيبا ، محمود السلوك في الحياة اليومية الا انه في عالم النقد رجل زج نفسه فيما ليس له وكان الاولى بشمائله الحسنة ان تجنبه المزالق .

ان ثناء هذا الناقد مضر ، خطر ، تجب حربه . وانك لا تحارب - في هذه الحالة - الثناء قدر ما تحارب الناقد ، وانك اذ تعلن هذه الحرب تشخص الداء وتجتثه من الجذر . فما صاحبك بناقد وما هو بنويقد .

ومنهم من يثني عن غرض شخصي وعن رابطة معينة بالشاعر والقاص ولاسباب خارجة عن طبيعة النص .. ولا يعني كذبه انه لا يملك مؤهلات الناقد ، انه يملكها وقد دل عليها ونال مكانة بها . ولكنه ، هنا ، هنا في هذا الثناء الكاذب ليس بناقد . واذن فهو ناقد ناقص ، اختار نقصه ، وحال سوء حظه دون الكمال .

يقول له القائل - وهو يعلم الافة في خلقه - : انك مسؤول ، وعليك ان تزن كلماتك .. واذا كان « سوء الحظ » يعنيك من شيء فان مضاعفات جريمتك تضاعف لك العقاب .. وتذكر ، تذكر جيدا انه ان فاتك الحساب اليوم فلن يفوتك غدا . وان كسبت قليلا فستخسر كثيرا ، وان جاز رأيك وقتا فلن يحالفه الدوام - (اليوم خمر وغد أمر) ..

أجل ••

ولا استبعد ان يختفي يوما الناقد الذي ليس بناقد ، والناقد المأفون •• ويقوى الامل في ذلك ان هذين « الناقدين » يعيشان ـ عادة ـ في المجتمعات المتخلفة وليس من المعقول ان يخلد التخلف في مجتمعنا ••

٣٠-٣-١٩٧٢

المسرحية جيدة والتمثيل جيد .. ولكن ..

المسرحية جيدة

فيها جدة وابداع ، ملتزمة دون خطابة وتهريج وشعارات . فيها رمز دون ان يكون الرمز رخيصا في غموضه . بسيطة ، هامسة ولكنها ذات اغوار .

الحادثة يومية ، ولكنها وهي على المسرح كأنها تقع للمرة الأولى والا فمن لم ير حوادث التجسس لحكم جائر ، ومن لا يعلم ان الجاسوس موظف عليه أن يقدم خدمة لقاء راتبه ، ويبلغ به ذلك الى ان يضطهد ، ان يظلم البريء .. ان ينتزع من السذج ما ليس فيهم « ليحلل » راتبه ، وليزج بهم الى التعذيب وسجن اقله « ستة شهور واربعة ايام » .. وتشريد العائلة .

المسرحية جيدة والتمثيل جيد ولكن ..

مناظر متكررة في عصور الارهاب ..

ولا يفضحها الا عرق فني نقي النسغ ، ولا يجعل منها مادة للمسرح الا من أوتى حظا من الموهبة والمراس والثقافة والاطلاع على احدث التطورات في المسرح المعاصر ...

انها من تأليف سعدالله ونوس ، وعرضت باسم « بائع الدبس الفقير » .

كم أتمنى أمثالها . لقد استلت الباقي من الزائل ، والشاعرية من النثرية .

وقد أحسن المؤلف اذ صاغها باللغة العربية الفصيحة ، وقد نجح في ذلك فكان سندا للفصيحة ، ومنبها الى أن مسرحية تكتب بالفصيحة تحقق هدفا أبعد ويكتب لها الذيوع والصيت .

ويبدو لي ان طبيعة المسرح الجديد تشجع على الانتصار للفصيحة .

والتمثيل جيد ..

مع بساطته وبساطة ادائه . (الستة) المقيدون بحبل الصمت الرهيب وهم (الناس الذين كانوا والذين ليسوا الان) وما يزخر به صمتهم من ابلاغة وخوفهم من القوة وموتهم من الحياة .

ورجال المباحث الاربعة كأنهم هم هم خبروا المهنة وتمثلوها . وانعكست في حركاتهم أسرارها وفي سكناتهم معمياتها .. لينا وقسوة ..

ثم ان المسكين « خضور » .. له عائلة ورزق طفلا حالت شؤون العيش دون ان يراه !... لانه يبكر لبيع الدبس في المدينة حاملا الصفائح على كتفيه. متفائلا في سذاجة ليس وراءها سذاجة ، وايمان بالله ما بعده من ايمان . ومع هذا ، يلاحقه حسن وحسين ومحسن ورابع .. لقد كان حسن على الغاية من اللؤم ، واستطاع - بكل سبب - ان يؤدي بخضور الى التعذيب فالسجن .. ان بائع الدبس لم يكن في شيء ضد الحكم ولم يفكر في ذلك ، وهو على الغاية من الرضى بقسمته ، وكلما حاول ان ينتزع حسن منه كلمة تنفع لدى المحكمة لم يجدها ، وماذا ينتزع اذا لم يكن شيء ؟ ولم يبق له الا الافتراء ، وهكذا فعل ، وفعل مثله حسين ..

وكان ان انخرط البائع في سلك الستة ونهج نهجهم فاصبح (من الناس الذين كانوا والذين ليسوا الان) وفي هذا « أرقى ضروب الادانة » .

وهؤلاء الصامتون الذين اصبحوا سبعة هم هم الذين سيزلزلون أركان الظلم . ويكفي أنهم يدعون - اليوم - الى الصمت بهذه اللهجة المثيرة ، ويعلنون موت الشجاعة بهذه النبرة التي تحرك الجبان .

الممثلون من فرقة المركز الثقافي والتمثيل لمناسبة يوم المسرح العالمي ..

المسرحية جيدة والتمثيل جيد لكنّ ....

أمرا بسيطا شانها وعابها ، امرا لا يتعلق بالمسرحية لانها سليمة من جانبها ، ولكنه يتعلق بالممثلين ، فقد كانت المسرحية باللغة العربية الفصيحة ،

وقد كتبها صاحبها بلغة سليمة معربة وتقدم الممثلون ليؤدوها باللغة العربية الفصيحة . وهنا تكمن مسؤوليتهم ، ومن هنا يكمن حسابهم .. والا فقد كان عليهم ان يختاروا نصا بالعامية ..

ولو كان الخطأ محدودا لهان الامر ، ولكنه بلغ درجة الفظاعة وتعداها. ولو كان في أمور مغلقة وقضايا شاذة ، لهان الامر كذلك ، ولكنه في الفاعل والمفعول ، والجار والمجرور ، الناصب والمنصوب .. في أوليات النحو وأولياته أولياته . أترانا على هذه الدرجة العجيبة الغريبة من الضعف في لغتنا ؟ أهو ضعف أم تهاون ؟ إن الأمم كلها تمثل بلغتها وتؤدي لغتها سليمة ، فلم لاتحذون حذوها ؟ لاتقولوا : ان لغتنا صعبة ، فما قولنا : ان الفاعل مرفوع بصعب ، وان علامة الجر الكسرة بصعب ...

وهذا اغرب ما وقع .. ان ممثلا واحدا يعيد عبارة واحدة عدة مرات في عدة مواقف ولكنه يرفع المنصوب باصرار في كل مرة يلفظها . فما معنى هذا ؟ كنا نرجو ان ينوع الممثل في الخطأ ، فقد تأتي في هذه الحالة رمية من غير رام فينصب المنصوب .

واغرب منه ان يعيد « الستة » مجتمعين دورا فيقعوا ستتهم في اغلاط واحدة .

وكلهم ينصبون مرفوعا ويجرون منصوبا .

فكيف وقعت مثل هذه المعجزة . انها لا يمكن ان تقع عفوا . اما من مشرف على الاخراج ؟

انا افهم ان الممثلين ضعاف حتى في الجار والمجرور ، ولكن الذي لا افهمه هذه الاستهانة المطلقة بالجار والمجرور .

لكن الممثلون ضعافا ، فلم يعد مجال الى ان نشترط قوة اللغة في الممثلين ، ولكن المناسب والمعقول والواجب ان يعرض النص على عارف بالجار والمجرور فيشكله شكلا تاما . الطلب سهل وليس الذي وفر للفرقة عناصر النجاح بباخل بشرط صغير أو جاهل بجوانب الكمال .

أرجو الا يتكرر النقص لانه أكثر من نقص لدى من يدرك المسؤولية كاملة !

المسرحية جيدة والتمثيل جيد لكن النحو رديء • واذا كان التأليف صعبا ، وكان التمثيل صعبا فان النحو سهل ، وفي هذا ما يضاعف المسؤولية •

٦-٤-١٩٧٢

الشاعر ... الكبير !

آه ! لقد اهينت مفهومات كثيرة في زماننا .. حتى صارت الارض سماء والمنخفض مرتفعا .. وقد فقدت كثير من الكلمات مدلولاتها واضاعت كثير من الالقاب هيبتها ..

واني أفهم جيدا ان يقع ذلك فيما له علاقة بالتمايز الطبقي ، وافهم جيدا ان وقوعه هناك يمكن ان يكون دليل صحة وعدالة وثورة ، ولكن الذي لا افهمه أنا وأنت ، أخي القارىء ، ان يقع ذلك في مسائل فنية دقيقة تدل الاستهانة بها على العبث ؛ ويؤدي العبث الى اختلال المقاييس ، ويؤدي اختلال المقاييس الى الجناية على الفن نفسه .. وكدت اعزو مجموع الحال الى البداوة ، ولكنني تذكرت ان للبداوة مقاييس ايضا .. ولا يكون الاختلال الا في المجتمع الذي ليس هو من البداوة وليس هو من الحضارة ..

لقد صرنا ـ أخي ـ نقرأ : فلان الشاعر الكبير .. وقال الشاعر الكبير .. وسافر الشاعر الكبير .. ويسرنا كثيرا ان يقدر الفن ، ويبهجنا ان تضفى الالقاب على أهل الفن بعد ان كانت تسلبها أياهم الانظمة الجائرة وتحتجزها وقفا على الملك والوزير والحاشية .. يسرنا ويبهجنا . ولكن الذي يؤلمنا ويسوؤنا ان نلحق الالقاب مرة اخرى بغير أهلها ولغير مناسبة حضارية ؛ فكم من شاعر صغير نعتناه بالكبر ، ومثله القاص ، والناقد ، والاستاذ .. كأن لم تكن الكلمة وحدها كافية للمدح ، كأن الشاعر وحدها .. ليست بشيء أو كأننا حين نقف عندها لدى الوصف نحس « بزعل » الموصوف كما كان الناس يحسون اذ يخاطبون مسؤولا لهم عنده حاجة يهمهم قضاؤها بكل وسيلة .

وصحيح أن عددا من الشعراء والقصاصين .. صاروا في مكان من يستطيع التقديم والتأخير وقضاء حاجة لا يقضيها الا الشاعر او القاص ..

ولكننا لم نطلب لاهل الفن والعلم المكانة الكريمة من أجل الباطل ، ومن أجل ان نلوث نفسيتهم •

ثم ان هناك حدودا يجب ان تحترم •• هو شاعر ، وهو قاص ، وهو ناقد ، وهذا غير قليل ، ولو كان كبيرا فعلا ونعتناه بالكبير لما كان في الامر مجانبة لصواب ، ولكن البلية في انه لم يكن كبيرا ، واننا اذ ننعته نكون بين اثنين : منافقين ونرجو ان نربأ بأنفسنا عن ذلك المكان ونربأ بالشعراء ان يقبلوا النفاق منا ، وأما ان نكون جاهلين أقدار الاشياء ونأمل ـ في هذه الحالة ـ ان نتعلم قليلا قبل المجازفة ••

أي أخي ، تطلق في هذه الايام كلمة « الكبير » أو ما هو منها واليها على فلان وفلان ممن هم ليسوا كبارا ، فلنقلع عن هــذا البلاء قبل ان يستشري ، ونحن نهيب بالشعراء الى ان يبذلوا ما في وسعهم لصد هذه الاهانة عنهم ، مع ملاحظة ان هذا اللقب اذ يقتضي موهبة كبيرة لا نملكها ، يقتضي سنا وتجربة لا نملكها كذلك •

والعمر وحده لا يكفي ، فقد يجتمع قوم ـ لسبب غير طبيعي ـ ليكبروا ـ بتشديد الباء ـ زيدا من الناس ، فيجمعوا له الخصال الحميدة التي لغيره ، يلجأون الى وسائل شتى ، فلا ينادونه الا بالشاعر الكبير فاذا سمعها هز رأسا رضى وخيلاء ، فيذهب به الظن مذاهب التصديق ثم ينجلي الغبار فاذا الحقيقة ناصعة ، وتبحث عن الشاعر الكبير بالمجهر فلا تجد اثرا ، واذا وجدت ـ بعد الجهد الكبير ـ وجدت الخيلاء ولم تجد الشاعر والكبير ••• اما الدعاة فلم يستطيعوا ان يخلقوا شيئا من العدم ، فلم تلبث اسطورتهم ان تمزقت ولم يستطيعوا ان يطيحوا بالشاعر الكبير الحقيقي •

حدث ذلك في بلاد واق الواق كما يذكر السندباد البحري ، وكما يروي ابن بطوطة •••

أما في بلادنا ففي علمي أن أول ما قرأت لقب الشاعر الكبير كان اذ اطلقته احدى الجرائد على شاعر من الدرجة العاشرة ودون العاشرة ، لانه لم يكن

في حقيقة الأمر شاعرا ! وكانت اللفظة تستفزني وتستثيرني ، وربما كان اطلاقها في غير مكانها هو مصدر الاثارة ، ولعلها اطلقت على غيره من هو أهل لهـا فلم تستفز ولم تثقل •

ودفع الاشمئزاز الى السؤال عن السبب فقيلت اشياء ، أهمهـا ان الشويعر المذكور كان يقف « بنفسه » على طبع « قصيدته » ولا يفـارق المطبعة حتى يطمئن الى ان « الكبير » قد الصقت الى جوار اسمه •••

قلت حينئذ أيمكن ان يقبل هذا مسوغا !••

وأقول اليوم : أخشى ان يكون في شعرائنا الصغار من يفعل شيئا من ذلك •

وقال صاحبي : أما يمكن ان يكون لهم مسوغ جديد في فعلتهم ؟

قلت : لكل زمان مسوغاته ، ولا تأخذ المسوغات الطبيعية مجراها حتى يأخذ المجتمع مجراه الطبيعي •

قال : شكرا

قلت : عفوا •

١٣-٤-١٩٧٢

أزمــة أصوات

أعرف جيدا المعضلة ، معضلة الصوت في العراق وقـد استرحت الى النتيجة منذ أمد •

اننا قوم لا حنجرة لنا ، أقصد حنجرة تخرج الصوت الالقائي شــدة ورخـــاء •

أزمة اصوات ••

ورحت أعجب بالمصريين ، وفي ذهني ـ بالطبع ـ المصريون الأول ، ابناء مطلع القرن العشرين وما حواليه ، والاسماء مشهورة في الخطابة والحديث والشعر ، اتريد ان اذكر طه حسين ، أو علي الجارم ••؟ اما في التجويد والغناء فأنت اعرف مني بالعدد العديد ، وليس بالمسألة حاجة الى تدليل او تطويل •

واذ نستمع الى السوري واللبناني ، والفلسطيني نفسح لهم الطريــق ونقف على الطريق ، وهذه الحقيقة من تلك ، ولا تجادل ، ولا تسل عــن السبب ، فما شغلت النفس به ، ولعلك تجده ••

وهنا اذكر تقليدا قريبا ، كانت « النجف » اخر ما ودعه ، هو ان يتولى قراءة الشعر في المنتديات قارىء خاص اوتي حنجرة خاصة تؤهله لهذه المهمة، يزيدها التدريب قوة والتمرس تهذيبا • وحسنا ما كانوا يفعلون ••

لم كان هذا التقليد ؟ لا ادري ، واخشى ان يقودنا ـ في اساسه ـ الى حلقة مفرغة او الى جواب مفجع كأن يعزى الى ندرة الصوت ، او الى جواب منطقي يقال فيه : الشعر موهبة والصوت موهبة أخرى •

وليس هذا الذي كان في النجف ببدع في تاريخ الصوت الانساني •• وهو معروف مألوف في أوربة • فهناك معاهد خاصة تعد للالقاء ــ او الإنشاد

كما كان يقول الأسلاف ـ وقد يدخل في اعداد الممثل ولا سيما في المسرح الشعري ، واذا انبرى المنشد أدهش واعجب وآنس صوتا وحركة حتى ليخشى المرء على الشعر نفسه .

ويهيأ هذا المنشد الخاص ـ أكثر ما يهيأ ـ لدى الاحتفال بذكرى شاعر فقيد فيضفي على الاحتفال بهاء ويزيد الى جمال الذكرى جمالا ..

ولنعد من حيث جئنا .. فالازمة مستحكمة ولم يزدها مر الزمان الا حدة وشدة .. ونستعرض شعراءنا من الجيل الجديد ، فلا نرى صوتا : السياب ، نازك .. البياتي حسنا يفعل اذ يتجنب مواجهة الجماهير . بلند الحيدري لم تركب له لبنان وترا ، عبدالرزاق عبدالواحد يبحث عن صوته .. وهكذا .. وهكذا .. من بؤس الى إشفاق ومن اشفاق الى بؤس ..

ويبدو ان وراء الفسلجة سكلجة ، وان نسبة كبيرة من خيبة شعرائنا الشباب يمكن ان تعزى الى نسبة كبيرة من ضعف الثقة بالنفس في الاداء وفي الشعر نفسه ..

ولم يأت هذا الضعف عبثا ، فقد يغالط انسان نفسه اذا خلا بها ، ولكن المغالطة تفت في عضده اذا خلا الى جمهور يصعب خداعه باوتار بائسه ، وحركات يائسة او بتصفيق مفتعل وتشجيع مبيت ..

وليس المحدثون والخطباء والقراء باحسن حظا من الشعراء ، وانما خصصنا الشعراء لانهم اول ما يتبادر الى الذهن ، ولان الشعر والالقاء صنوان ..

كانت الازمة امس عراقية فقط ، تتسع اليوم فتصير عراقية وغير عراقية، يلمسها لمس اليد من حضر المؤتمرات الادبية والمهرجانات الشعرية وكأن الصوت ـ لدى من يريد ان يكون ذا صوت ـ تشنجات وحشرجات ونبرة في واد وحركة في واد ، ويد في الشمال ورجل في الغرب ..

هذا من مصر ، وهذا من سورية ، وهذا من لبنان .. ليبيا ..

السعودية •• الكويت « كلنا في الهم شرق » ولا عبرة في الشاذ فيما هـــو الشأن مع الفيتوري أحيانا ، وفيما يروى عن أدونيس ــ (ولا يدخل الافتعال القباني في الشاذ) •

لمـــاذا ؟

وكيف ؟

وما العمل ؟

ويكاد المرء ان يغرق في الظلام في صحراء لا أول لها ولا آخر وليس فيها « لا آن ولا ودان » •

ــ لماذا ؟

ــ كيف ؟

ــ هل يخفف من مصابنا صوت نسمعه احيانـــا في اذاعـــة بغداد يقرأ نماذج من الشعر الحر ؟

ــ لا ولكنه يغطى المصيبة للحظات ثم لا تلبث ان تتكشف كأبشع ما يكون ! ويقول الفرنسيون : ان الشاذ يؤكد القاعدة •

٢٠-٤-١٩٧٢

قصيدتان ... ومشكلة

لتكونا اثنتين او أكثر ... لان المهم في الامر الجودة ، وقد كانتا كذلك سبكا وصورا ...

القاهما صاحباهما في ثقة الشاعر بنفسه دون ان يتهمهما أحد بالغرور والتنطع .. وقد أعرب الحاضرون عن اعجابهم بالانصات حينـــا وبالتصفيق حينا وبالابتهاج في كل الاحيان ..

أما أيهما الافضل فليس بذي بال .. فلهذا ما ليس لذاك ولذاك ما ليس لهذا ، وللاثنين الجودة والشاعرية والجدة وكثير من الاصالة ...

انك لا تستطيع ان تقول انهما قاصران ، وانهما يلقيان شعرا لغيرهما .. لانهما هما صنعا هاتين القصيدتين الجميلتين شكلا ومضمونا ، وقد استوعبت لديهما القصيدة العمودية من المعاصرة ما صعب أن يستوعبه كثير من الشعر الحـــــر .

ولم تكن الثالثة والرابعة بمنأى عن الجدة والتنوع .

صعد حسام عبد علي على المنصة ومعه « الجمهور الغفير » الذي يملأ القاعة الواسعة : « رجل من مفازات الصمت » فكان وطنيا وكان انسانيا ، وكان متألما للضيم الذي يلحق بني البشر ، متفائلا بالخير الذي سيحل يوما ما ... ولكنه لم يسيطر بهذه المعاني وما هو أدق منها لو لم يكن شاعرا ، ولو لم تكن « رجل من مفازات الصمت قصيدة .

وصعد آخر وآخر ... لاننا كنا في مهرجان الشعري السنوي للجامعة المستنصرية . ولا بأس في مجموع منتقى . ولا بد من ان يحصل تفاوت ، ولكننا كنا نحس باننا في مهرجان ذي روح . لا بد ان يكون المربد القديم على شيء منه أو ان تكون نحن هنا على شيء مما كان عليه الناس هناك ...

وكان يلوح على هذا الشباب اهتمام جاد في ان يكون شاعرا ، واخلاص نادر لرسالة الشعر في الحياة ...

ويصغي الجمهور مرة ثانية اصغاء تاما ، مأخوذا حينا ، وموغلا في التصفيق حينا .. فقد كان يستمع الى يحيى السماوي يلقي « قافلة السنين » فيدهشهم شعرا . وأدهش ما في شعره الصور ، وأدهش ما في موقفه الاطمئنان.

هذان ، اذا طالبان من قسم اللغة العربية بكلية الاداب ، ولمثلهما يستحسن قيام الدراسات المسائية لانك ترعى بها موهبة وتعد اديبا - اما اولئك الذين « يعددون اياما » « ليقبضوا » (الورقة) فالاولى ان تسد المستنصرية في وجههم ابوابها الواسعة .

هذان طالبان .. شاعران ، والا فكيف يكون الشعر ؟

ثم اننا شهدنا غيرهما من الشعراء الذين ليسوا بطلاب ، ممن يمثل اوصافا نادرة واسماء معدودة في المؤتمرات الكبرى وفي المهرجانات الكبرى ... فما رأينا في الكثيرين ممن رأينا من بلغ مبلغهما وحقق ما حققاه .

اما اذا كنت قد استمعت الى هذين الطالبين نفسهما في عام مضى فانك ستعجب للتقدم الذي أحرزاه خلال عام واحد ! لقد ارتفعا خلال اثني عشر شهرا من طالبين الى شاعرين .

ولك ان تتفاءل بعد هذا ، ويذهب بك التفاؤل الى انك ستراهما في العام المقبل احسن واحسن ، وانك ستقرأ لهما بعد تخرجهما شعرا أعلى وأعلى تتبنى أمهات المجلات هذا وذاك ويصدر لهما الديوان الاول والثاني .. الى ما هنالك مما يمكن ان تذهب بك اليه مركبة التفاؤل ...

ولكن ...

أرجو ألا تطلق العنان ولا تفتح الصنبور وارجو ان تستمع الى كلمة من مجرب طالت تجربته في هذا الموضوع وشط به الامل حتى حسب يوما أن العراق سيزخر بالشعراء الكبار ، وسيكون لنا فيه عصر يفوق العصور ..

ومنطلقة في ذلك طلبة في دار المعلمين العالية او كليـــة الاداب على مستوى الشعراء المجيدين وخيبته انهم يتخرجون فلا يعودون شعراء ولا مجيديـن واذا بقي لهم شيء فليس ذلك بالشيء ..

وهذه هي المشكلة ...

٢٨-٤-١٩٧٢

ندوة للأدباء وندوة للفنانين بينهما بون

جلس الادباء على مرأى من عشرات الالوف من العراقيين • والعراقيون مشاهدون عجيبون ـ كما صرح مسؤول • ونقدة عجيبون ـ ولابد من أن يقال ذلك ••

الادباء من الاقطار الشقيقة في ضيافة العراق وهو يحتفل بـــالادب والشعر ، وحب العراقيين لادباء الاقطار الشقيقة منقطع النظير • ومن خلــق العراقي الا يقبل مدحا جزافا ، وربما استهان بمن يتملقه •

جلس الادباء ، إذاً ، على مرأى ومسمع من هؤلاء المشاهدين •• فتكلم الاول واثنى على الشعر في بلاده وعلى ما حقق من خطوات ، وعدد أعلامــه ودواوينه ـ وذلك طبيعي واننا تتطلبه لاننا نسعى الى أن تتعلم ولا نريد ان تفوتنا فائتة ، ويسرنا ان نشرب الماء من منبعه •

وتكلم الثاني فلم يخرج من الدائرة التي اختطها زميله ـــ حتى لكأنهما على موعد ـ وما كانا كذلك ، ولم يكن سرورنا بما عنى به هذا بأقل مما عني به ذاك •• وأصغينا وان كنا نعرف عن شعر هذا القطر وذلك أكثر مما حاول أن يظهره عليه هذان المتحدثان •

ثـم •••

عاد الكلام الى الاول فاذا به يسترسل في شعر قطره •• وعاد الثـاني فاذا به وكأنه على تفاهم تام مع صاحبه •

وانتهت الندوة •

والتفت جاري وقال : كم كنت أود لو سمعت من أخوينا الشقيقين شيئا من علمهما بشعرنا في قطرنا ••

فقلت له : ربما ادركهما الوقت ••

فقال لي : ربما ...

ثم ...

عادت الندوة الادبية الى موضوع ثان من الانواع الادبية ... وانتهت.

فقال صاحبي : كم كنت أود لو سمعت من أخوينا الشقيقين شيئا من علمهما بالقصة في قطرنا ..

قلت ! ربما أدركهما الوقت .

فقال : اعجب لاخواننا اذ يجهلون قيمة الوقت في مثل هذه الاحوال .

قلت : الا" يحدثونا عن شعرنا او قصتنا عن علم خير لنا من ان يحدثوا عن جهـــل ...

قال : وهذا هو رأيي ..

ومر اسبوع ..

وعقدت الندوة هذه المرة للفنانين العرب . ولابد من تهنئتهم سلفا ، فقد استوفوا الوقت كما يجب وقاموا بالواجب كما ينبغي .

يبدأ الفنان ببيان علمه عما شاهده في العراق من مظاهر الفن في الرسم والنحت وما اليهما ، رابطا ما رآه اليوم بما عرفه امس ... واصلا ما رآه داخل البلاد بما راه في خارجها ... مبينا التطور الذي جرى ومحددا السمات التي تميز هذا الفن وموضحا عناصر الاصالة فيه ... ثم يسير منهجيا ، يجيب عن الاسئلة ، واذا استطرد ، استطرد ضمن المناسبة ، فحدثنا ـ وأحســن التحديث ـ عن الفن في قطره ...

وجاء الثاني ...

وجاء الثالث ...

كل ذلك في وضوح واطمئنان وموضوعية ، وأقول موضوعية لانهـم

لا يقفون عند الثناء وانما يشيرون الى نقاط من الضعف هنا وهناك .. ولم لا ؟ .. فما دعوناهم لاطرائنا ، ولو انهم وقفوا عند الاطراء لعددنا كلامهم مجاملة . ولارتفعت المجاملة الى مستوى المنافقة ـ وهذا ما لا نريده ، ولا نطيقه ـ ...

كان الفنانون أكثر احاطة ، وأكثر موضوعية وأكثر بيانا ... كانوا يتحدثون بتؤدة ووضوح ، فيعربون بذلك عما في نفوسهم ، فينتقل هذا الذي في نفوسهم الينا بيسر مناظر .

وكانت النتيجة ان سجل الفنانون ضد الادباء هدفا مقابل لا شيء ..

ولا بأس ... فالى المرة القادمة ، فقد يتعلم الادباء من الفنانين .

١٩٧٢-٥-٤

بين الفنانين العراقيين والأدباء العراقيين

كلاهما حقق شيئا في الابداع وارتفع في المستوى واستطاع ان يوازي نظيره في البلاد العربية ويبذه احيانا .

لدينا فن حديث في الرسم والنحت ..

ولدينا أدب حديث في الشعر والقصة ..

وكاد الفن يبدأ جديدا مع العصر الجديد .. وكان للادب ماض طويل زيد على خمسة عشر قرنا .. وظفر الفن بان تكون له معاهد خاصة ترعاه على حين لم يتهيأ للادب شيء معين في موضوع الابداع منه .

وان الزائر الاجنبي يحس بنقاط التقاء مع فنه ، اذا شهد معارضنا مع تميزها بمحليتها ولتميزها بمحليتها .

إن لدينا مجموعة يمكن ان تقدمها الى العالم وانت واثق من حسن النتيجة في رضى العالم عنهم في شخصيتهم ازاء هذا العالم .

أجل ...

ومن هنا نبدأ ...

ان شخصية الفنان العراقي أقوى ، وهو أكثر ايمانا بالفن وأكثر انسجاما .. واشد شعورا بانه والفن جزء لا ينجزأ حياة وموتا ...

يبدأ بهذا الشعور ويستمر عليه . وهو يسعى نحو الاحسن ، منافسة مع نفسه مرة ومنافسة مع زملائه مرة أخرى .. وقلما لجأ الى الشعوذة . لان الشعوذة - لحسن حظه - لا تدوم طويلا في الفن . فما اسرع مما تتكشف عن حقيقتها المجدبة ويظل صاحبها يدور حول نفسه باحثا عن صخرة ينطحها ...

أما في الادب فقد تدوم الشعوذة اطول وقد تلبس مسوح الرهبان فتصير شعرا عاليا حينا ويصير صاحبها شاعرا تنفرج له الصفوف •• وتصير قصة حينا •• وكل شيء أحيانا •••

شخصية الفنان اقوى ، وهو في تجديده فقه التجديد على اصوله أي كما فرغ منه الغربيون قبلنا في مراحل متعددة • وفرق بين من يأخذ الحقيقة عذراء ومن يأخذها ممرغة بالادران مرت قبله بمصر وعبثت بها ما عبثت ، ومرت بلبنان وعاث فيها ما عاث •• ثم جاءتنا مشوهة فزدناها تشويها لاننا فهمناها كما اردنا ان نوطد وجودنا عن طريقها ، ولم نفحصها كما هي • والفرق كبير أيها الاخ العزيز •

والفنان لا يتعجل الشهرة ، انه يطلبها ، وذلك حقه ، ولكنه لا يتعجلها • وكيف يجرؤ على ذلك وقد رأى في الغرب من النماذج التي ابدعها الاعلام منذ عصر النهضة بل منذ القرون المتوسطة ما يظل ماثلا إزاء عينيه ، يزجره كلما حدثته نفسه بسوء •• ويتواضع كلما ارتفع طرفه اليها ••

واذا طاف به طائف من تراث احترمه واحله مكانا علياً كما فعل الغربيون بتراثهم ، وكما وقفوا من تراثنا •• القديم والقديم جدا ، السومري والوسطي •

كم كنت أتمنى لو تهيأ لشعرائنا وقصاصينا ما تهيأ لفنانينا من وقوف مباشر على دواوين العالم الخالدة وقصصه الخالدة مما كان ويكون •• إذاً لتهيأ لهم منطلق سليم يفضي الى تواضع سليم ـ ولكن الأوان قد فات •• واننا اذ ندعى التجديد لا نرى الا انفسنا ، واذ ندعى العظمة تنطلق من نماذج خالية من العظمة •

يعمل الفنان في هدوء ، ولابد له من ان ينسى العالم وهو يتبناه ، وان ينصرف الى عمله بعيدا عن التفكير بفرض نفسه على فلان وكسر رجل فلان ، ومنزها عن التفكير بما سيحمل به فلانا على مدحه واطرائه ـ والا ••

ثـــم ...

ينتهي العمل ، ويكون معرض عام او خاص ، ولا يسهم في المعرض كل من هب ودب ، ولا يمنح المعرض جوازا بالادعاء او بالانتهاز او بالجبر ..

واذ ينجح فنان يزداد ثقة بفنه ، واذا ازداد ثقة ترفع عن التهريج . وكيف يهرج والاعمال في دنياه هي التي تتكلم : اللوحة هي التي تتكلم والتمثال هو الذي ينطق .

واذ ينطلق من قوة في الشخصية يزيد في توطيدها النجاح ، تنعكس القوة على تصرفاته فيطمئن في مجلسه اذا جلس ويطمئن في قيامه اذا قام .. وليكن بعد ذلك في المجلس من يكون من عرب او غير عرب ـ ولم لا ؟!

١٩٧٢-٥-١١

شكسبير .. لا يوصف

ليس في العالم كله شاعر يعرفه العالم كله غير شكسبير ، وهذا يبعث على اقصى التفاؤل بأن الحق حق ، وانه يفرض نفسه ويأخذ مجراه ... وان الموهبة الكبيرة جدا ، نادرة جدا ، وهي لكل الناس من كل الناس . ويكذب من يقول ان شكسبير انكليزي ... لانه عالمي ، وللانكليز ـ بعد ذلك ـ ان يفخروا بان شاعرا عالميا كتب له ان يخرج من بينهم ... والا فهو فرنسي، والماني ، وروسي ، وياباني ، وعربي ، وافريقي ... وفي كل مكان وزمان .

كتب عنه كثيرون ، وسيكتب عنه أكثر ، لانه شاعر لا ينضب جديده ، ولا تنتهي عجائبه .

وبين الكتب المبكرة عنه بالعربية كتاب بعنوان « شاعر الكون » وقد ستكثر قوم منا هذا العنوان وبلغوا درجة الاستنكار ، فدلوا على عجلة من أمرهم ، وجهل بأمره .

ولا شك في أن الاعتراف بعظمة الاخرين فضيلة ، ولكن هذه الفضيلة تقتضي في صاحبها سعة الافق وضبط الاعصاب وبعد النظر وحدة الذوق ، والا فليس سهلا ان تقدم غيرك على نفسك ...

وفي ذات يوم من صيف عام ١٩٥٠ كان طلبة « دبلوم الحضارة الفرنسية» بالسوربون ينتظرون « الاوراق »وفيهم نحو من الف طالب وطالبة ينتمون لاكثر من جنسية .. اذا لم يخني التقدير » .

وبالانتظار .. في قاعة كبيرة جميلة .. وقف السيد « العميــــد » يلقي كلمة ـ ولا يمكن لفرنسي ان يتكلم وينسى مجد فرنسا ، امـــا اذا كان ازاء حشد من الاجانب فان مجد فرنسا يصبح فرضا .

وتحدث عن مجد فرنسا الادبي ، وعن العصر الكلاسيكي بوجه خاص،

وعن شعراء المسرحية بوجه اخص ••• مكرما ، معظما مبجلا ••• ومعهالحق لانه ينطلق من رصيد ضخم يعتمد كورني وراسين وموليير ، وكلهـم كبير عظيم ، ولم يؤاخذه مؤاخذ على كلامه ، وقد كان بين الحاضرين من درسهم حديثا فقرأ السيد ، واندروماك ، وتارتيف ، وشهدها على مسرح الكوميدي فرانسيز ـ ولا تقل عظمة التمثيل عن عظمة التأليف •

واذ استرسل السيد العميد أحس بقلق فكأن امرا ازعج تفكيره ، وطيفا وخز ضميره •

فقـــال :

يقولون : ان ليس في فرنسا شاعر عظيم كشكسبير ، ولكن لدينـــا ثلاثة في عصر واحد ، لو جمعتهم وكونت منهمشاعرا واحدا لعدلوا شكسبير••

لقد اتعبت نفسك أيها الشيخ الكريم وانك لضعيف في العمليـــات الحسابية • شعراؤك عظام دون شك ، ولكن ما الذي دعاك الى هذا التمحل • انك • انت نفسك • غير واثق منه • ولهجتك تخونك ••• ولم يترك كلامك أثرا في السامعين ـ كأنه لم يكن •

وها هي ذي باريس تشهد في السينما فلما اسمه « أوتلو » فخلـب لبها ••• وأمسك الناقد السينمائي المختص بالقلم وكتب :

عجيب شكسبير هذا •• كاتب مسرحيـــة من الدرجة الاولى ، ولا نقاش في ذلك ، ولكن العجب العجاب ان تنظر في مسرحياته هذه التي كتبها لتمثل على خشبة المسرح فقط ، وفي عصر أصبح « سحيقا » فتراها وكأنها كتبت اليوم لتمثل على الشاشة ـ كأن شكسبير يعيش بيننا عارفا بأسرار الفن السينمائي •• ويعد عمله مفصلا عليه •

ولا يقول ناقد فرنسي مثل هذا في يسر ولين ، ولا بد من انه قاوم قدرا من « وطنيته » وان اطيافا من كبار شعراء المسرح الفرنسي قد تعرضت لـه فخجل حينا ثم أقدم ••• وقال ـ فيما قال ـ كم تمنينا ان نخرج على الشاشة

مسرحية من مسرحياتنا الكلاسيكية لكورني أو راسين أو موليير ... فما استطعنا . وما وجدنا فيما ترك هؤلاء الشعراء العظام ما يصلح في تحقيق هذا الهـــدف .

ان شكسبير لشاعر عجيب !

أجل ، هو شاعر عجيب ، تقولها كلما جد حافز ، قلتها أمس اذ رأيت اوبرا « روميو وجوليت » ، وتقولها اليوم اذ تشهد فلم « الملك لير » في اخراجه الروسي ... وتقولها غدا ...

٢٦-٥-١٩٧٢

٥ حزيران ٠٠٠

يعرف المسألة الناس كلهم ، على كمية واحدة تختلف كيفا٠٠

وكان عمق العار الذي أصاب الفرد العربي لا يدرك ولا يمكن أن يدرك ٠٠٠

ينظر هذا الانسان الى نفسه فيرى للمرة الاولى ، ان كان مغفلا ،وللمرة الثانية والثالثة ، ان كان غير مغفل ، أنه سبب في العار ٠٠٠ مرة بضعفه وتخاذله ، ومرة بخيانته وجبنه ، ومرة بتمثيله المسرحي البارع ، ولم يجده ان غالط نفسه ودس رأسه في الرمل وهون الأمر وسمي ذلك العار الكبير الذي يستحيل ان تجد له لفظة مناسبة في « لسان العرب » ٠٠٠ نكسة ، ويا للغباء ، وبأشياء أخرى تذكر ولا تذكر ٠٠٠

أتريد ان اذكرك بضحى ذلك اليوم المشؤوم ، يوم قامت عشرات الطائرات العربية تقصف وتستولي وتستعيد الحقوق !؟

ما أخال بك حاجة الى شيء من ذلك ، لانك تعرف جيدا البطولة التي سجلناها بنشيد المائة مليون ٠٠٠ وتعلم جيدا الاراضي الغالية التي خسرناها ذات الشرق وذات الغرب ٠

وقد أسهم الأدب في وقوع العار ، فلقد انبرى هناك وهنا أناس لهم سمة الاديب وپاسپورته ، فيهم من ينظم الشعر ، وفيهم من يزين الخطبة ويدبج المقالة ويتحدث من الاذاعة والتلفزيون عن البطولات كلها والفلسفات كلها ـ أتريد أكثر من هذا !؟!

وعجيب أن يظهر هؤلاء الأدباء بمظهر الجاهل بأسباب ما سموه بالنكسة ، وأن يبدوا وكأنهم فوجئوا بالأمر فبكى من بكى وناح من ناح ٠

وقال قائل إن الواقعة ذات أثر كبير في الادب العراقي ، انها فاصلة ٠

ويقصد الى أن الاديب العراقي السادر في ضياعه صحا بعدها ووجد نفسه .

ترى لم كان ضائعا ؟ أكانت فلسطين موجودة قبل ٥ حزيران فسمح لنفسه بالشذوذ عنها ؟ والجواب يعني أن الضياع كان خارج دائرة فلسطين ، وان الوجود كان كذلك خارج هذه الدائرة ... والا أين هو الضياع الفلسطيني يوم كان ضائعا وأين هو الوجود اذ صار موجودا ؟..

كان ضائعا . صحيح ، ولكن بعيدا عن فلسطين ، ولاسباب مهما تبلغ من الوجاهة فانها لاتمس محيط الدائرة من فلسطين ، فلم نحمّل فلسطين هذا الشأن ؟ أما يكفيها ما حملناها وحملوها .

أما الاسباب غير الوجيهة فالأولى بها أن تكون متلفعة في دائرة أخرى تجري مغلقة ، وفيها ما يمكن أن يخزى وما يمكن أن يدين ..

ويقصد الى أن ٥ حزيران صارت موضوعا أدبيا سائدا في أدبنا العراقي، لبيان أثر النكسة مرة وللاعراب عن المبنى الجديد الذي يحول دون ٥حزيران آخر ، ويؤدي بنا الى النصر والاستعادة والعودة ...

ما أجمل القصد ! وما أقبح الكذب ! والا فتعال معي نفحص آثارنا الأدبية شعرا وقصة وتمثيلية ومقالة ونقدا ... واحدا واحدا في تجرد وموضوعية ...

تعال ... فماذا ترى ؟

لا شيء مما يقصد اليه ... وقد تعثر بشيء وتصفق وتهلل ، ولكنك لا تلبث أن ترى ضآلة في الكمية ان أردت الكمية ، وضآلة في الكيفية ان أردت الكيفية .

اننا لسنا جادين في مسألة فلسطين ، ولا أدل على ذلك من أنها لم تكن موضوعا مبدعا في ادبنا ، ولم تكن مادة لاثر خلاق كبير ... اننا ندعى ـ والشباب منا بخاصة ـ ما ليس لنا اذ نلقى بأنفسنا على طريق فلسطين .

انك تعرفنا ، وقرأت لنا ، فرأيتنا نهتم باشياء تافهة كثيرة ، ولكنــك لم ترنا نهتم بفلسطين .

انك تعرفهم انهم لا يهتمون بـ ٥ حزيران اهتمامهم بأتفه ما يهمهم من جنس أو دينار او حذلقة أو تأكيد ذات ...

... ما أحرانا ـ إذاً ـ ان نترك فلسطين تعاني جراحها وتكابد غصصها ونكف عن استغلال آلامها خشية ان توقعها الثقة الجديدة في ٥ حزيران جديد ـ أو أن نكون جادين .

كتبت في أواخر مايس ١٩٧٢

شاهدت الطوفان ...

الفكرة في متناول أبناء العصر الحاضر ، مسألة الظلم ، الطغيان ، الملك الباغي المتنعم بالمتع كلها ، الشعب المحروم من كل شيء ..

جاء الملك سفاحا ، ولابد للنغل من أن يرتفع بنفسه الى أن يصير إلها ، ولابد لأمه من ان تكون الهة ... وعلى الشعب أن يؤمن ويقدس ، عرف أم لم يعرف ، شاء أم أبى .

وليس معقولا ان يجهل وليس معقولا أن يرضى ، لقد بلغ الفقر مبلغه فاضطر الشريف النفس الى السرقة وأكرهت الكريمة الخلق على البغاء ... ومن هذه وذلك شعب من المضامين اذا التقى الواحد منهم بالاخر رأى صورته فيه ان لم يكن قد رآها في نفسه ، وليس صعبا أن يسأل : لماذا ؟ وكيف ؟ نه قد يحتمل الضيم دهرا دون سؤال ، ولكنه لا يمكن ان يبقى كذلك لدهور كلها .

وقد يغض شعب عن ملك ظالم الى حين وعن ملكة داعرة .. ولكنه يقصر الزمن اذا رأى ان الملك الها وان امه الهة ، ويقصر الزمن أكثر اذ رأى ان الملكة الالهة هي التي رفعت فلانا الى مرتبة الكاهن الاكبر لعلاقة كيدة لها معه ..

لقد بلغت الحال درجة الفظاعة ...

لابد من أن يلتقي المضامون ... وان يجد مضام منهم نفسه مسؤولا عن تحرر . ويبلغ به الشعور بالمسؤولية درجة الكفر بهذا الذي عليه الطبقة حاكمة ومن حولها الكهنة . هل للالهة أن تظلم ؟؟ المسألة ـ اذن ـ تلفيق ، رعلى الانسان ان ينظر في نفسه ، وفيما يستطيع ان يفعله .

فكرة معروفة ... فما العمل ؟ انترك الخوض فيها لأنها معروفة ؟ ان

كونها معروفة يزيد من صحتها ، ولكن الحديث عنها يوقعك في الرتابة • وما عليك الا ان تفكر في نمط جديد للعرض ، وماذا يكون هذا النمط •• وقد مل الناس الخطب والاحاديث ••• والحكايات والقصص ••• ليكـــن المسرح على أن يتبنى المهمة أديب فنان ، مثل عادل كاظم ، جاد ، له ضمير يربط العصور ويرتفع بالحديث العابر الى المعنى الباقي •••

عاد عادل كاظم الى آلاف القرون من تاريخ عراقه فوجد ضالته ، وجد المادة الخام التي يقدمها الى ابناء العصر الحاضر فيرون أنفسهم فيها من حيث لا يعلمون ، فتبدو ـ حينئذ ـ لهم الافكار جديدة ، جديرة بالتأمل ، ويمكن أن تريهم كذلك مقدار ما حققه الانسان خلال مسيرته الطويلة في طريـــق الخير العام ••

الملكة الالهة ننسون تقع في حب آنام فتلد منه ابنها الملك الاله كلكامش فترفع آنام الى درجة رئيس الكهنة •••

ثم شعب من البائسين فيهم اللص والخبار والابرص وحفار القبـــور والمومس •• لابد لهم أن يكفروا ••• وأن ينتظروا من يتحدث باسمهم ••• فاذا تحدث أصغوا ، وتبعوا •• وزاد رفعة في نفوسهم عندما حدثهم عما يجب أن يكونوا عليه ••• وعن ثورتهم •••

وقد وجد عادل كاظم هذه الضالة في راع ••• وما أسرع ما صـــار للراعي شعب ، وعزلت « الطبقة الراقية » بانتظار مصيرها على أيدي «الرعاع» •• وهكذا كان ••• وقد وفق عـــادل في التأليف ••• وابراهيم جـــلال في الاخراج وهيا نشاهد ••

وتتوالى الاحداث ممتزجة بالافكار ••• المناظر ازاءك من أيام أورك ، والملابس ملابسها والحركات حركاتها ، فما أجمل ان تجد جذورا لافكارك على هذا البعد السحيق ، وعليك أن تستعيدها وتناقشها وتزيد عليها : « أن المسرح يجتاز زمنه كإشارة تستطيع ان تخلص عصرها الجديد ••• »

وقد بذل الممثلون طاقتهم وجودوا ••• ولكنك تحس بأنهم دون التأليف ودون الاخراج ، وكان كلكامش دون صورته في النفوس ، وقد كان الراعي من الاناقة بما لا ينسجم وما عليـــه راع ••• في اللباس ••• ونلتفت الى المؤلف وتقول : وفي الافكار ••• لقد كان أشبه « بالمسيح في كثير من الوجوه » ••

لغة المؤلف جميلة ، تكاد تستحيل شعرا في كثير من المواقف ••• ولكن مشكلة مخارج الاصوات ••• تؤود ممثلينا ••• وتجور – من ثم – على النص •••

وليس مجموع العيوب بعيوب ••• لانها ممكنة التفادي •••

وشكرا لفرصة ذكرتني بالكوميدي فرانسيز •••

كتبت في حزيران ١٩٧٢


۲

النقد اذ يتجدد

ـ أفي النقد قديم وجديد ؟

ـ ولم لا ؟

لقد كان النقد يوم ولد جديدا ، ولكنه لم يكن ليتعدى انبساطا او انقباضا لدى سماع قصيدة او حكاية ، ثم تعليقا بكلمة تعني الانبساط ، وكلمة تعنى الانقباض .

وغبرت عليه مئات السنين وألوفها ، لم نعرف من أمره خلالها شيئا يذكر ، حتى ما يمكن أن يكون منه في العراق القديم او مصر او الصين .. ان كان الاغريق .. فكان أرسطو جديدا ، ظل جديدا مدى قرون .

وقام النقد القديم (الكلاسيكي) على أسس معروفة تقررها بلاغته ، وفي كثير من بنود هذه البلاغة يلتقي الغرب والشرق ، الفرنسيون والعرب، في تطلب الوضوح والنصاعة ـ الوضوح أولا وقبل كل شيء .

ويمضي زمان ويأتي زمان ، وتقعد دنيا وتقوم اخرى ... فاذا الادباء يكتبون الشعر ، والقصة والمسرحية ، على غير ما ألف الناس واشترط النقاد ، فيرفض هذا الجديد من يرفض ، ويسخر منه من يسخر ، وبين الرافضين والساخرين نقاد لهم وزنهم في بابهم ، ولكن الادب الجديد يقاوم ويقاوم ، مستندا قوته من صحته ، فيستجيب اليه من يستجيب وينتمي من ينتمي ، ويزداد العدد ، ويذهب قوم من قومه الى أن الادب القديم بعيد عنهم ، لا يمثلهم ، قد مضى زمانه وانقطعت صلته ـ انه لا يزيد ، في أحسن حالاته على بقايا أبهة زائلة .

ان النفس الانسانية مزدحمة المشاعر ، متشابكة ، معقدة ، ومعنى هذا . ان الكلمات التي تعبر عن هذه النفس لا يمكن ان تكون محدودة ..

ناصعة .. واياك اياك ايها القارىء ويا أيها الناقد ، أن تقول : هذا غامض ، وهذا غموض ، قاصدا الى الذم ، داعيا الى الهجاء - ان الغموض أساس في البلاغة الجديدة ، وذكره غاية في المدح .

ويسير التاريخ .. ويتطرف خلال ذلك من يتطرف ، ويعتدل من يعتدل ، ويعود اليه من يعود .

وقد شهدت فرنسا ، في السنوات الاخيرة ، ضجة في صفوف النقد ، من اسرارها ان الف ناقد كتابا عن راسين - وراسين من أعمدة المسرحية في القرن السابع عشر ، خالد دون شك - وقد هاجمه في شدة ، وكان أكبر ما راه فيه من العيوب : الوضوح .

ولا يمكن لامر من هذا النوع من الهجوم ان يمر في سلام . فتلقى الناقد نقدا مرا رمي فيه بالادعاء والشعوذة .

وانظم قوم الى هذا ، وقوم الى ذاك .. وصاروا معسكرين .

وهكذا ... رأينا النقد قديما وجديدا ، لأن العالم يتجدد ، ولان الادب نفسه يتجدد فما كان أدب القرن التاسع عشر كأدب القرن السابع عشر ، وما كان أدب القرن السابع عشر كأدب الاغريق - وليس العصرالحديث كالعصر الجاهلي - بديهية .

قال اصحاب الجديد ، المتعصبون له ، الذين لا يرون في الدنيا سواه - حقا او تكلفا - ليس راسين بشاعر ، وان زمانه ولى ، هو والبلاغة التي تقومه وتعده كبيرا - هو وهي والوضوح .

وقالوا : اننا في زمن بودلير ورانبو وفرلين .. هؤلاء هم هم الشعراء . ومنهم المعتمد ، وعلى النقد ان يعيد النظر في نفسه ، وينسلخ من ماضيه . فلا يرى الشعر الا شعر هؤلاء - هم وهو والغموض .

والتطرف في الامر بين ، ما به حاجة الى دليل .

والدعوة الى التوسط ـ هنا ـ تعنى الترقيع ، وليس الترقيع حــلا ـسيا • انما الحل ان نرى في بودلير اضافة على راسين وفي بارت Barthes ـ فة على بوالو •

ان الناقد القديم أعجب براسين وله الف حق • وقد أيده التاريـخ ـ لانسان في كل مكان • وان الناقد الجديد أعجب ببودلير وله الف حق ، ـمن لم يعجب بالجديد سد السبل بوجهه وانتهى العالم لديه ـ ومن شأن ـتد الصحيح : التفتح والسعة والنفاذ والمرانة والاستفادة من التجارب •••

أجل •• فلا يسنع الإعجاب براسين الإعجاب ببودلير ، ولا يعني ميلاد ـودلير وفاة راسين : ان اعجابك ببودلير وبالنقد الذي أثاره يكشف لك عن ـ ح في راسين لم يكن ليسبر غورها الناقد القديم •

أجل ••• فالنقد الجديد لا يعني الهدم والنقض ، انما يعني الكشف ـ لاضافة من اجل كيان اكمل وموقف أسلم ••

ان مسألة الجديد والقديم في النقد تعلمنا أن نكون أقوى من التغيرات ـ رئة وان نكون أنفذ الى سر الخلود •

وكل جديد زاد جديد يقوّيك على الرحلة في عالم الادب ، ويعينك على عودة سالما معافى ، حاملا الى قارئك صفحة أكثر نضجا وأبعد غورا •••

فاليه ••• ولكن •••

كتاب لا تقرأه ...

(النقد الادبي) (اصول النقد الادبي) (التيارات المعاصرة في النقد الأدبي) (النقد الادبي عند اليونان) ، (دراسات في الادب المقارن) ... أو أي شيء من هذه العنوانات الطنانة الرنانة ...

تقرأها وأنت الذي يهمك الموضوع ـ فتسرح ، فتمد يدك الى جيبك ، وتخرج نصف الدينار والدينار والأكثر ... وتمتلك الكتاب فرحا وسرورا .. غير عارف أنك قد آذيت جيبك ، ونفسك ومستقبلك . وأنك لم تحسن صنعا، ولم تكن كيسا فطنا .

كان عليك ـ قبل ذلك ـ ان تعرف موضع يدك ومحط دينارك ... ، أن تعرف ـ في الاقل ـ مؤلف الكتاب المقتنى . وقد قيل : اذا لم تعرف فاسْأل ...

ان مؤلف الكتاب ـ يا سيدي ـ ليس اهلا للتأليف ، ومن ثم فكل ما ينقله اليك بين الدفتين خطأ ، أو ناقص ، أو بين بين . فهل دفعت دينارك من أجل هذا ؟ هل تذهب الى الطبيب ليزيدك مرضا ؟ ان كنت ارتكبت فعلتك بهذا المعنى ، وعن قصد وتصميم ، فهنيئا مريئا . وهذا فراق بيني وبينك ... والا ، فاستمع لي قليلا .

ـ أنا سامع ... فقد أنتفع .

ـ ان مؤلفك ـ يا أخي ـ لا يملك أدوات موضوعه . ان كتابه يعالج قضايا من الفكر العالمي ، علم الجمال ، الذوق ، عملية الخلق الفني ... ، وانواعا من الادب الغربي ، الملحمي ، القصصي ، المسرحي ...، ومسائل من صميم النقد الأدب : مهمة الناقد ، شروط الناقد ، عملية الخلق الأدبي ...، وأمورا اخرى من هذه واليها ، ناهيك عن افلاطون وأرسطو ... سوفوكل وارستوفان ـ .. ويونسكو وبكت .

وهذه شؤون درسها الغربيون جيدا ، ولهم فيها كتب مجلدة ، ومجلدات مخلدة ، ولابد لمن يتصدى لمثل هذه الموضوعات أن يكون على علم بأسسها ومعرفة بمصادرها ، وقرب من نصوصها . ولا يملك صاحبك الوسيلة التي تؤدي به الى تحقيق ذلك ، لانه لا يعرف لغة اجنبية ولانه لم يدرس في معهد اجنبي ... ولم يزر بلدا اجنبيا ... وصاحبك ـ مثلا ـ لم يقرأ المسرحية ولا الامات الاولى منها ، ولم يشهدها ولم يتهيأ له ان يشهدها ... ولعله لا يفكر في أن يشهدها لو تهيأت له الفرصة ـ آه . كم يضيع الشباب اعمارهم في المسارح ؟ .

وقل مثل ذلك عنه في الموضوعات الاخرى ... عنها كلها ، ولا تستثن شيئا ولا تقل : هذا ما يمكن أن يقول فيه صاحبي كلمة ، وهذا ما يمكن أن يقول فيه نصف كلمة . انه ما كان ليخط حرفا لو احترمك او احترم نفسه.

وهكذا ، تكون باقتنائك هذا الكتاب قد اكتسبت ضلالا وشجعت ضلالا .

ـ يصح كلامك لو لم يكن لمؤلفي الا هذا الكتاب . ولم يكن مؤلفا معروفا ... واذا ، فلست على صواب .

ـ كم تخلط ـ يا سيدي ـ بين الاشياء . فما يستطيع المؤلف أن يطرق كل موضوع . ان المؤلف الذي يحترمك ويحترم نفسه ، يزن الكلام ، ويفقه المنهج . ويدرك المسؤولية .

ـ في كلامك شيء من الابهام ؟

ـ ليكن . وليكن لمؤلف كتابك في (النقد الغربي) كتب قيمة عن جرير والفرزدق ... وعدي بن الرقاع ، ولكن هذا شيء ، وأن يؤلف كتابا تقوم دراسته على النقد الغربي شيء آخر .

أنا لم اعترض عليك لانك اشتريت كتابه عن جرير ، ولكن تأليف كتاب في موضوع من موضوعات العصر الاموي شيء وتأليف كتاب عن النقد الغربي شيء آخر . أن تأليف الكتاب الاول يقوم ـ أول ما يقوم ـ على

مصادر عربية ، وهي في جملتها موفورة ، ثم انه يقتضي صبرا على قراءة هذه المصادر ، وفهمها لمضمونها ، ومقدرة على استعمالها وقابلية على حسن العرض ... و ... و ..

واشهد أن صاحبك يمكن ان ينجح في هذا العمل ، وانه قد يكون فيه صاحبي كما هو صاحبك وأزيدك أني تمنيت مرة ـ لدى ذكر أحد اصحابك ـ لو انه الف لنا كتابا في النقد الادبي عند العرب . ولكن كنت أرجو لمؤلفك عن جرير والفرزدق .. وعدي بن الرقاع ان يلزم حدوده ، والا يقرع ابوابا موصدة أو يعبث بغرس الآخرين .

انه حين ألف في النقد الغربي خسر أكثر مما ربح ، وانك عندما تقرأ كتابه في النقد الغربي تخسر أكثر مما تربح ، لا نه لايملك المصادر ، ولا يملك ما يهيىء له فهم المصادر ، ولانه ـ اذ يتصدى للتأليف تختلف عليه الامور فلا يميز حقا من باطل ، وتضطرب به الامواج ، فيقدم لك كتابا ليس له الا مظهر الكتاب .

تذكر ـ مرة اخرى ـ ان صاحبك لايعرف لغة اجنبية .. (وفاقد الشيء لا يعطيه) . ـ كلامك واضح ، صحيح . ولكن ، أما يمكن انيوجد في كتابه عن النقد الغربي ما ينفع ؟ فقد يكون استعان بهذا او ذاك ممن يعرفون لغة اجنبية ، واقتبس من هنا وهناك مما ترجم الى العربية ؟.

ـ هذه مسألة أخرى ، قد نعود اليها ، وان كانت باطلة في أساسها . ثم ما قيمة هذا الممكن ان يكون صحيحا اذا ضاع في خضم الخطأ . وأزيدك ان صاحبك يضيق بقراءة المترجمات ويستحيل عليه ان ينسجم وأياها فكرا ... وفنا ... آه . كم يضع الناس أوقاتهم في هذه القصص !..

ـ ولكن هذا الكتاب الذي تشير اليه ، وتحرم عليّ الاقتراب منه ، قد طبع ، وأعيد طبعه ، واعيد .

ـ ان انتشار الباطل لا يسوغ الباطل .. ان اعادة الطبع لا تعني أن الكتاب جيد ، ولكنها تعني ان القارىء رديء .

واذا كان إثم تأليف الكتاب على صاحبه ، فان اثم اقتنائه على مقتنيه ، وإثم اعادة طبعه على المجتمع كله .

ـ ان من الاساتذة من يعتمد الكتاب المشار اليه مصدرا ، ويتخذه حجة ...

ـ ليكن . ولكن العيب في هذه المرة في الاساتذة ... وفي الجامعة ... وهذه ـ كما يبدو ـ مسألة أخرى لا نعود اليها .

انما الذي أرجوك مخلصا الا تقرب هذا الكتاب ...

ثم أرجوك ـ متوسلا ـ ان تنصح الآخرين بأن يوفروا على جيوبهم المال وعلى نفوسهم النقاء ..

اما اذا اصررت ـ واصروا ـ فعلى الخير والبركة ، وهنيئا لك في نقد غربي تأخذه عن : أحمد الشايب ، سيد قطب ، أحمد أمين ، شوقي ضيف ، بدوي طبانة ، محمد عبدالمنعم خفاجة ... وآخرين هنا وهناك لا تملك أن تسأل العلامة منهم : أنى لك هذا ؟ ..

هنيئا ... مريئا ... لك ولهم ... ولعزة .

شرط في المغني

ماذا يشترط فيمن يتصدى للغناء ؟

سؤال غريب ألجأتنا الظروف اليه وحملنا زمن صعب عليه ... واوقعنا فيه اضطراب المقاييس واختلال المفاهيم .

أول ما يشترط فيمن يتصدى للغناء : جمال الصوت ، رخامته ، صحة الحنجرة ، سلامتها ، استعداد الجهاز الصوتي ، فطرته ...

تلك بديهية ...

ولكننا - بين الحين والحين ، في هذا البلد أو ذاك - مضطرون الى الكلام على البديهيات . فقد يمر بك يوم عصبصب تتعب فيه لتقنع من حولك بأن الليل ليل وأن النهار نهار .

يصعب عليك أن تقول لهذا الذي لاصوت له : أنك لا تصلح للغناء ، وقد آذيتنا وازعجتنا ، فاسكت ، يا اخي العزيز واحترم نفسك واكف الناس شرك ...

يصعب ... وتزداد الصعوبة عندما ترى (اخاك الصغير) يلح في الغناء ، ويلقي بنفسه في هذا المجلس وذاك ويقذف بصوته من على هذه الاسطوانة وتلك ...

وتزداد اذا كان في الناس من يعجب بصوته ، ويراه باهرا ، وكان فيهم من يؤمن بأن هكذا يكون الغناء ، وهكذا يكون المغنى ... ويحمّل الذين لا ينصتون الى صاحبهم معنى الحسد والحقد - وفساد الذوق أحيانا فيسند المغني - بذلك - مجتمع هو زبدته وعصر هو عصرته .

ومن هنا جاءت مسوغات السؤال عن الشرط في المغني .. والا فما كان الغناء من وكدنا وانما تضرب الامثال تقريبا وتوضيحا ... ودفاعا عن الخوض في البديهيات .

أجل ، فما نحن بصدد المغنى الذي يغني ، ولكننا بصدد الناقد الذي ينتقد ويبدو النقد معه اسهل أمر في الحياة واهون عمل لمن لا عمل له . يكفي ان يدعيه المدعي فيكونه ، فينعته الناس بالقابه ويضفون عليه حلله . ويكفي هذا المدعي ان يمسك بالقلم ويكتب عن هذه القصيدة : رائعة ، وهي سخيفة ، وعن هذه القصة : سخيفة ، وهي رائعة ... ثم يتحذلق ويتفيهق .. ويخوض فيما لا علم له به ... فاذا هو كما يشاء من منزلة في النقد الأدب ... ويكون هو أول من يرى في نفسه الرأي الحسن ، ثم يتقاطر الاخرون ويزدحمون هذا يعجب به ، وذاك يذب عن حياضه ... كأن المصلحة مشتركة ... أما أنت فعاق ، حاسد ، حاقد ...

مأساة ، يا أخي ، مأساة ..

وفي هذا ما يسوغ السؤال عن الشرط في المغني ...

ليس صعبا ان يمسك انسان بقلم وان يبتاع دفترا ودواة ... وليس مستحيلا ان ينشر ما يكتبه هنا وهناك ، في هذه الجريدة وتلك المجلة ... او في كتاب أنيق الغلاف ، أنيق الورق ...

واذ تبدو المسألة على الغاية من البساطة ، انها ، لدى التحقيق ، على غاية من الخطورة . وكل ما في أمرها أن خطرها الكبير لا يظهر لاول نظرة، ولا يقع لاول خطوة ... كما هو الخطر في طبيب يدعي التخصص بالجراحة ، فاذا زاولها أهلك مريضة حالا أو بعد قليل .

ان الضرر في النقد المدعى يسير تدريجاً ، بطيئا ، ولكن عميقا ، بعيدا . وفي هذا من المصيبة ما فيه ، حتى ليصعب رأب الصدع ، وجبر الكسر ... وشفاء المرض .

انه يفسد ذوق مجموعة لا تلبث ان تتسع فتصير بلدا ، ويتسع البلد فيصير أمة ... فاذا قلت : ان صاحبكم لا يملك الشرط الاول المغناء . قالوا : اذا ، لم يغني ؟ وكيف سمح له أهل الحل والعقد بالغناء ، انه في

كل حقل وناد ••• في الافراح كما في الاحزان ـ ويكاد يسقط في يــــدك ••• لا ••• لا ••• ليس الأمر كما ترون ، أنكم تحكمون على الظاهر • ان صاحبكم يعلم انه لا يجيد الغناء ، ولكن لم لا يغني ؟ لقد تهيأت له الفرصة، فلم لا ينتهزها ؟•

ان صاحبكم يملك شرطا واحدا يجعله يبدو كما يبدو ••• شرطا واحدا هو والجرأة على الباطل سواء • ثم لا تلبث هذه الجرأة أن تصير «موهبة» •

ولا بأس ••• وليكن من أمره ما يكون •• فاننا لا نذهب بالتشاؤم الى اقصى حدوده ، لاننا نعلم ما سيحدث في المدى البعيد ، ونؤمن بيوم تصحح فيه المقاييس وتعدل القيم ••• ويرتفع ذوق القارىء ، ويجرؤ صاحب الذوق السليم ان يقول كلمته ••• واذا بصاحبنا حيث يجب ان يكون خزيا وعارا ••• وينفض من حوله آسفين على انهم خدعوا ـ وخدعوا ـ به ••• آسفين تائبين •

سيداتي ، سادتي •••

ليس الناقد هو الذى ينقد فقط ، الذي يكتب في الجرائد والمجلات والكتب ••• واذا جازت الوقاحة على الناس فان جوازها الى أمد •••

أجل ، فكثير من النقاد مثل كثير من المغنين ، ينقدون وهم لا يملكون الشرط الاول • ليس النقـــد الرأيَ ـ أي رأي ـ يقـــال ، والحكم يطلق . والصفحات تسود • انه أبعد من ذلك شأوا وأسمى رسالة ، والا ، كان في العالم من النقاد عدد ما فيه من السكان •

ليس الأمر بذاك في البــــلاد التي قضى النقد فيها على الشوائب . ونفى عنه الطفيليات ••• وفضح العملة الزائفة ••• ولابد من ان تصل البلاد الاخرى الى هذه المرحلة ، وان كان المفروض بهذه البلاد الاخرى ان تتعظ بغيرها وان تختصر الطريق •

ان لكل عمل موهبة خاصة به ••• للشعر وللقصة ••• كما للغنـــاء

والموسيقى ... وكدت أذكر الحدادة والنجارة ـ ولم لا ؟ واذا ، فلابد للنقد من موهبة خاصة به . أما كيف نرى هذه الموهبة لنحكم عليها ، وكيف تعرب هي عن نفسها في أبسط وجوهها وأعقدها .. فذاك هو الشرط الاول للنقد ... الا وهو ـ وقد عرفتموه : الذوق ... الذوق السليم .

وصحيح ان الذوق حال معقدة ، يعود قدر صالح منه الى الاكتساب والدربة ولكن المادة الاساس منه ترجع الى الفطرة والطبيعة ... وهو ينبض في الشخص الذي يملكه كما ينبض القلب ، ويضوع كما يضوع الزهر... فنحرص على سلامة القلب ... ولننف الحشرات عن الزهر ... اذا شئنا الفوز بالقسطاس المستقيم ، والحصول على العنصر النادر ... والظفر بالناقد الناقد .

ناقد لا تقرأ له ...

هو ناقد لأنه يزاول النقد ، وكما أنك لا تستطيع أن تقول لمن يزاول الحدادة : لست حدادا ، كذلك لا تستطيع أن تقول عن صاحبك أنه ليس ناقـــدا .

يزاوله ... في جرائد ومجلات عديدة لا تكاد تعرف باطنها من ظاهرها ؛ وله كتب جميلة الاخراج ، جميلة الطباعة . وله اسم يتردد عندما يذكر النقاد، وقد صار له ـ أيضا ـ أنصار يتعصبون له عن غرض غير واضح حينا ، وعن حسن نية حينا ، وعددهم ليس بالقليل ، وأنه يزيد ويزيد .

وهنا تكمن النار . ولولا خوف الحريق لكفتنا ضآلة حقيقته فداحة شــــره ...

اننا نخشى عليك ـ أيها القارىء العزيز ـ من هذا السلطان ان كنت خضعت له ، ونخشى عليك منه ان لم تكن قد خضعت ... نخشى أن تسير مع السائرين ، وتقرأ ، وتواصل القراءة وتعجب وتزيد في الاعجاب ... لا لشيء الا لانه يقول عن نفسه انه الناقد ، ويصر على القول والفعل ، ولان آخرين يقولون عنه ، ويصرون على قولهم وفعلهم ، ومن هؤلاء الآخرين من تحترمه وقد زلت قدمه وهو لا يدري ... وهذا يزيد الخطر خطرا ، والعقدة عقدة .

لا تقرأ له ، لانه مكثر على شكل غير معقول ، لا تقرأ له ، لانه مدح على وجه غير مقبول ... فهو في كل مكان ؛ وهو في كل مجال .. الشعر والقصة والمسرحية ، القديم والجديد ، الشرق والغرب ... ولا تسل عــن الفلسفة والتاريخ والفيزياء ... أما علم النفس وعلم الاجتماع والدايلكتيك فهو أمهم وأبوهم ... وانه ليردد في نفسه قول الاول :

ليس على الله بمســتنكر　　ان يجمع العالم في واحد

وربما كان ذلك الجمع مسكنا في القرون الوسيطة ••• أما الآن ••• فـــــلا •••

ولو كان جمع صاحبك في حدود العالم بالشيء ، والأخذ من كل علم بطرف ••• لهان الأمر ، ولكن مايراه صاحبك في نفسه شيء آخر ، انه يرى فيها التعمق والتخصص والتبحر ، وما عليك الا ان تسمع وتطيع ••• لانـه الآية التي لا تخفى ، والحجة التي لا تدمغ •••

لا ••• لا تسله لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ هو مصون وغير مسؤول ••

انه لا يزن كلامه ، ولا يدرس احكامه وهل من ضرورة الى ذلك ؟ انه لا يتأمل النص الذي أمامه • وهل من داع الى ادامة التأمل ؟•

انها آراء جاهزة ينثرها هنا وهناك بغير حساب • واذا كان حساب ، فهو حساب الغرور ، كأنه العالم الاوحد الذي أدرك سر الاسرار وأبصر دقائق الحقائق •••

وهي معارف يذيعها في أدعاء كأن له علم الأولين والآخرين ، وكأنه استوعب كل ما في أوربا من مذاهب وأعلام فأدنى أقصاها وأقصى أدناها حتى بات المرجع الاعلى •••

وهي صفحات يسودها ويطول تسويدها ويسمى ذلك تحليلا فسلجيا تارة وتركيبا مورفولوجيا طورا •••

اما اذا شاء الحديث عما وراء القصيدة او القصة او المسرحية ـ وهذا ما يحدث له غالبا ـ فانه يبعد ويبعد حتى لا يرى ولا يرى ، وطاقته في ذلك الاختفاء ما يصطنع من التواء التعبير ويتعشق من تعقيد المعنى • وليس المهم عنده أن تكون لكلامه صلة بالنص الادبي المنقود ، وانما المهم ان يضع في النص ما ليس فيه ويحمله ما لا يطيق ، ليحقق لنفسه التمويه على القارىء ويهيىء له ادعاء الجديد الذي لا يأتي بمثله من سواه •

أرأيت ، أخي القارئ •••؟

أرأيت •••

وقد يكون السيد الناقد ـ في أعماقه ـ أعرف بنفسه ، وأعلم بقدره ، ولكنه شاطر ، اذ يحسن التمثيل ••• وهنا ، هنا الخطر • فلو كان مغرورا فقط لامكن اكتشافه ، ولكنه اذ يغطي الغرور بالتمثيل يجيز كلامه على كثير من القراء ، وبين هؤلاء القراء المغفلين ـ وحاشاك ـ من يرفع من شأنه ويرى فيه وحيد زمانه وفريد أوانه ، فينقل آراءه ـ ولا ادري كيف فهمها او حصرها ، من مكان الى مكان ، ويحتج بها في هذه القضية او تلك • قال فلان ـ وكفى ، ورأى فلان ـ وانتهى • وهكذا يشيع الكذب ويصير صدقا ، وتذيع الخيانة وتصبح اخلاصا •• ويتفاقم الامر ويعم الخطب •

من مستلزمات هذا الضرب من الناقدين ـ أخي القارئ ـ القدرة على عرض ما لا يعلمون معرض ما يعلمون فيغررون بهذا وذاك ، ويؤثرون في ذاك وهذا ••• وكأنه لابد من زمن يمضي حتى تنكشف الحقيقة ، ويظهر الزيف ••• ويدان المتهم •

ولا أشك في أنك رأيت أمثاله ، فأعجبت عن بعد ـ أو عن قرب ـ حتى اذا مر حين من الدهر وعدت الى نفسك تتأمل وتناقش وجدت ازاءك كومة من هباء ••• فتندم ولات حين ندامة ••• والسعيد من يتعظ ويتخذ من اللدغة الاولى حصنا يقيه اللدغة التالية والاسعد من يستمع الى الناصح الذي كانت له الخبرة فصار يميز الغث من السمين والخبيث من الطيب •

لقد تبعته طويلا ، فرجائي اليك أن تصغي الي قليلا فليس من مصلحتك أن تجبه المتحدث بالرد الفظ ، وليس من الادب ان تعترض قبل أن تسمع • المسألة تخصك أكثر مما تخص المتحدث •

ان المتحدث نظر فأوعى فنصح ••• أما أنت فستندم مرتين وسترى في مزاجك غرورا لا تحمده له بعد فوات الاوان •

أجل ، أخي ، فليس ناقدا من تراه في كل مكان ، وفي كل موضوع ...بعيدا بعيدا عن النص وليس جديرا بالاحترام من لم يحترمك ... انـــه ...ستعبطك - كما يقول اخواننا المصريون - .

خلط بين الامور وأضاع الدرب على نفسه وعلى الاخرين ...

هذا بعض من واقعنا المؤلم ...

وما عليك الا ان تستمع الى كثير من هؤلاء الذين يتحدثون عن القواعد ...قوانين ويتشدقون بالنظريات والاراء ... وقد اخذوها من أقصر طريق ، ...لعلهم ابتدعوها من ذات أنفسهم : قال فلان وفلان . وما قال فلان وفلان ... تسمع من ابتذال واسفاف .

ويكاد الواحد منا يسل لسانه فيتحدث عن كل شيء ، وما أتعب نفسه ...ي شيء وما كلفها - في الاقل - قراءة النص الذي انبثقت منه القاعدة أو ...عتمدته النظرية .

وهذا ... هذا هو الامر الثاني الذي أوقعنا في وهدة الباطل ، وهدة ...خذ النظريات عن أقرب طريق والتصرف بها كيفما اتفق دون العـــــودة ... النصوص .

الامر الثاني هذا ... هو الكسل ، أجل ، فليس سهلا أن نعود الى ...نصوص نقرأها ونديم النظر فيها ونصل ما بينها وبين النظريات ... ولم ...تجشم ذلك ؟ ولدينا بلاغة القول فيما لا نعرف اصله وفصله ... لم ؟ ونحن ...ي مثل هذا الكسل ؟

وتتصل بالجهل بطبائع الاشياء ... وبالكسل ... عوامل اخر مـــن ...جهل واضطراب المقاييس واختلال ما بين الجريمة والعقاب وضياع ما بـــين ...حساب والثواب .

أمور كثيرة ... لا نجهلها ...

ولكن يحسن ان نقدر اخطارها ، وان نحمل انفسنا على تجنبها .. فلا

نأخذ نظرية بعيدا عن مصدرها ، ولا قانونا لقصة او مسرحية دون قــراءة القصة او المسرحية .

ان كتب نظرية النقد الأدبي كلها عوامل مساعدة ، ومواد ثقافــة ... ولكنها تفقد قيمتها اذا اتخذت غاية ، ولم يقمها المؤلف على نص ، ولم يرجعها القارىء الى المصدر .

أجل ...

إن النص أهم من النظرية ، واذا كان لابد من النظرية فان النص أولا .. والنقد الادبي ثانيا .

النص أولاً

النص هو القصيدة او القصة او المسرحية او ما الى ذلك ...

من مواد الادب الانشائي – أو الادب الابداعي ، ان شئت –

ولابد للانسان من قراءة هذه المواد ، وتخير أعلاها وابقاها ، لما لهـا من دلالة اجتماعية وحضارية مرة ، ولما تنطوي عليه من عناصر الفن مرة ، وللاثنين مرة . وهذه هي الارقى .

ولابد لمن يريد ان يكون ناقدا ، أو أن يزاول عملية النقد ، أو أن يتحدث في أمور من نظرية النقد ... أن يقرأ هذه النصوص قديمها وحديثها .. شرقيها وغربيها ، موضوعها ومترجمها ... لكي يتصل مباشرة بالمـادة الاساس لعمله ، ولكي يدرك أسرار الخلود في العمـل الادبي ، ولكـي يتسع أفقه ، ويستد نظره ، ويحتد بصره ، ويحسن اختياره وتصدق نظريته .

ولابد له من قراءة هذه النصوص ... ليفهم ما يقرأ في كتب النقد الادبي من قواعد وقوانين وتعريفات وتشريعات ، ونظرات ونظريات ... انه اذ يقع على كتاب يتحدث عن الانواع الادبية ، او عن أثر البيئة أو العلم والفلسفة ... والصلة بين الادب والحياة ، أو عن عملية الخلق الادبي ومعنى الاسلوب والمذاهب الادبية ... يقرأ ويعيد القراءة ولكنه لا ينتفع بشيء كبير ولا يصل الى قرار من شيء ، لانه في موقف النظر ، وموقف من يمكن أن يضيع في التجريد.

واذا ضرب له المؤلف أمثلة وذكر شواهد واستعرض أعلاما ... لايمكن أن تعنى لديه شيئا هذه الامثلة والشواهد والاعلام ... وانما تزيد الامر تعقيدا عليه وتستحيل ضروبا من الرموز والاغراب ...

ان القارىء لا يفهم من أمره في هذا أمرا ... وكان خيرا له الا يقرأ من أن يقرأ ... لانه ان كان حسن الظن في منطلقه ، كان مخطئا ، لانه يأخذ

الاشياء على ظاهرها ، ويحسب انه تعلم وما هو كذلك ، وحينئذ يقع ، وهو يعيد ما قرأ على الاخرين ، في خطأ التفسير ، وخطأ الشرح ، فيسهم في الضلال من حيث لا يدري ، وينقل الخطأ على أنه صواب ... ، واذا كان يسيء الظن ، كان ضرره مضاعفا لانه يسيء لنفسه وللآخرين عن قصد وتصميم .

أجل ... وهذا يحدث ، ويحدث كثيرا ، في مجتمعنا المعاصر ...

يقرأ فلان كتابا من كتب نظرية النقد الادبي ـ ولا تهمه عادة قيمة هذا الكتاب وقيمة مؤلفه فيفهم الاشياء على غير ما هي عليه ، وليس له الا ذلك. لان هذا الكتاب يربط بين القاعدة والمثل والتعريف والشاهد ، والاثر والمؤثر ، فاذا كان القارىء لا يعرف المثل والشاهد والمؤثر صعب عليه فهم القاعدة والتعريف والاثر ... وصعب عليه فهمها على ما وضعت له ، ثم تنتفخ أوداجه ادعاء وعجبا وغرورا ، بأنه فهم ما لا يفهمه غيره ، وتعلم ما لا يتعلمه غيره ... ويسهب في الحديث ويطيل كأنه أب للموضوع وأم ، وكأنه هو الذي استنبط القوانين ، واكتشف الآثار وميز الاوصاف ... فاذا وقع تحت تأثيره سامع ساذج ، منحه الثقة فان هذا السامع لا يأخذ من محدثه الا الخطأ ، وأنه اذا نقل الكلام الى اخرين ، نقله بما هو اشد ضلالا وتضليلا .. هذه حال مؤسفة من أحوالنا .

يؤدي الى الوقوع في وهدتها أمران ، يمكن ان يكون لهما ثالث ورابع ... أما الامر الاول ، فهو جهل بطبائع الاشياء ينبع منه جهل ببديهية في عالم النقد الادبي ، وهي بديهية النص اولا ... هي بديهية لانها لا تحتمل النقاش ، لابد من التسليم بها والانطلاق منها ، والا كان عبثا كل ما نبنيه . وتافها كل ما ندعو اليه .

انا أريد ان اعرف قوانين القصة ، وأعرف سير تطورها ، وأعرف كيف تميزت في عصر من عصر ، ولدى كاتب عن كاتب ...

ذلك حقي ، كما هو واجبي مادمت اخوض مثل هذه الموضوعات متعلما حينا ومعلما حينا ... ولكن أين أجد هذه القوانين ؟

الجواب السريع : في كتب النقد الادبي .

وليكن ، ففي كتب النقد الادبي كثير منها ، وفي كثير من هذه الكتب صواب غير قليل ، فلقد جد أهلها في القراءة والبحث والاستنباط حتى وصلوا الى هذه القواعد والصفات وقدموها لنا في هذا الكتاب أو ذاك من مؤلفاتهم .

وأنا أقرأ هذه الكتب فألم بهذه النتائج ...

ولكن ... لا قيمة لهذه النتائج ان وقفت عند هذه الكتب . لان المؤلف ذكر أمثلة من القصة القديمة والحديثة لفلان وفلان ... كان قد قرأها وأدام النظر فيها حتى وصل الى ما وصل اليه ...

وأنا ، لابد لي ، من أن أقرأ ألمهم من القصص التي ذكرها ... لكي فهم نتائجه جيدا ، ولكي أكون على مستواه وعلى درجة استطيع معها مناقشته وتبيان خطأه من صوابه ... فلعله سها عن أمر ، ولعله بالغ في أمر ، ولعلي أزيد عليه واعدل من شأنه - ومن يدري فقد اكتشف سمة جديدة ، واقف على ظاهرة ، لم يقف عليها سابق علي ...

أجـــل ...

النص أولا ...

النص من قصيدة وقصة أولا ... قبل أن تقرأ في نظرية النقد الادبي ، والنص أولا ، بعد أن تقرأ في كتب النقد الادبي ، والنص اولا اذا شئت أن تخوض أمرا من أمور نظرية النقد الادبي ... وأمور الشاعر الفلاني والقاص الفلاني ... والعصر الفلاني ... والمذهب الفلاني ...

هذه بديهية ، وما كنا لنقف عندها لو اننا ندرس الحساب في المدارس الابتدائية ، لان الامور هناك تسير طبيعية ... اما في عالم النقد الادبي فالحاجة ماسة الى الوقوف الطويل عند البديهيات لانه عالم الكبار ، عـالم المتكبرين ، عالم يدخله كثير من الناس رغبة واستسهالا ، ومن كان كذلك ،

كان دخوله غير طبيعي وكان خروجه غير طبيعي ، ومن كان كذلك فما عليك الا أن تخيب ظنه ، وتبرهن له على أنك اذكى منه ، وأكرم على نفسك منه على نفسه .

أجل ... والناقد الحق يحترم نفسه ، ويحترم الآخرين ... والا استحال عمله (سفسطه) و (شعبذة) ...

أجل ...

والآن ...

وانت ... يا سيدي الناقد الكبير ... أنّى لك كل هذا العلم ... وهذه الفلسفة ... وهذه الآراء ... ؟؟

سنك ـ أولا ـ لا تساعدك على ذلك ، فما تزال حدثا ... كم عمرك ؟ عشرون ؟ خمس وعشرون ؟ ثلاثون ... وأكثر قليلا ؟ ليكن ، فما ينفعك ذلك ... فقد يكون الحدث في سنك شاعرا بوجه من الوجوه ، وقد يكون قاصا بحال من الاحوال ... أما ان يكون ناقدا على الشكل الذي تدعيه فيستحيل ومستحيل ـ أن مسألة السن مهمة جدا في النفد الادبي الحديث . والمفروض أنك أول من يعرف ذلك .

وقد يتحقق لك شرط الزمن يوما ... ولكنه لن يجديك فتيلا ... لسوء منطلقك والحكمة تقول : اذا كانت البداية خطأ ، كانت النهاية خطأ كذلك .

ومثلك لا يجهل هذه البديهية ، ولكنك اخترت منهج المغالطة ، فغالط وابق حيث اخترت لنفسك ، اما نحن ، فقد صح عزمنا على الا نقرأ لك واصنع ما شئت ، وان لم ترحمنا وترحم نفسك ، فرحمة بالورق .

كان دخوله غير طبيعي وكان خروجه غير طبيعي ، ومن كان كذلك فما عليك الا أن تخيب ظنه ، وتبرهن له على أنك اذكى منه ، وأكرم على نفسك منه على نفسه .

أجل ... والناقد الحق يحترم نفسه ، ويحترم الآخرين ... والا استحال عمله (سفسطه) و (شعبذة) ...

أجل ...

والآن ...

وانت ... يا سيدي الناقد الكبير ... أنّى لك كل هذا العلم ... وهذه الفلسفة ... وهذه الآراء ... ؟؟

سنك ـ أولا ـ لا تساعدك على ذلك ، فما تزال حدثا ... كم عمرك ؟ عشرون ؟ خمس وعشرون ؟ ثلاثون ... وأكثر قليلا ؟ ليكن ، فما ينفعك ذلك ... فقد يكون الحدث في سنك شاعرا بوجه من الوجوه ، وقد يكون قاصا بحال من الاحوال ... أما ان يكون ناقدا على الشكل الذي تدعيه فيستحيل ومستحيل ـ أن مسألة السن مهمة جدا في النفد الادبي الحديث . والمفروض أنك أول من يعرف ذلك .

وقد يتحقق لك شرط الزمن يوما ... ولكنه لن يجديك فتيلا ... لسوء منطلقك والحكمة تقول : اذا كانت البداية خطأ ، كانت النهاية خطأ كذلك .

ومثلك لا يجهل هذه البديهية ، ولكنك اخترت منهج المغالطة ، فغالط وابق حيث اخترت لنفسك ، اما نحن ، فقد صح عزمنا على الا نقرأ لك واصنع ما شئت ، وان لم ترحمنا وترحم نفسك ، فرحمة بالورق .


٣

ازدواجية المجـلات

الازدواجية توزع الجهد وتضيع الطابع المميز •

في البلد مجلات جيدة ، ونطمح الى ان تكون هذه المجلات اجود ، ولا يسرنا ان تتأخر بدل ان تتقدم •

« ألف باء » ضرورة ، ولكنها بدأت ، منذ غير قليل ، تفقد طابعها بنظر اصدقائها وطالبيها الحريصين على ان تبقى • ان بها حاجة الى دم وحياة والى ان يخرج المحررون من وراء المناضد الى الشارع والسوق والمدرسةوالمستشفى ... في بغداد وغيرها ، شمالا وجنوبا ! وشرقا وغربا •• في العراق وخارج العراق اذا كانت تطمع ان تكون مجلة عربية تقرأ في الخليج كما تقـرأ في المحيـــط •

ان اقتل ما يقتل الصحفي ان يكتفي بأن يصبح موظفا يأتيه رزقه المقسوم من مكتبة جد أم لم يجد ، ابدع ام لم يبدع •

مجلتي •••

المزمـــار •••

اما المورد فلها حساب خاص ••

وازاءك الآن عددان صدرا في تشرين الثاني ١٩٧٢ : الأول من مجلة اسمها : الاقلام ، والثاني من مجلة اسمها : المثقف العربي • والاقلام مجلة ادبية فيها شعر وقصص ونقد واحاديث عن الشعر والقصص والنقد • وطبيعي ان تخرج قليلا الى ما هو ابعد من ذلك مما له مساس بذلك من شؤون الفن القومي وفلسفته وصلاته بالفنون الاخرى والمعارف الاخرى ••

انها مجلة ادبية ، وتقدمها ملحوظ ، وانها لتحرص على أن تصدر شهرية

في مطلع كل شهر وان تأخرت احيانا واضطرت الى ان تجمع عددين في عدد واحد احيانا مما يسيء اليهـا ولا يجدي هيئة التحرير كثـيرا ما بأيديها من اعذار صادقة ـ أو غير صادقة ، لان القارىء ـ في العالم المتمدن ـ يعرف جيد ان المجلة الشهرية شهرية وانها في اليوم الاول من كل شهر ، مع الباعة في كل مكان ..

غلب على الاقلام هذا الطابع او ذلك ، مرة تجديدها أكثر من اللازم ومرة ترجماتها أكثر من اللازم ومرة .. ومرة .. الا انها تسعى ـ كما يظهر جليا ـ الى حفظ التوازن والى ان تبدو عراقية لانها تصدر في العراق وعنه . فالعراقي يريد ان يرى نفسه فيها ، والعربي والاجنبي يريدان ان يريا الادب العراقي فيها .

واذا كانت الاقلام أدبية فلم هذا الشعار الذي وضعته تحت العنوان : « مجلة فكرية عامة » ؟ لا ، انها ليست فكرية ولا نريدها فكرية ، وليست عامة ولا نريدها عامة . انها أدبية خاصة بالادب ولا تمس الفكر والعموم الا في حدود ما يمس الادب حـدود الفكر والعموم ، كمـا ألمعنا وكما هو واقع على صفحاتها .

ليست فكرية ، ولقد خشيت أن يكون شعارها « تعنى بشـؤون الفكـر » .

الخير للاقلام ـ ولنا ـ ان تبقى الاقلام ادبية كما هي . ويقصد بالكما هي السير في التقدم واشعار القاريء بالاستمرار في التقدم شعرا وقصصا ونقدا وفكرا ادبيا .. واذا كان المقصود من رفع شعار « فكرية » اجتذاب عدد اكبر من القراء فالغرض غير صحيح ثم انها ليست مجلة تجارية ... انها مجلة أدبية ..

طلعت علينا بوجهها الجديد في آب ١٩٧٠ منطلقة من خطة ادبية وهدف أدبي ، حتى بدت الموضوعات الخارجة عن دائرتها ناشزة . ولا اريد ان اذكرك ـ أخي القاريء ـ بمقال طويل اسمه مطالعـات في الادب الاقتصادي

الاشتراكي » لانك تعلم ان كلمة « ادب » هنا استعملت في غير المكان الذي تستعمله المجلة لها ، كما لا اريد ان اذكرك بمقال طويل اخر عنوانه : « ملاحظات في جغرافية العراق » ••• ومقال بعنوان « موقف الثقافة العربية في مواجهة العصر » ••• ولسنا بصدد التقويم ، ولو كنا بهذا الصدد لقلنا ان هذه المقالة الاخيرة ليست قيمة •• ولكننا بصدد صلة هذه المقالات كلها بالاقلام الادبية •

ستقول ـ كعادتك ـ اما يحتاج الاديب الى معرفة بالاقتصادوالجغرافية والرياضيات والثقافة العربية ؟ وسأقول : نعم ، وبديهي ، وحتى العلم بالذرة والريح • ولكنه لا يبحث عن هذا في الاقلام •

ثم لم نأخذ من صفحات الادب والادباء في الاقلام لنجور على صفحات مجلة اخرى وجدت لمثل هذه الامور ، هي ـ وقد عرفتها ـ « المثقف العربي » ففي هذه المجلة نستطيع ان نتقدم بحوثا واحاديث عن مجالي المعرفة كلها قديما وحديثا • شرقا وغربا ، من الفلسفة الى الفن الى العلم الصرف • الى الذرة •• الى الزهرة •• وكل شيء ولا بأس في تحديد النطاق بأن تتبنى شعارا نعلن عنه مثل : مجلة الفكر العربي التقدمي •• ولكن الخيبة في ذلك ان يتعذر التطبيق وانك لا تجد المادة المناسبة •

واذ صدر العدد الاول من « المثقف العربي » في شباط ١٩٦٩ لم تكن الاقلام « المؤسسة في ايلول ١٩٦٤ » على الوجه الذي آلت اليه • كانت كشكولا ، وكانت تراثية اكثر منها ادبية مما دعا الى اصدار مجلة كالمثقف العربي والى ان يعطف على شعارها المتقدم وهو ، مجلة الفكر التقدمي ، شطرا آخر هو « والادب الجديد » وكان للحال ـ انذاك ـ ما يسوغها فلابد ان يجد « الادب الجديد » متنفسا ثم أن الادب جزء من الفكر ومادة من الثقافة ••• ولكن هذه المقولة ضعفت كثيرا جدا بعد تحول الاقلام الى « مجلة ••• الادب الجديد » •

ولهذا ، فانك اذ تنظر في هذين العددين ازاءك تلاحظ ان كلمة « مجلة

فكرية » من غير مكانها من شعار « الاقلام » كما هي وكما يجب ان تكون ، وان كلمة « والادب الجديد » في غير محلها من شعار « المثقف العربي » كما يجب ان تكون …

أجل ، لقد تخلت « الاقلام » عما ليس لها الى « المثقف العربي » ولكن « المثقف العربي » لم تتخل للاقلام عما هو للاقلام ، ولهذا فانك اذ تقرأ فيها عنوانات مثل : مقابلة مع الروائي السوفيتي قسطنطين فيدن ، البرق وديدان الارض (شعر) شيء عن رامبو ، اربع قصائد جديدة ، في مكان ما (قصة قصيرة) ، حكاية في باريس (قصة قصيرة) ثم نقد كتب في المسرحية والقصة مثل محاكمة الرجل الذي لم يحارب ، وخشب ومخمل وحكاية مجانين ، و « ضجة في الزقاق » … تختلط عليك الامور وتحسب انك تقرأ في « الاقلام » …

كان مناسبا ان تحدد وتجدد « المثقف العربي » خطها وخطتها منذ الميلاد الثاني للاقلام ليكون مجال الاختيار امام الاقلام اوسع وليكون محل الاختيار امام القارىء أوضح .. ولتكون « المثقف العربي » نفسها اعمق وامتن … فاذا قيل في الاسباب ان « المثقف العربي » لا تجد المادة التي تعتمدها ضمن اسسها أو انها لا تجد « المشتري » قيل كان عليها ـ اذا ـ ان تبحث جيدا عن مادتها في مظانها ، فان ضافت بها الحال تحولت من شهرية الى فصلية فان ضافت بها مرة أخرى كان التوقف أولى من هذا الاضطراب في الميدان الخاص بها وفي مواعيد الصدور لانها ليست مجلة تجارية تلجأ الى وسائل مفتعلة لفرض نفسها وضمان دوامها .. فاما .. واما ..

أجل ، لو لم تكن « الاقلام » لكان في النهج الحالي للمثقف العربي عاذر . ولو لم تصدر المجلتان عن مؤسسة واحدة لكان عاذر اخر .. وحتى يتهيأ الظرف الواعي الى ان تستحيل « الاقلام » اربع مجلات واحدة للقصة وثانية للشعر وثالثة للمسرح (وهي كائنة الان كغير كائنة) ورابعة للنقد ، على « المثقف العربي » ان تحدد رسالتها .

اننا اذ نطمح ان يقضى على الازدواجية في النفوس والسلوك وفي الدوائر الرسمية ، نطمح ان نكون منهجيين في مجلاتنا .

ثم انه اقتراح الى « هيئة المجلات » لتنظر فيه وهي على ابواب ١٩٧٣ ومن حق القراء ان يكون لهم رأي .

١٩٧٢-١١-٣٠

اعادت نشرها جريدة « العلم » المغربية
في ملحقها الثقافي (الاسبوعي)
١٥ دجنبر ١٩٧٢

اذ يقع البحث في كذا صفحة ...

وكذا تعني ٥٠٠ صفحة ، وتعني الف صفحة ... وأكثر . وهـذه وراثة بدوية وعقلية رخيصة تقيس الاشياء بحجمها فقط ، بل انها ليس وراثة بقدر ما هي سوء فهم للحضارة وافساد للحضارة وعبث في تفسير سماتها وتقرير صفاتها والا فقد اشترط الناقد القديم الجودة مع الكمية بل ان الشاعر القديم قال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه — وفي اثوابه اسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه — فيخلف ظنك الرجل الطرير
فان اك في شراركم قليلا — فاني في خياركم كثير

لم – إذاً فضلنا ان نكون ابناء الطرير على ان نكون ابناء المزير ؟ ان من ابناء الشاعر المزدرى (بفتح الراء) تكونت الحضارة وبصوته استقام العوج . ويسمح لجاهل ان يكاثر بمال وسعة أرض وان يعتز بعضلات ويهتز لفضلات .. ولكن العجيب المريب ان يباهي عالم (بكسر اللام) بضخامة كتابه ويشمخ باحث بعدد صفحات مؤلفه ٥٠٠ ، ٧٥٠ ، ١٠٠٠ ... يا للعلم الغزير ويا للعبقرية الفذة .. أليست العبقرية ضخامة وفذاذة ! وهكذا كان .. وعلى أعلى المستويات ، مستويات البحث العلمي ، الاكاديمي الذي يمنح الدرجة من الماجستير والدكتوراه ، وعلى المستوى الذي اقتبسناه من غيرنا فعبثنا به وأفسدناه . لا ... ان الرسالة العلمية المنهجية لا ولن تعني الـ ٥٠٠ والـ ٧٥٠ والـ ١٠٠٠ وزيدا فما ذلك بوارد في شروطها لدى اهلها ولعل التحذير من الحجم هو الوارد ، لانهم يشترطون اصالة وذكاء وذوقا وعمقا .. وما الى هذه الاشياء العالية من عوال : اما نحن ، ولا ادري – وأدرى –

لماذا وكيف؟ فقد اصبح مجدنا بالـ ٥٠٠ و الـ ٧٥٠ و الـ ١٠٠٠ وزيد، ثم ليكن بعد ذلك في الرسالة ما فيها من خلط وخبط وخرط ـ يا للخاءات الثلاث •

لقد كتب فلان رسالة للماجستير بـ ٥٠٠ صفحة فما اعظمه ! كانت في البداية بـ ٢٠٠ ولكن الاستاذ المشرف استصغرها فطلب اليه ان ينفخ فيها ليحقق المجد من أطرفه ، ولا خشية من التمزق والانفجار لانهما ليسا مما يقع تحت منظار من المناقشين •• اما هذا الذي كتب رسالته في ١٥٠ أو انه كتبها في ٢٠٠ فانه حذر خائف يترقب خشية ان يسقط بيده وان يكون سببا في سقوط له ولاستاذه •• ولم ير بدا ـ في نهاية الحساب ـ من ان يشمر عن يديه ورجليه فيزيد هنا عشرين صفحة وهناك خمسا وخمسين وسبعا وسبعين فكسب بذلك هدوء البال واطمئنان النفس وضمن حسن العاقبة • هل انا امة وحدى ؟ لاساوق العقلية السائدة ؟ فما اسهل ان اخبط خبط عشواء واحشر حشر بلهاء واحشو حشو خرقاء ! واذا المئة الف والمقبول والجيد جيد جدا وممتاز وتكتب الصحف ان الرسالة كانت في ٧٥٠ او في ١٠٠٠ فيستعظم القراء الرسالة وتكون سلما الى الشهرة في مجتمع شاهت سبله ى المجد •

لقد ارادت احدى المؤسسات العلمية في البلاد العربية ان تثبت للملأ انها على مستوى عال جدا وان خريجيها خير من خريجي المعاهد والكليات الاخرى •• ماذا فعلت ؟ احضرت عددا من المنافيخ واعطت لكل طالب منفاخا فأمسك به وراح يضغط ويسحب ويسحب ويضغط حتى جاءت الرسائل بـ ٥٠٠ و ٧٥٠ و ١٠٠٠ ـ فهدأت النفس وزال البلبال •

ـ لا ، لا يا اخي العزيز •• كنت اراك اكبر من ان تفخر بما فعله المنفاخ، كنت احسبك تزن الامور بموازينها ، واطلعني كتابك اليوم منك على ما خفي عني طويلا ••

ـ اني كما عهدت •• ولكن العصر يحب النفخ وما اريد لنفسي ان

اكون اقل معاصرة من هؤلاء الاذكياء الذين احتازوا بالنفخ الوانا من النعم وضروبا من الجاه وصنوفا من المال •• واذا كان هذا كتابي الاول في هـذا الحجم فسألحقه بأشباهٍ ونظائر واذ ابلغ العشرين عدا فقد اختصر في الحجم لان المسألة ستخرج حينئذ من الفخر بعدد الصفحات الى الفخر بعـــدد المؤلفات ••

ـ قد تكون على صواب في نظرة من النظرات ، ولكنك على ضلال في منظار الحقيقة •

ـ منظار الحقيقة ـ واقولها لك وحدك ـ اخر ما يهمني ••

ـ سر ـ اذا ـ وعلى بركة الله !

١٩٧٢-١٢-٧

•

من أحذية بيكاسو ، الى أحذية المتنبي

يتجنب كثير من العراقيين الاعلانعن مخازنهم ومحلاتهم وبضاعتهم باسماء عربية .. ولك أن تنظر في أسماء القمصان وغيرها . ومرد ذلك واضح : فقدان الثقة بالنفس ، ومنح الاخرين ثقة من غير حدود . ولو كان مرد الموقف نظرة عالمية لما كان في الامر بأس ، ولو دلت الاسماء التي نختارها على علم وذوق لكان للأمر من يقبله او يدافع عنه أو يفخر به .

ولكن ...

هذا مصور يسمى محله : رتز . فمن ــ أوما ــ رتز ؟ ولِمَ تلفظ الكلمة بكسر الراء ؟

لقد اطلقته فرنسا على شوارعها وميادينها لانها تعرفه جيدا وهو منها واليها ، انه اديب ورجل دين (كاردنال) ورجل سياسة ترأس المقاومة ضد الملكية ممثلة بلويس الرابع عشر .. وادى به عمله الى السجن في الباستيل ــ ولد سنة ١٦١٣ وتوفي سنة ١٦٦٥ ويلفظ بفتح الراء .

وهذا مصور آخر يسمي محله : ستوديو ريجنت . أيعرف معنى هذه الكلمة ؟ اهي اسم لمصور عالمي ؟ أهي عنوان لمتحف للصور ؟

لقد كان في النظام الملكي المباد شخص لا اخال العراقيين المحدثين كرهوا شخصا كرههم اياه ، لسوء فعله ولسوء خلقه ولغطرسته وعجرفته وخبثه وجشعه ونكرانه للجميل .. حتى ليستحيل على أي يعجبه الدفاع عنه ان يجد فيه فضيلة واحدة او شبه فضيلة . وكانت وظيفته في الدولة كبيرة جدا دون ادنى مسوغ ، كان « اسمه » : الوصي . وفي عهده سمي فندق كبير في بغداد بأسم ريجنت بالاس ، وما كاد تموز يمزق صفحته حتى اصلح الخطأ .

ويأتي بعد هذه الثورة ... وفي هذه الايام من يسمي محله « ستوديو ريجنت » . ولا اشك في انه يجهل ان ريجنت هذه كلمة انكليزية Regent تعني « الوصي على العرش » ..

كان جديرا بصاحبنا ان يختار ـ اذا كان لابد من اسم اجنبي ـ اسماً عالميا من كبار الرسامين : دافنشي . رفائيل . گوگان رنوار .. واذا كانت هذه الاسماء بعيدة عن متناوله او انه لم يسمع بها فهناك اسم معاصر لا يكاد يجهله احد في مشارق الارض ومغاربها ، هناك بيكاسو ، وليس من العيب الكبير ان تسمي محلا للتصوير باسمه .. ولكن صاحبنا اختار اسما لا يمت الى الفن بصلة كأن المهم لديه ان يكون الاسم اجنبيا ، وليكن بعد ذلك ما يكون في دلالته وفحواه .. وليكن : عبدالاله .

واذ تشبث بالوصي على العرش ، سد الطريق على الاخرين في اختيار اسم مناسب . ترى ماذا يفعل بائع احذية من الدرجة الرابعة ؟ ماذا عساه ان يختار ؟ لقد انتهت الاسماء واغلقت الابواب فلا رتز ولا ريجنت .. فما العمل ؟ الامر سهل وعلى الغاية من الهوان . ان كلمة بيكاسو تتردد كثيرا على الالسن في هذه الايام ، في الجرائد والمجلات وفي الاذاعة والتلفزيون ، وهي الى ذلك ذات رنين وغرابة فلأسبق اليها ولأعلقها لافتة طويلة عريضة على مخزني الصغير : احذية بيكاسو .

ولا يمت الامر الى العقل او الذوق باية صلة ، ولو كان فيه أدنى دلالة لرأيناه في باريس او مدريد قبل ان يراه في بغداد ..

ولكن ..

لكن بيكاسو مهما يبلغ من الشهرة والرنين والغرابة فلا يبلغ مدى شاعر عالمي كبير جدا . وأكبر الظن ان صاحب المحل لا يعرف ان الاسم الذي اختاره لمحله شاعر كبير جدا ، والا فما معنى « خياطة شكسبير » كتبت في لافتة كبيرة على باب صغير ؟ ثم ليكن الباب كبيرا ، فهل يغير ذلك من طبيعة الجهل المدقع ؟

وتقول له : لم اخترت شكسبير ؟ فيقول : ما العمل وقد راح مني بيكاسو •• وتقول له : لِمَ لمْ تسمه ـ إذاً ـ بيرون او راسين أو همنكواى؟ يقول : لم اسمع بهذه الاسماء ولو طرقت سمعي لاخترت همنكوي لانه ذو رنين خاص يمكن ان يعوض لي الخسارة ببيكاسو •

لقد فرضت عبقرية شكسبير نفسها على العالم فمجدوها بالالـــوان المناسبة من التمجيد ، ولم نغفل نحن عن هذه المكرمة فابتكرنا ما لم يسبقنا اليه سابق ولا يلحق بنا فيه لاحق : خياطة شكسبير ، مســـكينة لنـدن ، ومسكينة ••

ـ وما فعلناه بتاريخنا لا يقل جهلا •• اما قرأت : مكوى الخنسـاء ؟

ـ اجل •• واحذية المتنبي ••

ـ عجيب ! ولم المتنبي ؟ ألقوله يخاطب كافورا :

وتعجبني رجلاك في النعــل انني   رأيتك ذا نعـل وان كنت حافيا

ـ لا ادري ، ولكن الذي ادريه جيدا انه خشية ان يحار بيكاسو والمتنبي في صبغ احذيتهما أو ترقيعها أوجدت بغداد « اسكافي الخيام » ـ يا لملتقى العبقريات ؟

ـ لقد تعدت المسألة حدود الضحك !

ـ وحدود البكاء !

١٤-١٢-١٩٧٢

المكتبة العراقية

لقد صدرت كتب في العراق وخارج العراق لمؤلفين عراقيين •• ولكن ما اجهلنا بها وبمظانها !•

ـ السؤال الاول : كيف تعرف اسماءها واسماء مؤلفيها ؟

ـ تلك معضلة ، ولكنها حلت بكتاب الاستاذ كوركيس عواد « معجم المؤلفين العراقيين » وهو جهد مضن لولا ولع المؤلف بالموضوع وانصرافه الطويل لما استطاع ان يحقق منه ما يحقق ، لانه عمل لا ينهض به فرد • واذا كانت لك ـ أو لي ـ على الكتاب الضخم من تحفظات وملاحظات فمردهـا صعوبة العلم بالكتاب العراقي وصعوبة ان يعمل معجما للمؤلفين مؤلـف واحـد ••

ـ السؤال الثاني : كيف تطلع على الكتب العراقية ؟ وكيف تصل اليها وتفيد منها ؟••

ـ وهذه معضلة اخرى صعبة الحل لدرجة الاستحالة ، فلا توجد في البلد مكتبة تضمها او تضم أكثرها •• أو نصفها •• أو أقل من ذلك ، وقد تجد عددا في المكتبة الوطنية •• الا ان هذا العدد محدود جدا ، وان الزمن قد فعل فيه فضاع ما ضاع وهلك ما هلك ، وعلينا ان نولي الباقي منه عناية خاصة قبل فوات الاوان ••

إننا نستهين بالكتاب لدى صدوره ولا نحسب حسابا لمكانه من البحث غدا ، فيذهب هباء هنا وهناك وما تمضي مدة قصيرة حتى يصعب ان تجد له أثرا •• فاذا مضت مدة اطول دخل في دور الاستحالة •

انك تريد ان تطلع ، تريد ان تراجع ، ان هذه الكتب التي صدرت بغثها وسمينها مما نحتاج الى مراجعته لسبب ولاخر ، نحن وغيرنا •• ترى ماذا

نجيب باحثا خارج العراق اذا سألنا الاطلاع على نسخة من كتاب ما ألفه عراقي وطبعه عراقي ..؟ سنقول له اننا لا نعرف عن الكتاب شيئا . او اننا لا نملكه، ويتكرر السؤال .. وليس معقولا او مشرفا ان يتكرر الجواب .

تريد ان تدرس الشعر العراقي ، القصة العراقية ، البحث ، التاريخ ، جغرافية .. السياسة والاجتماع .. والمفروض البديهي انك تجد مصادرك في العراق ولكنك تمضي الوقت الطويل دون ان تصل الى هدفك واذا وصلت . تبلغه كاملا وكثيراما تقف عند الهاء من الهدف .

ـ فما العمل ؟

ـ منذ عدد محدود من السنين حتم قانون المطبوعات ان تسلم المطبعة عددا من النسخ الى المكتبة الوطنية ـ والمكتبة المركزية ـ والعمل جيد ، واننا نستطيع منذ ذلك التاريخ ان نجد في المكتبة الوطنية او المركزية الكتاب الذي طبع في العراق وشمله القانون المذكور ولكن هذا لا يكفي اذ المفروض ان يوجد الكتاب العراقي ـ جيدا كان أم رديئا ـ في أكثر من مكان وأكثر من مدينة بل ان نسخة الوطنية او المركزية عرضة للتلف بالاستعمال ، وعلينا ان نحتفظ بنسخة ـ أو أكثر ـ مجلدة للاجيال المقبلة من الباحثين ومحبي الاطلاع .

ثم ان عددا لا بأس به من الكتب العراقية طبعت ـ وتطبع ـ خارج البلد ، ولا يشمل القانون هذه الكتب ، وعلينا ان نحتاط للامر .. ولا سيما فيما طبع ـ ويطبع ـ حديثا ..

ان المشكلة ليست في الحاضر والمستقبل لانها في هاتين الحالتين ممكنة الحل لمن اراد لها حلا .. وانما المشكلة في الماضي .. فيما طبع منذ بدايات الطباعة ، فيما لا تضمه مكتبة وما يصعب الحصول عليه والوصول اليه . وليس معقولا ولا لائقا ان نقول : « ما فات مات » ونقعد طلبا للراحة واستهانة بالمعرفة ، فلابد من العمل الجدي لاستدراك الفائت مهما يكلف الامر .

وماذا يكلف ؟ المال ، ولا اقول المال . الهمة ، ولا اقول الهمة . لان المهم جدا الاقتناع بالفكرة وفهمها حضاريا ومن ثم يرسم المنهج العلمي في الوصول اليها .. ومن هذا المنهج ان ترعى جهة رسمية المشروع وتؤلف لجنة من الاكفاء في الموضوع ممن يعرف قدر الكتاب لدرجة الهواية . ويعلم من شؤون الكتاب العراقي الكثير ، ويهمه ان يجد الباحث - عراقيا كان ام غير عراقي - حاجته ميسرة ..

وقد ترى اللجنة ان تؤسس مكتبة خاصة باسم « المكتبة العراقية » أو ان يخصص جناح معين من مكتبة كبيرة ، ويمكن ان تقوم بهذا المشروع أكثر من جهة ، وربما كانت وزارة الاعلام هي المرشحة لرعاية المشروع بالتعاون مع جهات اخرى .. وقد خصصت وزارة الاعلام لاكثر من سبب ، منها ان قيام هذه المكتبة او المشروع يعد ضربا من الاعلام اذ يمكن ان يزورها الزائر للاطلاع على تطور الكتاب العراقي .. ويمكن ان يعد الكتاب العراقي ضربا من الاثار ، فقد باتت المطبوعات العراقية - لندرتها واستحالة الحصول عليها ولما اصابها من تلف - نوعا من الاثار .

أجل قد تكون مكتبة الاثار انسب ما يناسب المشروع في قديمه وما سيصبح قديما .. والا فقد كدت اذكر المركز الفولكلوري .. ولم لا ؟

المهم اذن التنقيب عن المطبوعات العراقية . وتحصر اللجنة القائمة على المشروع الاسماء ، وتجد مخلصة في العمل على توفيرها .. وتعلن عن الحاجة اليها ولا بأس في أن تعوض من يملك نسخة او نسخا مبلغا يتناسب وقيمة الكتاب التاريخية ، ومن يدري فقد تتلقى من الهدايا ما لا تحلم بالحصول عليه ، وما تحسبه في عداد المفقودات .

ان عددا لا بأس به من المطبوعات العراقية اصبح أندر من المخطوطات .. اذا كنا نعنى بالمخطوطات او اننا ندعو الى العناية بالمخطوطات .. فان الدعوة الى العناية بالمطبوعات لا تقل عن ذلك ..

١٩٧٢-١٢-٢٨

مجلة المكتبة العراقية

يثير موضوع « المكتبة العراقية » فكرة تتصل به ، وقد فرضت نفسها تلقائيا على القلم •• مرتبطة بما يصدر في العالم ، وفي فرنسا على سبيل المثال مرة باسم « مكتبة فرنسا » ومرة باسم « نشرة نقدية للكتاب الفرنسي » •• وتصنف هذه النشرة ـ لنسمها مجلة ـ على ابواب المعرفة المختلفة : المراجع العامة ، الفلسفة ، الدين ، العلوم الاجتماعية ، علم اللغة ، العلوم الصرف ، الاداب •• وتحت كل باب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، والمعلومات اللازمة عن الطبع والحجم والثمن ودار النشر ••• ورقم التصنيف بالمكتبة احيانا •• ويلحق بها اعلانات عن كتب ودور النشر لا تخلو من فائدة •

ويستطيع الانسان ان يكون على صلة مباشرة بما صدرفي فرنسا عن طريق هذه المجلة ، فاذا وقع على ما يخصه وما يريد قراءته او مراجعته سهل عليه تحديده ومن ثم الحصول عليه •

تصدر مجلة المكتبة الفرنسية فصلية ـ كل ثلاثة اشهر ـ وتتولاها جهة رسمية ، تسهل ايصالها ـ لدى الضرورة ـ الى من يهمه الاطلاع والافادة والبحث ••• الاقتناء • اجل •• لان المشروع مربح كما هو مفيد •

ويحدث ان مجالات العلم •• واذاعاته •• في ابواب الاخبار الادبية والعلمية وما صدر حديثا •• تستعين بهذه المجلة فتقتبس ما يناسبها من الأخبار •• فتزيد بذلك من ذيوع الكتاب الفرنسي وانتشاره •• وتخدمه معنى ومادة •

« وللمجلة النقدية للكتاب الفرنسي » طعم اخر ، وهي تصدر شهرية بعناية « جمعية نشر الفكر الفرنسي » على الابواب الخمسة الآتية : ببليوگرافيا •• الادب ، العلوم ، العلوم الانسانية ، المجلات •• وكل باب

يفتح عن فروع •• ففي الادب مثلا : الشعر ، المسرح ، المقالات ، والبحوث ، والروايات والحكايات والقصة القصيرة ، التاريخ والنقد الادبي ، الاداب القديمة ، الاداب الاجنبية ، كتب الاطفال ، وتحت كل فرع كتب مختارة من اجود ما صدر في الشهر يتولى التعريف بها والحديث عنها والحكم على قيمتها نقاد ودارسون مختصون من درجة محترمة جدا رائدهم في كل ما يقولونه الحقيقة والعلم متوخين في عرضهم اقصى ما يمكن من الاختصار والدقة •

وفي الباب الخامس فائدة وطرافة قلما نسر ببال •• عنوانه المجلات والدوريات ومحتوياته ذكر كل مجلة •• صدرت في ذلك الشهر مع ثبت باسماء كتاب العدد والموضوعات التي عالجوها ••

الفائدة كبيرة •• ولكي تتم على وجه احسن تتولى « الجمعية الوطنية للكتاب الفرنسي في الخارج » اختيار مواد من هذه المجلة وترجمتها الى الانكليزية والالمانية لتصدرها فصليا كل ثلاثة اشهر الى القارىء الانكليزي - أو باللغة الانكليزية - او الالماني - او باللغة الالمانية - •

ولم يكن الناس اغبياء اذ يقومون بكل هذه الخدمة للكتاب الفرنسي •

- ذلك الكتاب الفرنسي •• واين نحن منه كما وكيفا ؟

- صحيح وغير صحيح ، فلم الاستهانة الى هذا القدر •• ولم لا تأخذ الامور بنسبها وحجومها • لقد ذكرت الكتاب الفرنسي على سبيل المثال • ولو كانت الامة العربية موحدة لامكن ان يصدر عنها شيء من ذلك لان الذي يصدر من الكتاب العربي في الاقطار العديدة لا يستهان به ويستدعي الاعلام والتعريف •• واننا مقصرون جدا ، بل اننا في العراق لا ندري بما يصدر في المغرب العربي وفي المغرب العربي لا يدرون بما يصدر في العراق ••• وهكذا وكان المفروض جدا بالجامعة العربية ان تقوم باصدار مجلة للكتاب العربي تشرف عليه اشرافا علميا بعيدا عن الاقليمية والغرض الشخصي •••

- سؤالي عن الكتاب العراقي ، وجوابك عن الكتاب العربي ؟

ـ الامر واحد . وحالة الكتاب العراقي من حالة الكتاب العربي . وما نعانيه من الجهل بالكتاب العربي طغى على الجواب .. والا فاننا في العراق، أجل في العراق نفسه ، نجهل ما صدر ويصدر .. وكم من كتاب يطبع ويوزع ـ او لا يوزع ـ يمر دون علم احد به حتى المهتمين بالقراءة والبحث ثم ان الذي يصدر جدير بالذكر والنص .. والتعريف والنقد ، واذا اضفنا الى ذلك باب المجلات وما فيها من موضوعات وكتاب ، كانت الحصيلة لابأس بها . ولا بأس ـ ولم لا ؟ ـ في ان نعنى بذكر المنشورات الرسمية التي تصدر عن الوزارات والدوائر المتفرعة منها .. وان ترصد الموضوعات المهمة التي تعالجها الجرائد اليومية وتكون الحصيلة لا بأس بها ..

ثم تزيد بابا اخر هو « العراق » في المكتبة العربية فتنص على ما يصدر عن العراق من دراسات في شتى نواحيه مبينة المعلومات الطباعية اللازمة مع ملاحظات نقدية علمية .. وتزيد « العراق » في المكتبة الاجنبية ...

ـ اما يكوّن المجموع عددا مناسبا من الصفحات لمجلة شهرية تصدر بانتظام وتشرف على اصدارها هيئة علمية محترمة ؟ اما تخدم هذه المجلة العراق في العراق وفي غيره ؟

ـ أجل ..

ـ فلم لا نأخذ الامر مأخذ الجد ؟

ـ نأخذه ، وليس مستحيلا ان تجد يوما في الاسواق « مجلة المكتبة العراقية » ، وليس مستحيلا ان توزع هذه المجلة توزيعا جيدا وتتولى الجهات الرسمية ايصالها الى الجهات الرسمية في العالم .

ـ حبذا ..

ـ ويا حبذا ..

٤ـ١ـ١٩٧٣

نشرت بعنوان

« من أجل مجلة للكتاب العراقي »

المورد ... ولكن

المورد « مجلة تراثية فصلية » تصدر عن وزارة الاعلام العراقية ولصدور مثلها أكثر من موجب ، اننا نعنى بالقديم كما نعنى بالجديد ... كما وكيفاً .. ثم ان التخصص في المجلات أصبح ضرورة . ولا ينبغي لبلاد لها ما للعراق من حضارة وتاريخ وأدب .. ومؤلفات مخطوطة أن تستهين بالكنز ، وأنى لها ذلك وقد تهيأ لها عدد محترم من الشيوخ والكهول والشباب أحب التراث واصطفى المصطفى منه ، ولزم المكتبات وعاد بالنافع من البحث والجمع والتحقيق ، فاذا لم ترع التراث ضاع ، واذا لم ترع التراثيين ضاعوا .

ولم يكن القرار باصدار المورد اعتباطا ، ولا سيما بعد ان استقلت « الاقلام » بأمر . و « المثقف العربي » بأمر .. وتباطأت مجلة المجمع العلمي على شكل ملحوظ ...

- لو اسرعت مجلة المجمع ، أكان ذلك يغني عن المورد ؟
- لا ..
- لم ذكرتها اذاً ؟
- من باب الاحتياط .

وما كاد قرار الاصدار ينتشر حتى خف التراثيون .. وهكذا أصبح يطلق على جماعة من الباحثين تميزوا فكان لهم اسم يدل على كيانهم - يقدمون من نتاجهم ما يرونه أهلا للنشر مما يهيىء مادة ويصحح خطأ ويؤيد صوابا ويذيع مفهوما .

تم ذلك في سرعة الفرح السعيد . ثم خفتت الاصوات كأن لم تكن فكرة وكأن لم تجهز المواد ، وكأن لم تكن الوزارة جادة ولم يكن مالها وافرا حتى لقد قلق الحريصون على المشروع وكادوا يعدونه مولودا ميتا ولم يخفف من هذا القلق ما كان ينشر ويذاع على فتور : ستصدر .. ستصدر .. لان كل

اذاعة تستثير سؤالا محرجا : متى ؟ ماذا تنتظر ؟

واذا كاد الصبر ينفد صدر مجلد مزدوج للجزء الاول والثاني ، ومع أن الجمع بين الاعداد دليل على الاضطراب ، فقد رحب المهتمون بالمورد : لقد اصبحت الفكرة حقيقة ، والمشروع مجلة ملموسة منظورة ، وعلتهم البهجة لما جاءت عليه المجلة من مادة وتبويب واخراج ، حقا ان المورد مفخرة في بابها ، ويستطيع العراق ان يقدمها هدية الى أعلى (الاكاديميات) والمجلات في العالم ويقول : هاكم اقرأوا مجلتي .. : « .. تحرص وزارة الاعلام على تعميق العلاقة الجدلية بين التراث والفكر المعاصر وتعتبر اصدار مجلة ... مساهمة لابد منها للدفاع عن شخصية المواطن الحديث وحماية اصالته من التبعية والاهتزاز .. » .

كان ذلك في تشرين الثاني من عام ١٩٧١ ، وفي المجلد : الابحاث والدراسات ، النصوص ، فهارس المخطوطات ، العرض والنقد والتعريف ، النتاج الجديد . وأنست أهمية المجلد ألم الانتظار الطويل وأذكت في القراء أملا بعدد جديد في وقت قريب . وقال الاستاذ حمد الجاسر ـ وهو من هو في الموضوع ـ في مجلته الراقية (العرب) : « المورد من المجلات الدسمة .. واذا قدر الله لهذه المجلة ان تستمر فانها ستكون مرجعا في موضوعها وتسد الباحثين في تراثنا بما عجزت وقصرت عنه جل المجلات العربية » .

وهو قول حكيم ظلّ ماثلا في النفس ، يزداد مثولا كلما تمادى الزمن بصدور العدد المرتقب ، ان الشيخ الجاسر تجربة طويلة هي التي أملت عليه أن يقول ما قال ، وهي التي ضمنت الفرحة حسرة وجعلته يبدأ كلامه باذا الشرطية .

ومضى شهر وشهران ، وخمسة وستة والمجلة في مكانها لا تتزحزح ، وأعقب الشتاء ربيع وصيف وخريف وهي في شتائها الاول . لماذا ؟ ألقلة في المال ؟ لا . ألقلة في الموضوعات ؟ لا . رحل الشتاء فماذا ننتظر ؟ وكم ؟ لم يبق منطق للامل ، ولا تجدي الاخبار التي تذاع أو تشاع عن الطبع والورق والتجليد وقرب الميلاد . واذ بلغ اليأس أقصى أقاصيه قالت جهينة :

البشري ، البشرى ، لقد صدرت المورد • أجل ، صدرت وان كانت عددين ثالثا ورابعا مزدوجين ، المهم أن تصدر • وما يبقى بعد ذلك تفصيلات ، أن تحافظ على مستواها ، وما سوى ذلك نوافل •

وها هي ذي المورد مورد عذب ثر ، هو كما عهدناه مظهرا ، ومخبرا : الابحاث والدراسات، النصوص التراثيية، فهارس المخطوطات، العرض والنقد والتعريف • أجل ، وهي مفخرة في بابها ، ويستطيع العراق أن يتقدم بها الى أعلى (الاكاديميات) والمجلات العالمية ويقول : هاكم اقرأوا مجلتي ••

ـ هل من اقتراح ؟

ـ المحافظة على المستوى مع الأحسن ، ايصال المجلة الى الايدي التي تعرف قدرها في الشرق والغرب من علماء ومكتبات ومعاهد ومؤسسات ، التبادل مع المجلات المناظرة لتبادل المنفعة ، زيادة باب للأخبار التراثية ، عمل مستلات من الموضوعات المنشورة ، صور لصفحات من مخطوطات نادرة في تاريخها أو مادتها أو خطها مما تحتوي عليه المكتبات العامة والخاصة في العالم أو مما تضمنته محققات سابقة وفهارس مخطوطات ـ أقول هذا وفي ذهني فهرس مكتبة (چستر بتي في دبلن) ••• الاكتفاء من عنوان الباب الثاني من ابوابها بكلمة « النصوص » فلا موجب لوصف النصوص « بالتراثية » المجلة كلها تراثية واذا كان لابد من صفة فليكن : « النصوص المحققة » ، أو « نصوص معلقة » •

ـ ثم ؟•

ـ الاعتذار عن نشر المواد الضحلة التي يقدمها قلم غير متخصص ، فكثير ما أودت « المجاملات » بشاريع جليلة ، يقابل ذلك ـ أو لا يقابله ـ احترام الاقلام المتخصصة والمواد العميقة واحترام ما بذله اهلها في سبيلها من صبر ودربة واخلاص • ويدخل في الاحترام السعي المنهجي لاجتذاب هذه الاقلام انسجاما مع الغاية وخدمة للحقيقة ، وعلما بأن المورد ليس ملكا لاحد قدر ما هي اعتزاز بالمادة وحرص على الكرامة وملك التراث !!•

ـ تلك بديهية ، فماذا غيرها ؟

ـ انتظام الصدور فصليا •

ـ سمعناه وسمعوه •

ـ لقد صدر العدد المزدوج الجديد في تشرين الثاني بل كانون الاول ١٩٧٢ ، ولا نريد ، ولا نستطيع الصبر حتى تشرين الثاني أو كانون الاول ١٩٧٣ •

ـ مر هذا ضمنا ! أما في نيتك شكر القائمين على شؤون المورد ؟

ـ أما الشكر المشروط ، نعم •• ولم لا ؟

١١ـ١ـ١٩٧٣

وأعادت نشرها مجلة « العرب »

من أجل مكتبة مثالية

جرى في فرنسا استفتاء أدبي قام به اديب معدود هو ريمون كينو (عضو اكاديمية گونكور) بالتعاون مع دار نشر كبيرة هي گاليمار ، موضوعه: مئة الكتاب التي لابد من ان تتوفر عليها اية مكتبة ، وشفع السؤال بقائمة فيها خمسمائة وثلاثة الاف عنوان ليستعين المسؤول بها على التذكر - دون التزام .

وتلقى السائل أربعين جوابا من ادباء ومفكرين جلهم من اعلام فرنسا المعاصرة مثل : جان انوي ، اندره بريتون ، جان كوكتو ، رولان دورجلس، بول اليوار ، اندره موروا ، گايتون بيكون ، جان روستان ، سالاكرو ، جيل سيرفيل ، وقد طبعت الاجابات في كتاب خاص ذيل باهم النتائج التي وصل اليها ريمون كينو ، كان منها ان هناك كتبا مشهورة لم تنل أي صوت في الاجوبة الاربعين ، منها كتاب : ذهب مع الريح ، وان هناك مؤلفين معدودين قوبلوا باستهانة ، منهم كارلايل .

ثم نظمت قائمة بمئة الكتاب الفائزة مبتدئة بالمؤلف (أو الكتاب) الذي حاز أصواتا أكثر .

١ - شكسبير : المسرحيات .

٢ - التوراة .

٣ - بروست : بحثا عن الوقت الضائع .

٤ - مونتين : مقالات .

٥ - رابليه : الكتب الخمسة .

٦ - بودلير : ازهار الشر .

٧ ـ باسكال : افكار •

٨ ـ موليير : المسرحيات •

٩ ـ روسو : الاعترافات •

١٠ـ ستندال : الاحمر والاسود •

١١ـ افلاطون : محاورات •

١٢ـ ستندال : دير بارم •

١٣ـ ڤيون : الوصايا •

١٤ـ رانبو : شعره •

١٥ـ كاردينال رتز : مذكرات •

١٦ـ تولستوي : الحرب والسلم •

١٧ـ سن سيمون : مذكرات •

١٨ـ سرفانتس : دون كيخوته •

١٩ـ راسين : المسرحيات •

٢٠ـ اشيل : المسرحيات •

٢١ـ دستويفسكي : الاخوة كرامازوف •

•••••

٩٩ـ فرجيل : الانياده •

١٠٠ـ برنانونس : يوميات خوري •

واذا نظرت في الاجوبة الاربعين والاعلام المئة عنت ملاحظات كان مثار اكثرها الاستغراب ••• من ذلك :

١ ـ هذه العناية بمحاورات افلاطون كأن لم تكن الجمهورية الى جوارها •

٢ ـ غلبة الاوديسة على الالياذة ، فقد جاءت الاولى في المرتبة السابعة

والعشرين من المئة ، وجاءت الثانية في الرابعة والخمسين • وكان من بين الذين اقتصروا على الاوديسة في جوابهم شاعر مثل بول اليوار او سيرفيل ، وناقد مثل بيكون ، وعالم حياتي مثل روستان ، ومقالي مثل روجمن •

٣ ـ لستندال رويتان مشهورتان (منقولتان الى العربية) هما : الاحمر والاسود ، ودير بارم يقرؤهما الفرنسيون في كثرة واعجاب ، وقد يختصمون في تفضيل الواحدة على الاخرى ، وقد يؤدي الاختصام الى التعصب فيكون احمريون وديريون ورأينا انعكاسا لهذا في الاستفتاء وان كانت النتائج متقاربة : الاحمر والاسود ، عاشرة ، ودير بارم : الثانية عشرة • وقد بذ ستندال فلوبير وبالزاك • وكنت أحسب ان مدام بوفاري من مؤلفات فلوبير تتقدم آثاره الاخرى ، على مدى بعيد ولكن الذي حدث ان تقدمت « التربية العاطفية » اذ جاءت السادسة والعشرين على حين جاءت مدام بوفاري السابعة والثلاثين •

٤ ـ ذكر ديوان الحلاج اكثر من مرة ، وقد ذكره هنري بوسكو مع ديوان المتنبي وديوان اخر سماه « ديوان ابن النديم » ، ولا نعرف ديوانا بهذا الاسم •

وقد ذكر بوسكو عمر الخيام وسعدي وحافظ من شعراء الفرس ، واشترك معه في ذكر الخيام اخرون •

٥ ـ أكبر كتاب المسرحية الفرنسية في القرن السابع عشر ثلاثة ـ لعلهم أكبر او اشهر كتابها الفرنسيين كلهم ـ وهم : كورني ، وراسين ، وموليير• اما موليير فقد جاء ثامنا ـ كما رأينا ـ واذ تجمع التراجيدي كورني وراسين فانهما يختلفان مذهبا ، والاختلاف واضح جدا في نفوس القراء الفرنسيين ـ وغيرهم ـ وقد كتب لي ان اقرأ لهما وان اشهد ، فذهب بي الاعجاب الى راسين أولا •

وقد جاء راسين في المرتبة التاسعة عشرة من الاستفتاء ، وكورني في الثامنة والعشرين •

٦ ـ فولتير وروسو من اكبر كتاب القرن الثامن عشر (ان لم يكونا اكبرهم) • وتبوأ فولتير أعلى المكانة من عصره ، وكان لمسرحياته دوي •• ويؤلف هو وروسو اسلوبين مختلفين ، وقد تجد من يجمع في اعجابه بهما الا ان « المألوف » انك لا تقبل على الواحد اذا انسجمت مع الاخر • وكان هذا ملحوظا في الاستفتاء ، وقد جاء روسو تاسعا ، وجاء فولتير في المرتبة الثامنة والخمسين • فاز روسو بالاعترافات على ما له من كتب رنانة اخرى مثل العقد الاجتماعي وأميل •• وفاز فولتير بالحكايات على ما له من مسرحيات وفلسفة وتاريخ •• واذ احتل فولتير مرتبة اخرى من المئة لم يحتلها بهذه المسرحيات او الفلسفة وانما احتلها ـ وكانت هذه المرة المرتبة الرابعة والثمانين ـ برسائله •

٧ ـ لم أر حظا يذكر للقصة القصيرة وقد ورد ذكر في ذلك لگوگول، الا ان المسؤولين ، كانوا ، اذا ذكروا القصة ، ذكروا منها ما كان حكاية أو قريبا منه . ومن هنا ترددت اسماء : بوكاش ، اندرسن ، برو ، هوفمان ، دوده ، غرين ، كبلنك ، پو ، مريمه • وكان المنتظر أن يذكر موپاسان ، ولكنهم اذ يذكرون عليه ينصون على رواياته كأنه لم يشتهر في العالم بالقصة القصيرة •

ومن كتابهم شارل لوي فليب وقد زاول الفنين ولكنه يرد مقترنا برواياته •

وانتظرت لجيكوف مكانة بارزة بين المئة ولكن الذي حدث انه لم يكن واحدا منهم وأنه اذ يذكر يقرن بمسرحياته ، وان ذكر قصاصا قرن بالحكايات ولا يقرن بالقصة القصيرة الا نادرا جدا ـ وقد يعود هذا لقلة الاحتفال بالتمييز بين المصطلحين الا ان المجموع كله لا يكاد يستحق الاهتمام ولا يدل على المكانة من النفوس •

٨ ـ لا تدخل الاثار العربية الا مرة واحدة في المئة اذ احتلت « الف ليلة وليلة » المرتبة التسعين •

٩ ـ تميز جان كوكتو بانه الوحيد الذي ذكر نفسه في القائمة ، وتميز جورج سيمونان (الكاتب البلجيكي الغزير النتاج الكثير القراء) بأن ذكر في قائمته : القانون الجنائي ، القانون المدني ، الجغرافية الحديثة ، اطلس ، خارطة باريس ، دليل تلفونات باريس ـ انه يستعين بالدليل على اختيار اسماء شخوص رواياته (البوليسية ـ الأدبية) •

وبعد ، فقد جرى هذا الاستفتاء عام ١٩٥٠ ووعد صاحبه ان يعيـــده عام ٢٠٠٠ •

ترى : أيسكن ان نقوم بمثله ضمن ظروفنا وثقافتنا ••• أم ننتظر نتاج استفتاء باريس للعام الالفين ؟•

١٢-٢-١٩٧٣

مرض العالميّة

ليس صعبا في هذا الزمان ان تدعي وان تتكثر ، وان تمنح نفسك من العظائم ما ليس لها وتنسب لاثرك من الاثر ما ليس فيه .. اما اذا كنت قد سمعت عن صفات العظماء وصفات الادب العظيم فانك تفرغ المصطلحات من دلالاتها وتنقل الاسماء الى غير مسمياتها ، واذا كان من حولك مثلك تبادلتما كذبا بكذب ورياء برياء على حساب الحقيقة وحساب القارىء الساذج - أبقي في العراق ساذج ؟ ام انها مصلحة مشتركة !؟

لم يكن الناس في الخمسينات يسمون الفنادق الا باسم واحد متجنبين الصفات ، أما في الستينات فتسمع عجبا وتقرأ أعجب ، فندق (...) الدولي ، وهو لا يزيد على فندق قروي ، وفندق (...) الكبير وما هو بالكبير ، الاول وما هو بالاول ، الحديث وما هو بالحديث ... ثم - وهنا بيت القصيد - فندق (...) العالمي ! ترى كيف صار عالميا وهو محلي ؟ ومن أين جاءته هذه الصفة ؟ وما السبب في هذا البهتان ؟ لا بد ان يكون ذلك من روح العصر . ان العصر الستيني يحتمل الكذب ويجوز عليه بل يطلبه ويرتاح اليه !

كيف تسمح لنفسك يا صاحب الفندق ان تسميه عالميا وانت تعلم انه ليس من العالمية في شيء ؟ ان ألسنتنا تنزلق في يسر ، وعقولنا تتدهدى في لين ...

لا .. ما كان هذا يقع في العراق .

نعم .. ربما سمعنا شيئا منه خارج العراق في القاهرة أو بيروت . كنا مرة في « زحلة » وكان بائع حلويات دوار يصف حلوياته بانها عالمية فاستنكرنا وسخرنا وعجبنا ، اما الان فقد الفناها حتى في العراق .

اليس في ذلك من فارق نفسي بين جيلين ؟!

كان الرجل يملك مائة دكان مجتمعة الى بعضها فيسميها سوقا ـ بالمفرد ـ اما اليوم فيكفي ان تستأجر دكانا فتسميه اسواقا ـ بالجمع •

كانوا يقولون : المطبعة الفلانية ، ومطبعة فلان ، وقد يكون لفلان هذا أكثر من مطبعة واحدة ، اما اليوم فيسمونها : المطابع الفلانية ومطابع فلان ـ وان كانت مطبعة واحدة ـ كنت اسمع أن في بيروت مطابع (•••) فلما كتب لي أن أراها ، وجدتها أضيق مساحة وأقل آلة من مطبعة ••

اليس في ذلك من فارق نفسي بين جيلين ؟!

كان الاديب في الخمسينات يثقف نفسه جيدا ويقرأ بالعربية وبغير العربية ، ويطلع على الاتجاهات في العالم ويميز ما هو انساني وما هو غير انساني ••• ويجمع همته ويستثير قريحته فينظم القصيدة او القصيدتين ••• ويكتب القصة او القصتين •• وفيها اشياء كثيرة • ولا يجرؤ ان يقول : اني عالمي ، واني اضيف الى حضارة العالم وادب العالم ، واني ••• واني •••

أما اليوم ••• ومنذ الستينات فما يكاد الصبي منا يكتب قصة حتى تكون قصته هذه عالمية ، وما يكاد يقرزم قصيدة حتى تكون قصيدته عالمية •• تتصل بافكار العالم ، وينفلت يعدد شريطا من اعلام الادب في فرنسا وأمريكا وانكلترة •• يتصل بهم أو يتصلون به • انظر انهم يتحدثون عن آخر المدارس الادبية واخر المذاهب الفلسفية ، ان أدبهم فلسفة وفلسفتهم أدب ، شعرهم عقل وارادة •• وقصتهم ضياع وقلق ، ثم انهم شعراء جدا عندما يكتبون القصة وقصاصون جدا عندما يكتبون الشعر ، انهم ارفع من أن يعنوا بالبيئة المحلية وأعلى من أن يقولوا ما يفهم ، وكلام كثير فانني أكثره ولا أجد فيما بقي منه جدوى ، لقد اصبحوا صناع كلام •

وليست المسألة لدى التحقيق مسألة ان الخمسينيين محليون وان الستينيين عالميون ، فانك قد تجد عند اولئك ما هو ابعد من المحلية ، انها مسألة فارق نفسي بين جيلين •

ـ له عوامله .

ـ طبعا ..

ـ لو انغمس خمسيني في عالم الستينيين وعاش معهم وعمل على مبارزتهم والاتناج الى جوارهم ، ايقع في دعوى العالمية ؟

ـ يقع ويزيد .. لانه يحمل بذرة الريادة في هذه الحالة النفسية ، ويزيد لانه يريد ان يبقى في الصدارة منهم ...

ـ هل انت متعصب لاهل الخمسين ؟

ـ لا ، فلهم نواقصهم ، ولكني أردت ان يكون اهل الستين تطورا طبيعياً . فحالت امور دون ذلك .

ـ هل انت متفائل ؟

ـ على المدى البعيد . آجل ، سنسير ونسير حتى اذا احتوانا الاعياء ادركنا اننا نبتعد عن العالمية ، وان علينا ان نبدأ كما تقضي طبيعة الاشياء ، وكما تقضي العالمية الحقيقية ، وسنشترط في القاص ان يكون قاصا ، وفي الشاعر ان يكون شاعرا .. أما العالمية فلها شروط اخرى ...

١٧-٢-١٩٧٣

الرد على النقد

نشرت في آفاق ١-٢-١٩٧٣ خاطرة بعنوان « قصة الستينات كانت صادقة » ونشر الاستاذ زهدي الداودي في آفاق ٢٣-٢-١٩٧٣ « قصة الستينات هل كانت صادقة ؟ » ، وقد قرأت الرد مرتين ، الاولى لأتبين الاساس فيه وقد رأيت الكاتب لخص هذا الاساس منذ البداية « اني أخالفه الى حد ما ... » ، والثانية اعجابا مصدره علم الكاتب بالموضوع ، واخلاصه للحقيقة ، وحرصه على بيان ما يراه في دقة واناة وادب .

وكان وما يزال - في امكاني أن أطيل في « الموضوع » ، ولكنه لايحتمل أكثر مما ورد في « الكلمتين » ، ويستطيع أي قاريء ان يتبين مايمكن ان يكون تكاملا فيهما ، وتبقى تفصيلات لا تستحق ان تكون مجال أخذ ورد ولا سيما ما كان منها خارج حدود الخاطرة .

شكرت الاستاذ الداودي أكثر من مرة ، كأني وجدت فيه المثال الذي يقدم لدى الحديث على نقد النقد وكيف يكون .

- كيف يكون ؟

- هكذا يكون : ان يصدر عن علم وبأدب دون ان تمر بذهن المتصدي فكرة الرد بأي ثمن ، ودون تعمل مأتاه خلاف سابق وثأر قديم وحقد دفين ، ودون قصد الى اهتبال ازل فرصة للكتابة لكي يقول : اني كتبت ، واني رددت .

لقد كتب الداودي لانه احس مؤمنا بأنه يجب ان يكتب ، وعرف واعيا كيف يكتب ، والا لما كان لنقد النقد موجب .

ان المرء منا ينقد أثرا او يرصد ظاهرة بما يراه في نفسه صحيحا وما يرى به نفسه مسؤولا ان يذيعه في الناس . وينشر هذا الذي يكتبه في جريدة

او مجلة فيقرأه من يقرأه من الناس ، فان كان على الغاية من الصواب اطمأنوا اليه ، وان كان فيه مجال الى أخذ ورد وتعليق ، وجب ان يبينوا ما خالجهم من شك وبدا لهم من رأي ، وإن كان القــارىء أديباً كاتبا أعـــاد القراءة مدققا فاحصا مستعينا على رأيه بالمتابعه والمراجعة ثم يمسك بالقلم فيكتب ما عن له ووصل اليه خدمة للكاتب الاول ، وخدمة للقراء الذين لم يكونـــوا على علمه او لم يخالجهم ما خالجه .

نقول : الانسان عرضة للخطأ .. ومع هذا نعرض آراءنا وكأننا معصومون منزهون ، حتى اذا انبرى من ينبهنا الى صواب او يزيدنا علما ، استشطنـا غضبا وعددنا ذلك منه اهانة لنا وارقنا ليلتنا كمن مس شرفه او دنس عرضه ، ولا تسل بعد ذلك عما نضمر من شر ونبطن من انتقام ..

يا للمغالطة والمناقضة ! متى نرتفع قليلا عن مستوى الجاهلية الجهلاء ؟ متى نرحب من صدورنا والمسألة ليست اكثر من مناقشة بأسلوب لبق أديب ؟ متى نخرج من هذا المضيق وقد اجتازه العالم منذ قرون ؟ لقد تحضر العالم وبقينا نعاني حساسية مفرطة مفادها ضعف الثقة بالنفس ومؤداها الجهـل بمفهوم العزة والكرامة والسمعة .

ثم ، لم هذا الغرور ؟ وبماذا ؟ ايزيد اكبرنا في النقد على مبتدىء مازالت مسيرة أمامه طويلة طويلة ، وعليه ان ينطلق من الشعور بمسؤولية ابدايـة وما سيترتب عليها من نهاية .

ان القعود عن نقد النقد مضر كالقعود عن النقد نفسه . واذ ينفع النقد منشىء فيبصره بخيره وشره ، فان نقد النقد ينفع الناقد ويقيه تكرار الخطأ ، وان الناقد الذي يسد عليه منافذ التنبيه وسبل الرد يخسر كثيرا ، ويكفيه خسارة ان يكتشف الناس عيوبه ويبقى هو وحده جاهلا .. ناقصا ..

وبعد ،

فقد كتبت خاطرة رد الاستاذ الداودي عليها ، ومع اني ما زالت عند خطرتي في مجملها الا ان ما عرضه الاستاذ الداودي زاد المسألة عمقا ومنحها

اتساعا ، وخرج بها من الخاطرة الى البحث ، وهيأ بذلك ما ينفع صاحب الخاطرة وينفع قارئها • وكم يسعد كاتب الخاطرة ان تستثير خاطرته القراء وان تكون عاملا يستحث النقاد الى الرد والتنبيه والتوضيح ليرى القراء خلال النقاش الكريم القضية من زواياها كلها •

أجل ، القراء ، وقد نسيناهم ، لا لانهم الاصل فيما يكتب وينشر فتلك بديهية ، ولكن فيما هم حكم له شأنه • انك عندما تكتب شيئا وتنشره فيجيء ثان ويبين ما فيه من ابهام او نقص او خطأ فإنك وأياه تعرضان نفسيكما على حكم قد يكون ادق من الاثنين وابصر بالمقابلة لانه ينظر القضية التي تناقش هادئا موضوعيا • وكان اللازم ان ندرك هذه الحقيقة مبكرين وكما هي ، واذ ندركها نفسح المجال واسعا لنقد النقد ، فما كل ما يقوله معقب على نقد يؤخذ على ظاهره وكما يريد صاحبه ، ان القراء اذكى من كاتب يستغبيهم واعلم من ناقد يستجهلهم •

اريد ان اقول _ وليلاحظ جيدا ان المسألة خرجت من حدود القصة الستينية وما قلته فيها وما قاله الاستاذ الداودي _ لم نخشى الرد ؟ لِمَ نخشى نقد النقد ؟ ان كنا كتبنا شيئا ونحن مخلصون وتبين لناقد اخر نقص وهو مخلص فان في ذلك ما يجنبنا الاستمرار على النقص ، وان كان ما كتبناه صحيحا وجاء الشخص الاخر فتعمل وتمحل وماحك وغالط وأراد ان يكتب بكل سبب أو أن يشفي غلا او ان ينفس عن عقدة فانه يدين نفسه ويسقط وسط المجموعة الواسعة من القراء •

وبعد ، مرة اخرى ،

لقد قرأت كلمة الاستاذ الداودي وسررت ان يكون بيننا من يرد بهذا العلم وعلى هذا الادب •• ومضيت لامري •

وتلقاني فلان فسألني : أقرأت ؟ قلت : نعم • وتلقاني فلان وسألني : اقرأت : قلت : نعم •• وزاد عدد الفلانين عن المعقول ، فاحسست ان في الامر سرا ، ونظرت الى ما وراء السؤال واستعدت ما وراء العيون فادركت جانبا

لا بأس به من السر • انهم يسألون لانهم يستغربون ان يرد فلان على فلان ، ولانهم يريدون ان يروا اثار الاستياءفي فلان من رد فلان • وقال بعضهم — — اترد عليه ؟ فقلت : لا ، ولم ؟ لقد كان على الغاية من الاخلاص والادب ، وانتظر اخرون السب والشتم والثورة ليبلغوا هدفا في نفوسهم وليتفرجوا على السينما مجانا ، ولكنهم اذ لم يحظوا بما طمعوا به شعروا بخيبة امالهم •

وهنا ، هنا فقط ، احسست بالواجب في ان اكتب •• ردا على اولئك لذين لم يتعودوا الرد العالي ولم ينتظروا القبول الحسن ، وشكرا للاخ زهدي لما هيأ لنا من دواعي النظر وفرص الارتياح •

— اكتب ؟

— اكتب ، وراح صديق كريم يبين نيابة عن القراء أهمية الكتابة في مثل هذا الموضوع ، ان ندرك قيمة نقد النقد ، ان نعتاده ، ان نرتقي الى مستوى الامم المتحضرة ••

— وددت لو ان نقطة الاختلاف كانت أشد ، اذن لكان رد الداوودي أبلغ، وكان اعتراف صاحب الخاطرة اوقع وشكره أدل •

تحية للاستاذ الداودي ، والى امثالها •

١٩٧٣-٣-٢

ثقافة الحكم ..

للرياضة البدنية سوق رائجة ، تعنى بها الامم ، وتتناقل اخبارها الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وتتبوأ كرة القدم مكانا خاصا ، ولهذه اللعبة ـ كما لغيرها ـ حكم ، واقل ما يشترط في الحكم عمله بأصول اللعب ، الفرق وعدد اعضائها ، الاحتياط ، الخطوط ، الهدف ، الاصابة ، الخطأ ... ولا تجد حكما لا يعرف هذا ، ولا تقبل فرقة او مدرسة او امة ان يكون الحكم جاهلا بشروط اللعبة واسرارها لان ذلك عيب كبير يعود عاره على المتسابقين وعلى الحكم نفسه ، زد على ذلك ما يجر هذا الحكم الجاهل من فوضى المقاييس واضطراب القيم .

هذه بديهية في الرياضة البدنية حتى في العراق ، ولكنها ليست بديهية في الشؤون الثقافية ، فاذ نقول : يشترط في الحكم الثقافي ان يكون عارفا بالموضوع الذي يتصدر للحكم فيه كأن يقرأ السؤال جيدا ، ويقرأ جوابه جيدا ، نلتفت ، فنجد الواقع مؤلما مؤسفا .

كانت الاذاعة السعودية تقيم مسابقات ثقافية وانتدبت لهذه المهمة حكما اردنيا ما تكاد تسمعه يلقى السؤال او يفسره او يعلق عليه حتى تراه في مكانه ، انه المرء يؤدي لكل شيء حقه كأنه العالم بكل شيء : الفيزياء . الكيمياء ، الحيوان ، النبات ... ولا تسل عن الفلسفة والجغرافية والتاريخ والادب واللغة العربية ، والشعر العربي . انه اذ وضع نفسه هذا الموضع الدقيق عرف ما عليه من ثقافة عامة ومتابعة لما صدر ويصدر وما يجب ان يتمتع به من رقة في السلوك وادب وذوق .

ولا شك في انه كان يبذل جهدا خاصا في كل مسابقة ثقافية يجريها ، والا فمن المستحيل ان يكون انسان على هذا العلم الحاضر ، والاستعداد واجب

وسر من اسرار مهنته ، لأن ظهوره بمظهر العارف اساس في روعة المسابقة واساس في نجاح القيادة ، ان الحكم وجه المسابقة •

كنا نعجب به في حدود ما يعجب انسان بالنجاح الطبيعي ، اما اليوم ، وكلما جرت عندنا مسابقة ثقافية ارتفع مستوى الاعجاب بالماضي •

كدت أقول : كان اعجوبة ، فأحجمت ، ثم لما نظرت الى ما فيه الاخرون من تقصير في مهمتهم ، واستهانة بالناس ، عدت فمنحته حقه • كان اسمه : عسر الخطيب ، وصار من حقه علينا النص على اسمه والتنويه بذكره ، انه لم يخطىء في مادة ولم يسىء في أدب •

أجل ، فلم يكون الاخرون منا اعجوبة ، اعجوبة صغيرة ــ في الاقل ! ــ ماذا يعوزهم ويعوزنا ؟ اننا عندما نستمع الى المحكمين في مسابقاتنا وهم يقرأون الاسئلة في تلكؤ ويفسرون الصحيح بالخطأ نكاد نغور في الارض خجلا ، فاذا عدنا الى مقاعدنا دفعنا الامر عنا وقلنا : لسنا مسؤولين ، فلم لم يجهز الحكم نفسه ، بما يلزم ؟ لم أخذ على عاتقه ما ليس له ؟ ولكنه « تبرير » ليس غير ، فكلنا مسؤول ابتداء من الحكم وانتهاء بالسامع ، وبالعكس ذهابا وايابا ، في الصغيرة والكبيرة ، لئلا تتكرر المأساة ! أو لنخفف من الاسى الذي نعانيه والشدة التي نقاسيها •

لقد هممت ان اكتب في الموضوع ثم احجمت • لم هذه الكتابة ؟ ما جدواها ؟ كم تهدر من حبر ؟ فطويت الورقة ، ثم جد جديد فنشرتها • ففي ساعة كذا من يوم كذا من شهرنا هذا من عامنا هذا ، فتح الراديو واذا « مسابقات » ، واذا الحكم يقرأ للفريق (أ) السؤال :

قال أحمد شوقي :

يموت راعي الضأن في سريه ميتة جالينوس في طبه

ويظل يكرر احمد شوقي ، سريه ، ويسأل عن جالينوس •

العجب العجب !• ولم العجب العجب ؟ أهو أول خطأ في تاريخنا الثقافي

المعاصر ؟ ان الحكم مثل غيره ، ومعد البرنامج مثل الحكم ، وانا وانت مثل هذا وذاك .

قال الحكم : البيت مشهور جدا ، واذا كان الامر كذلك ـ وهو كذلك ـ فلم نخطىء فيه ، ولم لا نعرف صاحبه ؟ لم لا نعرف انه ليس لاحمد شوقي وانما هو لشاعر اشهر منه ؟ لم قرأ الحكم سريه ولا معنى لسريه ؟ انك ـ اخي الحكم ـ ادنت نفسك اذ قلت ان الشاعر مشهور ، والبيت مشهور ، وان كانت الادانة حاصلة منذ البداية ، مذ وضعت نفسك في موضع لم تستعد له . ولكننا لسنا مسؤولين عن البدايات ـ ولا عن النهايات ، لان القضية ـ كما قلت ـ ليست مسؤولية قدر ما هي تخفيف الم وتفريج كرب .

أخي العزيز ، لم يقل احمد شوقي هذا البيت ، ولم ترد في البيت ـ من كان قائله ـ كلمة سريه . ان البيت مشهور ، وصاحبه اشهر .

انها فضيحة ، لان الغلطة في الاذاعة بلقاء تخرج من يد المذيع في يسر وتصل الى العالم في يسر أيضا . تسمعها لندن ، وتسمعها تل أبيب ، فماذا يقول عدو يرانا نجهل الف باء أدبنا ؟ وماذا يقول صديق ؟ وماذا يقول المسيو بلاشير ؟

تقول : لست المسؤول الوحيد وانما انا حكم اقرأ ما كتب لي ، وقولك صحيح . ولكن الخطأ فظيع . ستقول : المسؤول الاول معد البرنامج فهو الذي نسب البيت وهو الذي كتبه ، وعذرك يمكن ان يقبل في وجه من الوجوه . الا ان المسألة ليست مسألة دفاع وهجوم . وانما هي مسألة التروي والمراجعة والدقة والتثبت والشعور بالمسؤولية . كان جديرا بالحكم ان يعرف قدره ، وجديرا بمعد البرنامج ان يتأكد من القائل وان يتأكد من رواية البيت ، وان لا يضع تحت الباء نقطة طويلة تحولها ياء ...

هي مسؤولية الحكم ومعد البرنامج ... والفريق (أ) والفريق (ب) ، فليس من الصحيح ان يجتمع هذا العدد من المثقفين المتسابقين وليس فيهم من لم يعرف قائل البيت او من يلمح الخطأ في قراءته ، لقد كانوا يعرفون اشياء

كثيرة ، ويميزون جيدا بين اغنية لزهور حسين واغنية لهيفـــاء حسين ، ويزيدون على تمييز الاغنية تمييز الصوت وثقافة خاصة في الموضوع ، امـا كان مناسبا ان تتسع ثقافتهم الى شيء من أوليات تاريخنا الادبي ؟ ام اننا على جهل بالاسرار •

قال الحكم : قال أحمد شوقي :

يموت راعي الضـــان في جهله   ميتــــة جالينوس في طبـــه

قال : احمد شوقي وليس ذلك بصواب ، وقال : سريه وهي سربه ، ويوردها في هذا البيت وهي قافية للبيت الذي يليه •

الرواية الصحيحة : قال المتنبي :

يموت راعي الضـــان في جهلـــه   ميتـــة جالينوس في طبـــه

وربمـــا زاد عـــلى عمـــــره   وزاد في الأمـــن على سربـــه

أجل ، ليست المسألة كشفا لمجهول او حسابا او عتابا ، وانما هي تخفيف عن ألم وتفريج عن كرب ••

وليس غير •••

١٩٧٣-٣-٨

الرصافي بضم الراء ..

بغداد جانبان : الكرخ والرصافة . اشتهر فيها « ولي صوفي » باسم معروف الكرخي نسبة الى الكرخ . وكان السيد محمود شكري الالوسي يلقي دروسه في جامع الحيدرخانة ، فدلف الى « حلقته » فتى لا يدرى كيف دلف – اسمه معروف ، ولد في محلة القرهغول من بغداد ، واسم ابيه عبدالغني – جندرمة – .

دل الفتى على نباهة وجد فاخذ السيد الالوسي « يعتني به عناية خاصة » ويرعاه ويبدي له اعجابه به ، ومما يروى من سمات التشجيع ان قال له : ذلك معروف الكرخي وانت معروف الرصافي فأوجد له هذه النسبة الى الرصافة وذهبت لقبا له – والرصافة بضم الراء – ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي من لا يصدق .

وصح ما توسمه الشيخ في فتاه وصار معروف الجديد أديبا شاعرا ، لقبه الرصافي : قال الرصافي ، نظم الرصافي .. هذا شعره وهذا ديوانه ، وهذا معه وهذا عليه .. والراء تتقلب على السن العراقيين بين السماء والارض والصحة والمرض فمن ضم الى فتح ومن فتح الى كسر حتى لم تعد تدري الصحيح من الخطأ ، وربما اختفت الضمة ، وربما سادت الفتحة وتشدق الفاتحون فاشبعوها حتى قاربت ان تستحيل الفا .

وقع في ذلك العامة والخاصة ، الاساتذة والطلبة ، وليس الامر مقبولا، لانه يدل على العبث والتحريف . ان الراء ، راء الرصافي مضمومة ، فلم لا نجمع على لفظ الرصافي بضم الراء ؟ قد يعزى ذلك الى الاستهانة في ضبط الاشياء ، قد ، ولكن هذا ليس سببا .

ونحتفل في المناسبات بذكرى الرصافي ..

واعدت الاذاعة برنامجا مناسبا اجاد معده الاستعراض وجود في التقاط ما يمكن ان يقال .. ولكن العيب في الذين قدموا هذا البرنامج . اما كان جديرا بهم ان يقرأوا ادوارهم قبل ان يتقدموا الى المذياع ؟ اما كان قمينا بهم ان يرجعوا الى الديوان ؟ اما كان حقيقا بهم ان يعلموا ان الرصافي بضم الراء؟

يبدو ان هذه اسئلة لا جواب لها او انها اسئلة غير واردة ، ان لم تكن مستنكرة ، والا فما الفرق ــ لدى من لا يضبط ــ بين ضم الراء وفتحها وكسرها ؟ ان الرصافي هو هو على اختلاف الحركات ، ايمكن ان يذهب الظن الى غيره ونحن نحتفل بذكراه ونقرأ شعره ؟!

نقرأ شعره ! وكيف قرأناه ؟ وكيف قرأنا البرنامج المعد ؟ لقد رفعنا المنصوب ونصبنا المرفوع واحترنا في المجرور ولا سيما المضاف اليه ، فكثيرا ما نصبنا هذا المضاف اليه الذي حقه الجر كأننا لم ندرس الموضوع منذ نصف الرابع الابتدائي !

أما كيف قرأنا الشعر الوارد في البرنامج .. فلا تسل ولا تلح في السؤال .. قلنا مثلا : « تقاذفه الدروب » بفتح الفاء كأنها اخر حرف لفعل ماض مبني على الفتح ، الم يكن في العربية الفعل الماضي : تقاذف ؟ وتقول في الجواب : بلى ، فيها . ولكن الذي في بيت الرصافي فعل مضارع حذفت منه تاء المضارعة ــ ويحدث ذلك في الشعر ــ هو الاصل : تتقاذفه الدروب ، فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة على الفاء ثم حذفت تاء المضارعة وبقيت ــ بالطبع ــ الفاء مضمومة اي تقاذفه الدروب ــ بضمة على الفاء ..

والبيت هو :

سكنت الخان في بلدي كأني　　　أخو سفر تقاذفه الدروب

وقد ورد في قصيدة بعنوان « تجاه الريحاني ، شكوى خاصة » وفيها يقول :

الى كم أستغيث ولا مغيث　　　وأدعو من أراه ولا مجيب

أقمت ببلدة ملئت حقودا على فكل ما فيهـــا مريب
أمر فتنظر الابصار شزرا الي كأنســا قد مـر ذيب
وكم من أوجه تبدي ابتساما وفي طي ابتسامتها قطـــوب
سكنت الخان في بلدي كأني أخو سفر تقاذفه الدروب ..

الفعل تقاذفه ، فعل مضارع اصله : تتقاذفه ، والفاء منه مضموعة على الحالين ، وقراءته بفتح الفاء خطأ في النحو يدل على خطأ في المعنى ....

على أن الخطأ في المعنى يتضح على وجه غير مشرف اذ وردت في البرنامج « عيني » بدل « عني » مما يضلل من لا يعرف الاصل ولا يتذكر قصيدة « ايقاظ الرقود » .

قال البرنامج : « اليك اليك يا بغداد عيني » . واقل ما يفهم من ظاهر هذا القول ان الشاعر راض عن بغـداد كل الرضى ، وانه يحبها ـ اذ قال ـ غاية الحب حتى انه ليمنحها عينه او يفديها بعينه او ما اشبه ذلك . وليس شيء من هذا واقعا في حقيقة الامر ، لقد كان الرصافي اذ نظم القصيـدة حانقا على بغداد ضائقا بحالها . لقد دعا قومه الى الاستيقاظ فما استفاقوا ولا استجابوا واعياه الامر حتى هتف متبرئا :

اليك اليك يا بغـــداد عني فاني لست منك ولست مني

ولا يمكن ولا يعقل ان يقول امرؤ في مثل هذه الحال : اليك اليـــك يا بغداد عيني ؟ لا يمكن ان يقول شاعر ولا يمكن ان يخطيء قـاريء .. ففرق كبير في المعنى بين « عني » و « عيني » وابتعدي وخذي ...! ومع هذا الفرق الكبير جاءت في الاذاعة على الوجه الخطأ التي لا يمكن ان يقع فيه احد .. لقد جاءت « عيني » بدل « عني » ... فكان ذلك عجيبا وليس عجيبا .

ـ أيلام بعد ذلك امرؤ اذا استشاط غضبا ؟

ـ وتبسط في توضيح الخطأ ؟

ـ وحمد للمصادفة انه لم يسمع من البرنامج الا ذيله ؟

١٩٧٣-٣-٢٩

اذا تحولت العمامة الى سدارة !

للمهرجانات الادبية العراقية سمات كثيرة ، منها انها تدعو الشخص الواحد أكثر من مرة خلال سنة واحدة لصلة مباشرة بالمهرجان ولغير صلة وفي ذلك مساوىء ومحاسن ، اما المساويء فلسنا بصددها ، واما المحاسن فأن يتعرف الاشقاء العرب على شقيق لهم فيحسنوا الحديث عنه ويتعلموا اقل ما يمكن ان يعلم أخ من اخيه تعويضا عن فساد سابق في النفوس ، وفي السياسة وفي الثقافة .

وكان من هذه المحاسن ان دعي الى مهرجان ابي تمام ادباء بينهم من كانوا كبارا بنظر شبابنا ..

وبعد اشهر معدودات اي في الاسبوع الاول من نيسان ١٩٧٢ قام المربد الثاني ، فدعي الادباء الذين دعوا أمس ، وأصدرت « مجلة الاداب » البيروتية ملفا خاصا بالمربد ثم اسندت « نقد » الملف الى الاستاذ سامي خشبة، ولكن الاستاذ سامي خشبة اراد ان يدل على الاستاذ خشبة فرأى لزاما عليه أن يكون أكثر من ناقد ، فكان من ذلك ان قال :

« المربد ، كان سوقا للجمال ، سفن الصحراء ، منذ تأسست البصرة الاسلامية بعد الفتح العربي ، ومع الجمال يأتي البدو الفصحاء ... كان العرب يذهبون الى المربد من عدن ومصر والعراق والجزيرة وايران ويبحثون عن لغتهم الاصلية التي كانت على وشك الانقراض مع هجرة العرب والقبائل الى البلدان المفتوحة وابتعادهم عن البادية » .

وقد فسر الاستاذ سامي خشبة الجمال بسفن الصحراء . فما السبب في ذلك ؟ أهو بيان العلم ام زيادة الايضاح ام الاعراب عن الخيال ؟ وأورد البصرة الاسلامية ... فهل هناك بصرة غير اسلامية تأسست قبل الفتح ؟

وأورد الكاتب ان العرب يذهبون ـ أي يأتون ـ الى المربد من مصر والشام الخ ••• فمن جاء من مصر الى المربد ؟ وما الدليل وما المصدر ؟ ثم لم يأتي العرب من الجزيرة الى المربد يبحثون عن لغتهم الاصيلة اذا كان الذين يأتون من الجزيرة هم من البدو الفصحاء ؟

وقال الاستاذ سامي خشبة فيما قال :

« ان في المربد عبر العصور ، تألق علماء اللغة وفروعها المختلفة الى جانب الشعراء المبدعين ، وتألق علماء الموسيقى الى جانب الموسيقيين والمغنين ، وتألق الفلاسفة واصحاب المنطق وعلماء الرياضة •• ومن مجموع هذه العلوم الثلاثة الشعر والموسيقى والمنطق والرياضة تكون عقل الخليل بن احمد الفراهيدي مثلما تكونت مدرسة « البصريين » في علوم اللغة ، وهي التي كانت واحدة من اشهر مدرستين ـ الى جانب مدرسة الكوفة ـ في هذه العلوم ، وهـذه الاخيرة في العراق ••• »

كلام في مجمله يقوم على المبالغة والتضخيم وفقدان الحس التاريخي ، ولا يعتمد مصدرا او يستند الى دليل ، فمن قال عن المربد كل هـذا ؟ وأين تقرؤه ؟ كم هم علمـاء الموسـيقى الذين تألقوا في المربد ؟ وكم هم الموسيقيون والمغنون والفلاسفة والمناطقة ؟ لو كانت المسألة على هذا «الثخن» لوجد المؤلفون عن « المربد » ما اخرجوا فيه سلسلة من المجلدات . ولما ضاق الامر بالمختصين عن أن يؤلفوا كتيبا واحدا عنه ؟ ولعل اصدق ما ورد في كلام الكاتب ان الكوفة تقع في العراق كأن المسألة من الخفاء بحيث تستدعي هذا الاكتشاف الجغرافي الخطير !

وقال الاستاذ سامي خشبة : اشياء اخرى كلها طريفة . ولعله كان يقصد بها التمهيد الى صلب نظريته فكان ان قال :

« كنت حريصا على أن افهم لماذا يصفق الجمهور الذي تتكون اغلبيته الساحقة من الشباب ، لشاعر يلقي قصيدة تقليدية عمودية موضوعها عذابات

الحسين ••• بينما الشاعر عجوز اعمى تجاوز المائة ، يضع على رأسه «فاروقية» سوداء علامة الحزن على ابن بنت رسول الله ••• »

ولا نريد ان نسأل الاستاذ سامي خشبة كيف قدرت ابن الخامسة والستين بأكثر من مئة ؟ ولم حرمت على الاعمى ان يكون شاعرا ؟ وكيف؟ ولم ؟ •• لانه يصدر عن حالة تملي عليه ان يختلق لها الادلة ولأننا هنا بصدد القضية الفاروقية •

أجل ، وقد أدى الحرص الشديد بالناقد الكريم الى تقصي الاسباب ، وأقل ما يقتضي ذلك الحرص ان يستعين صاحبه بمن يعرف على ما لايعرف ••• والاستاذ سامي خشبة يرى السدارة في المربد ، ولم تكن هذه المرة الاولى ، فلقد رآها ـ على أقل تقدير ـ في مهرجان ابي تمام لان السدارة نفسها كانت حاضرة هناك ، وليكن • لقد رآها ••• فاستنبط لها اسما هو الفاروقية ، ولا ندري لم اختار لها هذا الاسم • وكان المعقول ان يلتفت الى أقرب عراقي الى جواره ويسأله :

ماذا تسمون هذه السوداء المستطيلة التي على رأس فلان ؟

ـ نسميها سدارة •

وينتهي الامر ولا موجب للابداع في التسمية • وكان المعقول ان يربط اسمها بملك عراقي ـ اذا رأى ربطها بملك ـ فيقول مثلا : الفيصلية ، والا فما علاقتنا بفاروق لنسمي لباس الرأس بأسمه ؟

ثم ان الباحث المستقصي للاسباب اراد ان يغور باستنباطه الى اعماق التاريخ ، فهداه الاستقراء والاستنتاج الى سبب لا صحة له •

لقد قال ان السدارة السوداء هي « علامة الحزن على ابن بنت رسول الله » ولم يسأل نفسه عن العلاقة ، ومن لم يسأل نفسه لا نسأله نحن ، وما قيمة ذلك وقد ذهب بالاستنباط المنطقي الى حدود الابتكار حتى قال : « ان الفاروقية السوداء ، شعار الحزن على الحسين ، تطور عصري للعمامة السوداء » •••

عجيب ! من قال لك هذا ؟ وكيف اهتديت اليه ؟ تأكد ايها الشقيق الكريم ان المسألة لا تمهنا لانها تتصل بالمربد ، ولا لانها تتعلق بالعمامة التي تحولت الى فاروقية ، ولا بالاسباب التي يمكن ان تكون وراء الاسباب ، وانما هي تهمنا لانها تدل ـ مرة اخرى ـ على اننا ما زلنا بعيدين عن أن نعرف حدودنا، بعيدين عن ان نستوعب سبل العلم ، فالذي رواه لنا الشباب ان الاستاذ سامي خشبة ناقد للمسرح ، فقلنا : ليكن ، وما أحوجنا الى ذلك ، أما أن يأتي ناقد للمسرح ويتدخل في التاريخ والاجتماع فذلك هو المهم ذو الدلالة .. واذا سمح الاستاذ سامي خشبة لنفسه بان يتدخل فيستنبط ويستنتج ، أما كان مناسبا ان يسال سائق السيارة عن السدارة وعامل المطعم عن العمامة السوداء ! واذا كانت السدارة السوداء قد تطورت عن العمامة السوداء فلم صارت سدارة الشاعر سوداء مع أن أصلها عمامة بيضاء ؟ لم لم تتطور العمامة البيضاء إلى سدارة بيضاء ؟ وأسئلة أخرى تجمع بين الطرافة والألم .

اذا كان الناقد المسرحي منا يسمح لنفسه بامثال هذه الرؤيا الابداعية فيما نعرف ، فكيف نأتمنه في احكامه واخباره عما لا نعرف من شؤون المسرح الالماني والسوفيتي والاسكندنافي ..؟ ان الخلق لا يتجزأ ، والعقلية واحدة. والمنهج هنا كالمنهج هناك ..

ـ مر على ذلك عام ، فما الذي ذكرك به ؟

ـ مرور عام ، وذكر ان نفعت الذكرى .

ـ نفعت !!

١٩٧٣-٤-٥

مجـلة المسرح والسينما

في العراق مجلة باسم « المسرح والسينما » تصدر دوريا ملحقة بمجلة « الاذاعة والتلفزيون » ظهر عددها الاول في تشرين الثاني من عام ١٩٧٠ ، وعددها المزدوج (السابع والثامن) في آذار ١٩٧٠ فكأنها تظهر مرة واحدة في كل ثلاثة اشهر ونصف شهر ، واستغرق ما بين العددين الاخيرين ما يقرب من عام ـ ولا بأس ، ولكننا كنا نفضل ان تصدر مستقلة لان تبعيتها على هذه الصورة تبدو غير طبيعية ، ولم تصدر ملحقة مع امكان استقلالها ومع ما يمكن ان يهيء لها الاستقلال من قوة جديدة ؟ وكنا نفضل ان يكون ظهورها في مواعيد منتظمة ، كأن تكون فصلية ترى النور كل ثلاثة اشهر ينتظرها القارىء في وقت معين ـ ولانتظام المواعيد دلالة على دقة العمل وأثر في دواعي الانتشار •

الاعداد الصادرة جيدة ،حسنة التبويب والاخراج ، فيها مسائل شرقية وغربية ، موضوعة حينا ومترجمة أحيانا ومذيلة بنص غالبا •• ولكننا نطمع بأعداد اكثر جودة وأكثر تنوعا ، وللطمع ما يسوغه ، لان امكان الاتيان بالاحسن حاصل ، وعوامله كائنة ، وفي البلد من شؤون المسرح والسينما ما يبعث عن الثقة والتفاؤل •

تصدر مجلة « المسرح والسينما » عن مجلة « الاذاعة والتلفزيون » فلماذا ؟ الذي يبدو طبيعيا ان يتولاها قسما المسرح والسينما • بل ليكن التوزيع الاداري ما يكون ، ليكن المسرح مستقلا والسينما مستقلة ، وليكونا جزءين من مؤسسة واحدة ذات قسمين او اربعة اقسام ، لان المسألة ليست ادارية قدر ماهي فنية ، وقدر ما هي مجلة مسرح وسينما تصدر في العراق • وليكن بعد ذلك المسرح والسينما اينما يكونان •

ولا شك في أن اللجنة القائمة قد رعت المجلة منذ ولادتها وهيأت لها

مادة واقلاما ، وهي مشكورة دون ريب ، وكل ما في الامر ان القارىء يطمع بالاجود ، والاجود يقتضي ان يشترك في الاشراف المباشر على المجلة اعضاء عملهم المسرح والسينما ، وما بنا من حاجة الى بحث طويل لنجد هؤلاء الاعضاء فهم في المسرح والسينما ومعهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون .. وإذاً .. فما أنسب أن نضيف الى اللجنة القائمة اعضاء جددا نختارهم من ذوي الاهتمام والاختصاص والحرص على وجود شيء اسمه مجلة المسرح والسينما ، ونخصص لهم - بالطبع - من المكافأة المالية ما يساوي الجهد المبذول لتكون المجلة على صلة مباشرة بما يدور في عالم المسرح والسينما في العراق وفي البلاد العربية وفي العالم كله ، فتوصل هذا الذي يدور الى القارىء في حينه وعلى وجه يطمئن اليه ويجد فيه اجوبة عن اسئلته ، فاذا وجده مرة سأل عن المجلة ثانية واهتم بها وانتظر صدورها فاذا تحقق ذلك للمجلة كانت ذات سلطان ونفوذ وبلغت الغاية التي قامت من اجلها .

ثم ان هذا القارىء يجد - عندئذ - دافعا الى ان يقترح على المجلة فتح الباب الفلاني والباب الفلاني ، ويجد مسوّغا الى ان يشتد في الحساب - وحساب القراء دليل على اهمية المجلة ، وعامل في توافر عنصر البقاء والتطور من الحسن الى الاحسن ..

يبدو لناظر الى المجلة كما هي الان كأن انفصاما بينها وبين المختصين ، واذ تتطلع فيها تفتقد فلانا وفلانا ممن عملهم الاخراج او النقد أو التمثيل .. ويمكننا ان نعاتبهم على غيابهم ولكننا لا نستطيع ان نحاسبهم ، فقد يقدمون اعذارا ظاهرها يدعو الى القبول ، ولا طريق الى سد ابواب الأعذار هذه أيسر من اشراكهم - بوسيلة واخرى - في التحرير والاشراف على التحرير .

اجل ، توسع مجلتنا من لجنتها على أساس علمي ، وتدعو المهتمين بالمسرح والسينما من كل ميدان ومن كل مكان لتتشاور واياهم في أفضل السبل الى رفع مستوى المجلة الى اعلى مما هي فيه ، والبلوغ بها درجة تجمع بين المحلية والعالمية ... وتشجعهم على الاقتراح والعمل معنويا وماديا .

وليس هذا اقتراحا خياليا ، فاقل ما في واقعيته اننا نملك عددا محترما من المختصين والمهتمين وان هذا العدد لو اخذ المجلة مأخذ الجد وشعر انه مسؤول عنها هيأ لنا المجلة التي نصبو اليها او المجلة التي تمثل امكاناتنا في أقل تقدير .

ولا أشك في ان المجلة دعت المختصين الى الكتابة ولم يستجيبوا ، ولكن الدعوة وحدها لا تكفي . فلابد من ربط مصير الكاتب العراقي بالمجلة ووضعه ازاء المسؤولية وجها لوجه .

ان الكاتب العراقي الجيد يجمع ثلاث صفات هي العلم والكسل والاحساس الشديد بالكرامة ولا بد للمجلة التي تريد ان تستثير كوامنه ان تأخذ هذه الامور في حسابها .

انك تنظر في هذا العدد المزدوج فلا ترى الاقلام التي يجب أن تراها .. وترى اقلاما من حقها ان تكون لانها تملأ جوانب لابد منها للمجلة وعليها من علامات الاخلاص للمسرح والسينما ما عليها ، وهي تمثل عادة الاقلام التي تطفح عليها المادة فتبحث عن طريق لتصريفها ، وكان احسن ما فيها ان وقفت عند الترجمة او التلخيص ، ولسنا في غنى عن الترجمة والتلخيص .. ولكننا نريد ـ مع ذلك وقبل ذلك ، الاقلام المختصة التي يعيش اربابها في عالم المسرح والسينما ، ولا يتنفسون غير هوائه . اما الاقلام غير المختصة التي تتحدث ـ في هذا العدد او غيره ـ كأنها مختصة فيحسن بالمجلة ان تتخذ قرارا حاسما بشأنها .

لقد عرضت في العراق خلال عام ٧٢ـ٧٣ عشرات وعشرات الافلام ، بينها العالمي الرائع وبينها التجارى الرخيص ، وعرضت في الشهر الذي صدرت فيه المجلة افلام من النوعين ، فاين اثر ذلك في المجلة ؟ وعرض التلفزيون العراقي عشرات الافلام العالمية والعربية فأين موقف المجلة منها وماذا قدمت لقارئها بصددها ؟ وهناك افلام عالمية لم تصل الى العراق ويود القارىء العراقي ان يطلع عليها وان يعرف عنها فأين يجد ضالته ان لم يجدها في مجلة « السينما »

أين الدليل على ان المجلة متصلة مباشرة بما يجري في عالم السينما ، ومشتركة في أمات المجلات ؟ ثم ايكفي من أمر « الظامئون » ندوة « ونص » ؟

وأمر المسرح أمر السينما ودونه ، ولنا في العراق مسرح محترم وفرق محترمة ، وقد قدمت هذه الفرق مسرحيات ، فاين نجد مادة عما جرى في العراق خلال عام اذا لم نجده في عدد سنوي من مجلة « المسرح » التي تصدر في العراق ثم اين نجد الحديث عن (الطوفان) لعادل كاظم والينبوع لنورالدين فارس .. وطائر الحب وفندق الغرباء والطائر الخشبي وحفلة سمر وضمير المتكلم وغيرها وغيرها من جيد ورديء ؟ أجل ... القـارىء يريد ان يعرف كل شيء ليكون على هدى .

وصدرت مسرحيات مترجمة وموضوعة فأين صداها في مجلة (المسرح) ... وكان من القضايا المهمة التي برزت واضحة قضية التعريق ، وقد كان فيما كان دون جوان ونفوس والبيك والسائق . أفيمكن ان يصدر عـدد سنوي يخلو مما يجب ان يكون فيه من امر هذه الظاهرة . لقد خرج العراق يبحث عن النصوص ما بين اليابان وايران والقرن السابع عشر والعشرين ، والكلاسيكية والواقعية الاشتراكية ، فأين صدى ذلك في مجلة « المسرح » ثم أين صدى « مهرجان دمشق » ؟

ان الحديث عن قضايا المسرح والسينما في العالم نافع ، ولكنه يكون انفع لو جاء منهجيا وتولاه المختصون ، وانه ، بالغا ما بلغ ، لا يستدعي نسيان المسرح العراقي .

ان من يقرأ مجلة « المسرح » يسائل : أما في العراق من مسرح ؟ وينتهي الى النفي .

لا ... ان لدينا مسرحا ، ولدينا ما هو جدير بالاهتمام واننا لو ابرزناه في مجلتنا لاوصلنا اليك الحقيقة ، وخدمنا انفسنا وهيأنا مادة للتاريخ .

وبعـد ...

فقد فخرت المجلة بانها نالت مكانا يدعو الى الاعتزاز والثقة وان رسائل

كثيرة ترد اليها من المغرب .. والمانيا الديمقراطية ... وفرنسا . وما لنا في ذلك ادنى شك واننا لنعتز به اعتزاز المجلة به ، ولولا الثقة لما طمعنا بالاحسن والاكمل ، ولما ألححنا على وجوب العناية بالجانب العراقي فيمـــا هو كائن وما يجب أن يكون ، فيما هو جيد وما هو رديء .

اننا اذ نطمع ان نرى « المسرح والسينما » اكثر استقلالا وانتظاما ، وأكثر تنوعا وعراقية نحس بان لطمعنا ما يسوغه وباننا نطلب ممكنا ، وفي البلد من شؤون المسرح والسينما ما يبعث على التفاؤل .. وسيأتي يوم نرى فيه مجلة للمسرح ومجلة للسينما .

١٢-٤-١٩٧٣

ولدت الدار الوطنية للنشر والتوزيع

في أوانها ...

في العراق كتاب جيد ، وجيد جدا ، في كثير من نواحي المعرفة : البحث والتحقيق والشعر والقصة والنقد .. وقد شهد بذلك من اطلع عليه من أخواننا العرب ، ومن اطلع عليه من المستشرقين والباحثين في العالم .

يعاني المؤلف العراقي الغصص منذ تفكيره بالتأليف حتى عودة كتابه اليه خائبا فيبحث له عن مكان . وقد يعيد الكرة وقد ينكص على عقبيه .

ويزداد « الهواة » على مر الزمن ويزداد التأليف وتتشعب مناحيه ، ويدرس منا من يدرس في الخارج فيعود ومعه كتاب او كتابان للماجستير او الدكتوراه بل اننا انشأنا اقساما للماجستير انبثقت عن رسائل نادرة قليلة النظير ، وها نحن اولاء ننشىء اقساما للدكتوراه تتفتح عما قريب عن مفاخر جديدة ..

وقد يجد المؤلف من يعينه ماليا ويخفف عنه بعض العبء ، ولكن المشكلة الكبرى تبقى قائمة على رأسه : التوزيع .

كيف يوصل كتابه الى القارىء ؟ ان المكتبات المحلية لا تكاد تشتري شيئا ، ومسكين هذا المؤلف كم يعاني من مثبطات واهانة احيانا ! واذا اشترت المكتبة المحلية فلا يزيد ما تشتريه على عدد محدود تودعه زاوية من الزوايا ، وقلما استرجع مؤلف ماله كاملا او نقدا .

ان المكتبات لا تحتفظ بالكتاب العراقي ، والشارع لا يعرضه ـ اذا عرضه ـ اطول مما يعرض مجلة اسبوعية او نصف شهرية . وقد يطلبه طالب فيبحث عنه فلا يجده .

لابد ـ اذا ـ من ايجاد مركز دائم العرض للكتاب العراقي على وجـه دائم ، ولابد من ان يضمن هذا المركز للمؤلف ماء وجهه وقليلا من المال الذي يشعر معه بما يشجعه على المتابعة ويبعثه على المثابرة ويحثه نحو الاحسن والاحسـن ٠

ان مركزا واحدا في بغداد لا يكفي ، فلابد من ان يكون في كل محافظة ـوقضاء مهم ـ مركز لعرض الكتاب العراقي وبيعه ٠ اننا لا ندري لم نوزع الكتب كلها في نواحي القطر كله ولا نوزع الكتاب العراقي في العراق ؟!

وهذا لا يكفي ٠٠ لاننا يجب ان نوصل كتابنا الى الاقطار العربية من الخليج الى المحيط فلا بد من مركز في القاهرة ومركز في بيروت ٠٠ والكويت ٠٠ وتونس ٠٠ يعرض الكتاب العراقي في هذه المراكز فيسعى اليه من يهمه أمره ، ومن يهمه الاطلاع على احدث المؤلفات ٠

اننا هنا في العراق نعلم من شؤون الكتاب العربي الشيء الكثير ونقتني منه الكثير الكثير وليس لنا في ذلك منة على اخواننا لاننا نريد ان نتعلم ، وفضل القاهرة ـ مثلا ـ علينا لا ينكر ولا سيما في زمن لم يكن لنا فيه كتاب يذكر أو مؤلف يعد ٠٠ اما وقد تطورت الامور وصار لبغداد ما لا يقل عما للقاهرة او بيروت فمن حقنا ان نوصل ثمرات اقلامنا الى اخواننا ، لا للادلال عليهم أو الفخر ، وانما لننفع مثلما ننتفع ولنوطد الصلة وليعرفونا كما نعرفهم، ولنجنبهم تكرار جهد بذلناه ٠

أجل ، اننا نفخر باطلاعنا على الكتاب العربي واقتنائنا اياه ، بل ان علينا ان نطلع على ما لم نطلع عليه منه ، ولا شك في ان الكتاب رسول أمين ووسيلة من وسائل الوحدة لا يستهان بها ٠

وكما نوصل كتابنا الى الاقطار العربية ، نوصله الى العالم ، فهناك من يهمه هذا البحث او ذاك ، ومن يريد ان يقتني هذا الديوان وهذه القصة ٠٠ والمسرحية ٠٠ والمجلة ٠٠ فمن واجبنا تيسير المهمة وتقصير الطريق ٠٠

ولنا في الاقتصاد والاجتماع والقانون والعلم الصرف ما لابد من ايصاله لمن ينتفع به ..

وهنا .. هنا تتضح ضرورة ميلاد دار وطنية للنشر والتوزيع ، والا فماذا ننتظر ؟ وما الذى يحول دون تحقيق هذه الضرورة ؟ ما الذي يؤخرنا ؟ انحن متأخرون الى هذه الدرجة !؟

الكتاب العراقي جيد ومظلوم ، والمؤلف العراقي جيد ومغمور فالى متى ؟ وكيف الخلاص ؟ ولم التواني ؟ ولا يكاد يجتمع مؤلفان عراقيان حتى يجرهما الحديث الى هذه الموضوعات فيتبادلا الشكوى والاسى وقد يكفر احدهما ، وقد يسعى الاخر الى ان يجد منافذ الى الامل ، فليس معقولا ان تبقى حالة سيئة كما هي ، وليس من المعقول الا يشق الكتاب العراقي طريقه ولا ينال حقه والمؤلفون في تزايد والادباء في تكاثر ومنهم من اجتازت سمعته حدود بلاده ومنهم من فرض وجوده على من لم يرد له وجودا .. بل ان من الناس من يطلب الكتاب العراقي في مظانه فلا يجده ..

ان دور التوزيع التجارية لا تعبأ بالكتاب العراقي تآمرا او تجارة او جهلا .. ولقى الذين جربوا ان يطبعوا خارج العراق الامرين ، ولو تحدث الناس الذين طبعوا عن طريق احدى المكتبات اللبنانية لرووا عجبا عما لقوا من سوء المعاملة وفساد الذمة وفداحة الابتزاز واقل ما يروى ان صاحبها يأخذ كتابك ويأخذ معه قدرا من الليرات ويطبعه ويوزعه ويبيعه وتبقى انت المؤلف غريبا جدا عن مالك وفكرك وتكتب اليه الرسالة تلو الرسالة فلا يجيبك وتقصده الى مكتبته فلا تراه ولا يحدثك موظفوه الا بما يؤلمك ويسوؤك وأنت بعد ذلك عرضة للمطالبة كأنك المجرم في القضية !! حتى دعا داع منا الى نظام « القائمة السوداء » نضع عليها من يسيء لنا ويستهين بنا !

لم نطبع عند من لا يريد ان نطبع عنده ؟ لم نحترم من لا يريد ان يحترمنا؟ لم نتعامل مع من لا يحسن التعامل ؟ لابد من ان نكون على غاية الاضطرار

الى ركوب هذا المركب الصعب . وقد كنا كذلك . فهل من المعقول ان تدوم هذه الحال ؟..

ذهبت مرة الى دار العلم للملايين ببيروت وقصدت الاستاذ بهيج شعبان ـ وهو أديب يدير الدار مع الاستاذ منير بعلبكي ـ وهو أديب ايضا ـ .

فقلت : لدى الكتاب الفلاني وفضلت ان اقصدكم قبل ان اقصد غيركم ..

فكان الجواب ـ جافا متعاليا مع صفة اخرى ـ : لا ، لا نطبع حتى لو اعطيتنا التكاليف كلها . لا نطبع . فشكرت حسن الضيافة . وخرجت .

وعرضت كتابا على دار الثقافة في بيروت فأحالته الى خبيرها فأقره ، ووضعت شروطا فوافقت عليها لاني اريد ان اطبع كتابي بكل ثمن ، ثم وضعت شروطا اخرى انقصت فيها العدد والمكافأة فوافقت لاني اريد ان اطبع . ثم وضعت شروطا اخرى فوافقت ، وبين الشروط والشروط عام او بعض عام وزادت في تأخير الطبع ، ولجت .. حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وكان اكبر ربح لدي ان استرجعت مخطوطتي .

ولكل مؤلف عراقي قصص وقصص كأن لم يكن العراق سوقا للقاهرة أو بيروت او كان الكتاب العراقي من الرداءة على مستوى ما تقذفنا به مطابع اخواننا الكرام !..

أمن المعقول ان يدوم وضع على هذه الحال ؟ لو كان الكتاب العراقي سيئا لدام . لو لم يكن للعراق كيان لدام . فما العمل اذا ؟

لقد سجل المؤلف العراقي مثلا منقطع النظير في المثابرة على التأليف ، فهو يؤلف دون ان ينتبه اليه احد او يهتم به احد .. ويجمع نسخه كما هي من الشارع مع زيادة ملحوظة في الوسخ ويعود ادراجه يبحث لها عن ملجأ غير أمين .. وما يكاد يخف الحنق حتى يستأنف ، وكان من ثمرات الاستئناف والمثابرة هذا الكيان من الكتب الذي يجمع بين الكمية والكيفية ،

هذا المقدار الذي يقوم حجة لمن اراد الحجة والدليل لمن يبحث عن الدليل •

واذ يصل الامر درجة حادة ، ويبدو انه قد آن الاوان للعمل الجدي وللتجربة التي لا بد منها في خدمة الكتاب العراقي ورعاية المؤلف العراقي ، تولد الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان • ومع ان الدار في بدايـــة بدايتها ، فان ما شرعت تخفف به عن كاهل المؤلفين وما تعد به من خـطط ومشروعات •• يبعثان على التفاؤل •

ولا شك في ان الدار الوطنية تعي ضخامة المهمة الملقاة على عاتقها ، الا ان المؤلف العراقي ـ بدافع مما عانى ـ يذهب الى ابعد مما تذهب اليه •

ان اقل ما يطلبه هذا المؤلف ان تكون الدار على مستوى مسؤوليتها وان تثبت للذين كانوا في شك من امر الكتاب العراقي خطأ وساوسهم وسوء معتقدهم •

وبقدر ما تتحمل الدار الوطنية من مسؤولية يتحمل المؤلف العراقي نفســـه •

١٩ـ٤ـ١٩٧٣

فرق بين أن تدعي الجديد ... وان تقدر عليه !

ليس فينا من يحب الموت ، وليس فينا من يقف اعجابه عند امور مضت وانقضت .. ثم ليس فينا من لا يود ان يكون عظيما ، كبيرا ، يشار اليه بالبنان ويطبع التاريخ بطابعه فيعترف له الناس بفضل السبق مع التجويد والابـــداع .

وقد يعجب بعضنا بعظام نخرة ويحسب نفسه فاضلا في ذلك ، كريما ، حكيما . قد . ولا موجب الى التعليل لان الامر يوشك ان يكون من صفات الانسان . وتمر بضرب من البشر ، في عصر من العصور ، حالات من الفتور يكاد يتوقف فيها الفكر ويشل الذكاء ويضوى الابداع ، كأن الناس فيهــا أموات في الاموات ، وما بقي منها حيا يتشبث بالعظام ويتعلق بنتـــاج الاقدمـــين .

وقد تنام الامة ، على هذا ، قرنا او قرنين او ستة قرون ، ولكنها لابد من ان تصحو يوما على دوي يقض مضاجعها ويهز كيانها فيكون ايذانا بجديد تتضافر اسبابه وتتساند عوامله فيصبح مطلبا يريده الاكثرون ، ويعتـــرف بالحاجة اليه الاكثرون .

نحن ، اذا ، في عصر جديد ، ولهذا العصر مقتضياته ومفهوماته . انه يريد كذا في المسكن والمأكل ، وكذا في السياسة والاجتماع ، وكذا في الفن والادب . انه يريد . ولكن المسألة تبقى فيمن يحقق هذه الامنية . ايستطيع ذلك كل من طلبه ؟ ايستطيعه انتهازي له حاسة قوية في الشم دون ان تكون له القدرة على الابداع ؟ ايستطيعه انسان كثير الطماح . كثير الحب لنفسه ، كثير التفكير في أن يدعى مجددا ؟!

ان كل ما في الجو يدعو الى الجديد ويرهص له . وفكر فلان وفلان مليا في الامر ، واطالا التفكير واختلسا ما للاخرين وتبنيا ما لم يجـــرؤ

الاخرون على التصريح به • ترى ماذا يريد الناس اليوم ؟ لقد ملوا القديم وخلبهم جديد غيرهم • فلم لا نهتبل الفرصة ؟ قد نكون فاقدي المادة التي توصلنا الى الجديد المنتظر ، ولكننا نستطيع ان نتمتع بمكانة المجدد الحقيقي. كأن نستولي على لقبه ونستحوذ على مجده • وليكن بعد ذلك ما يكون ! وماذا يكون ؟ اننا رابحان على كل حال ، والدنيا تؤخذ غلابا ، وسيبقى لنا فضل التبكير والسبق والريادة ، وليس هذا بالقليل •

درس فلان وفلان الموقف جيدا ، وجسا نبض الناس بحذق وعرفا من اين تؤكل الكتف ، فشمرا وهما يعلمان ان العيش فرص ، وراحا يدعيان التجديد ويجردان القديم من كل فضيلة ويرسمان للجديد صورا ليست بذات دلالة ، لانها لو كانت ذات دلالة لفهمت ونوقشت وفضحت . ولو كانت ذات اساس لدرس الأساس وبان الزيف •• بل إن العصر الجديد يطلب الابهام ويدعو الى الاغماض • الم يبهم الغرب ؟ الم يغمض ؟ الم يصعب فهم رانبو على كلودل ؟ بل ان العصر من الجهل بكنه الجديد بحيث بات يطلب من يخدعه بهذا الجديد ويرتاح كثيرا للمصطلحات الفلسفية التي يجهلها ، ويهيم بالاسماء التي اثارت الضجيج في بلادها •

انها مسألة حاجة عصر ورغبة في استغلال الحاجة • وتقوم هذه الرغبة ، اول ما تقوم ، على خبث عميق ، وتتسم ، اول ما تتسم ، بشعوذة رهيبة • ويحدث ـ لسوء الحظ ـ ان تنجح مثل هذه الرغبة ، ولكن الذي يحدث بعد ذلك ـ لحسن الحظ ـ ان الرغبة وحدها لا تفعل شيئا وان حبل الشعوذة لا يمتد طويلا ، فيأتي يوم ينظر الناس في حالهم وفي هذا الذي يقدم أليهم على انه جديد ، فيرون انه سقط وتشويه ، وانه عقبة تؤخر من ميلاد الجديد المنتظر ••

يفتح الباب على مصراعيه ويخرج منه القادر على الجديد ، الصادق فيه ، المؤهل له •• فيميز الناس ـ حينئذ ـ بين جديد وجديد ، فتطوى الصفحات المشوهة السابقة وكأن لم تكن ، ويرى الناس في الجديد الجديد مايحول دون

ليست اللغة العربية صعبة !

اما اننا يجب ان نتعلمها جيدا ، فذلك ما لا نقاش فيه ، لانها حياتنا ، ولتكن ، بعد ذلك ، سهلة أو صعبة وعار ان نراها صعبة وان تقعد بنا الهمم في الوقت الذي تكون لنا مطامح لا تحد ، ودعوات قومية وانسانية لا ترد ، وعار ان تقعد بنا الهمم عن ضبطها في الوقت الذي صبطت فيه الامم الاخرى لغات اصعب ، وأوجدت لحياتها الجديدة لغات من العدم .

أجل ، وليس في الامر جدال ...

أما أنها صعبة ، فليست صعبة . وتعال معي وحدثني عن الصعب فيها ، بل تعال معي لنحصي أبواب اغلاطنا ونحن نتحدث او نخطب او نكتب ..

اننا ننصب الفاعل ونأتي بجمع المذكر السالم الفاعل بالياء والنون ونرفع خبر كان ، ونفتح همزة ان بعد مقول القول ..

هذه ـ وامثالها ـ هي الاحوال الغالبة في اغلاطنا ، وهي متكررة ، ولا يندى لنا جبين اذ نقع فيها ، وكاد الخطأ يصير قاعدة . ولو كنا نغار على انفسنا ـ ولا أقول على لغتنا ـ لخجلنا اشد الخجل ، ولبعثنا الخجل الى تلافي الموقف كما تتلافى الحالات الاخرى التي تؤدي بنا الى الجوع والعري ، ولعلمنا الخجل الحذر ، كما نحذر انواع العار الاخرى مما يتصل بالعرض والناموس .

ولكننا لم نخجل ، ومن لم يخجل استوت لديه الاشياء ، ومات فيه الاحساس ، ونضب ماء الحياة ..

أجل ، ان أغلاطنا متكررة ، وهي لا تتعدى ـ في أخطرها ـ نصب ما حقه الرفع ورفع ما حقه النصب او الجر او الجزم .. والمسألة تدعو غيرنا الى الاستغراب . كيف ؟ كيف يا قوم تخطئون في لغتكم هذا الغلط الفاحش .

الالتفات الى الماضي القريب ، واذا التفتوا فبمقدار ما يقتضي الهزء وتدعو السخرية . ويكفي أهل الماضي المشوه هذه العزلة التي يعانونها ، فما هم من القديم وما هم من الجديد وما هم من الرواد ، انهم من سقط المتاع ، وويل لهم ان كانوا في الاحياء ، ولعنة عليهم وعلى من جازت عليه كذبتهم ، ان كانوا في الاموات ـ وفي ذلك عبرة لمن اعتبر .

ـ للكاتب والقارىء ..

ـ للقارىء والكاتب ..

١٩٧٣-٥-٣

انظروا الينا كيف نلفظ لغتنا وكيف نكتب بلغتنا ، بل انظروا الينا كيف نستعمل لغتكم وكيف نكتب بلغتكم • اننا لا ننصب فاعلا ولا نرفع خبرا لكان • اننا لنعجب اذ نراكم تخطئون ، ويبلغ بنا العجب احيانا حد الضحك بكم والسخرية منكم •• لا •• لا ، كونوا أحرص على لغتكم منا ، وكونوا أعرف بها منا ••

الاغلاط محدودة ومتكررة ، وهذا يسهل مهمة من يتصدى الى حصر الداء ووصف الدواء •• ان ٩٠٪ بل ٩٥٪ بل ٩٩٪ من اخطائنا لا تتعدى نصب ما حقه أن يرفع وجر ما حقه ان ينصب •• ومسائل تتصل بذلك من العدد والمعدود والحال والمنادى ، اضحى وأمسى ، وليس ، ولعل ••

أما الباقي فهو من باب الشاذ وما اختلف فيه النحويون وتباينت به اللهجات منذ البداية ، وهو في جملته ليس بذي بال ، ولا بأس في أن نضحي به ــ مؤقتا ــ حرصا على الاصل ، بل انه مما يمكن العودة اليه بعد ان نوطد الاساس ونقيم البناء وتتعدى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي •

ويدخل في هذه النسبة الباقية الضئيلة مسائل كثيرة جدا ، سخيفة جدا ، لا روح لها ولا حاجة اليها . دخلت كتب النحو القديمة عندما صار النحو غاية في نفسه فكان ، فيما كان ، الاعراب التقديري للتعذر واعراب المبنيات واعراب حبذا ولا حبذا وما اجمل السماء وأجمل بها . ومتفرعات في الصرف في الاعلال والابدال والنسب الى جاد المولى والجمل التي لها محل من الاعراب والجمل التي لا محل لها من الاعراب •

لقد حصرنا مواطن الخطأ وحصرنا المهم ولم يبق ، بعد ذلك ، الا ان نعنى بأمورنا مخلصين قادرين •• فنحصر جهدنا في النحو العملي ، ونوفر الوقت لنستغله كما يقتضي المنطق والعقل والكرم في العناية الخاصة بالمرفوعات والمنصوبات والمجزومات والمجرورات في حدود ما يدخل منها في الاستعمال اليومي لدى القراءة والكتابة •••

وليس هذا صعبا ، لا على المعلم ولا على التلميذ ، وتقل الصعوبة

وتتلاشى اذا اعددت المعلم في ضوء هذا المنطلق فخرجته وهو حريص على اللغة ، عارف بأهمها ، مخلص لها ، يتألم لدى سماع الخطأ في بسائط القواعد العملية ، وزودته علما بالمادة والطريقة يصلح بهما هذا الذي آلمه وفوعه ثم زودته كتابا يقوم على هذا الاساس من الاخلاص للغة وتحديد حاجتنا منها . وينأى عن الخلط وتسويد الصفحات بالشاذ والميت والمستحيل الوقوع وما صار - في النحو - لعبا عقليا ورياضة لعضلات الذهن البطر ...

أجل ، أيها الاخوان وأيتها الاخوات ، ليست اللغة العربية صعبة . وليست اصعب من غيرها ، ولكننا لسنا جادين فيها ، ولم نأت مشكلتها من أقصر طرقها ولم نعالجها بأنسب أدويتها .

لقد استهنا باللغة لاننا لم نعرف قدرها ، ولاننا لا نعرف اقدار الاشياء. فضعفنا فيها الى حدود الخزي ، وزاد الضعف وزاد واستشرى .

- ترى الى اين تصل بنا الحال ؟

- قد يتفاءل المرء في الجواب فينظر الى المسألة من حيث جوهرها فيراها سهلة العلاج ، وقد يتشاءم اذ يرى ما نحن فيه من ترد ، فلا يرى غير الظلام الدامس والليل الذي لا يعقبه نهار .

وبعـــد ...

فقد ذهبت ذات مساء الى طبيب وبعد ان سأل عن الاسم والعمر .. سأل عن المهنة ، وما كاد يسمع الجواب حتى القى بالقلم وقال : لم لا يعرف الشباب اللغة العربية ؟ لم لا يعرف خريجو قسم اللغة العربية اللغة العربية ؟ فكانت اسئلة مفاجئة ، اننا في قسم اللغة العربية تتحدث عن الضعف باللغة العربية ، وعن الطلبة والكتب والمناهج ، اما ان يصل الامر الى الاطباء ، فان ذلك يعني ان الفضيحة قد اخترقت الاسوار وان علينا ان ندرك مسؤوليتنا على وجه جديد .

وعذرا أيها الطبيب الغيور .. ولن انسى لك فضل احراجي غاية الاحراج ،

وقد كان حديثنا منصبا على التلاميذ وحدهم ، على كسلهم وتمردهم غير المشروع ، وعلى عدم شعورهم بالمسؤولية ..

وصحيح ان التلاميذ مسؤولون .. ولكنهم لا يتحملون الا جزءا من المسؤولية ، واننا نجانب الصواب ان بدأنا المحكمة بهم ، بل انني أخشى أن يكون لديهم من اسباب فضحنا ما ليس لدينا من اسباب الدفاع عن انفسنا .. اننا لم نحسن تدريسهم ولم نضع لهم المنهج السليم ولم نؤلف لهم الكتاب الصالح ولم ندربهم التدريب الصحيح ...

أجل ، سيدي الطبيب .. أكتب اليك اليوم لاقول لك اننا مسؤولون أيضا .. وهذا اقل ما يمكن الاعتراف به ..

ـ وماذا لديكم غير الاعتراف ؟

ـ لا شيء ! ولا تواتينا الجرأة على مثل هذا الاعتراف الا في حالات نادرة ، فاقبله قبل ان تطمسه المغالطة ... والمكابرة ..

١٠ـ٥ـ١٩٧٣

من ميم ميسان ... الى همزة يرأس!

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « ميسان بالفتح ... كورة واسعة كثيرة النخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان .. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما فتحت ميسان في أيامه ولاها النعمان بن عدي .. وأراد النعمان امرأته على الخروج الى ميسان فابت عليه فكتب النعمان الى زوجته :

الاهل أتى الحسناء أن حليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية وصناجة تجثو على حرف ميسم
فـان كنـت ندمـاني فبالاكبر اسقني
ولا تسـقني بالاصغـر المتثـلم
لعـل أمير المؤمنين يسـوؤه تنادمنا في الجوسـق المتهـدم

وفي كتب البلدان والفتوح واللغة والادب تفصيلات عن ميسان لمن طلب التوسع ، وسيجد طالب التوسع هذا ـ فيما سيجد ـ مرضعا آخر باسم دستميسان . وقد يبدو له ان ميسان فارسية الاصل او معربة ، وقد .. وقـد ..

اما نحن ، فيهمنا ـ هنا ـ النص على فتح الميم ، واننا لم نر في القدماء من ضبط ميسان بغير الفتح ... ومر الزمن واندثرت ميسان ولم تبق من الاسم على الارض بقية ، ولم يعد يعرف الكلمة الا عدد قليل جدا من شغله التاريخ او التردد على معجم البلدان .. واذ اطلقت ميسان على محافظة العمارة لم يعزز الاطلاق بالسبب الموجب ، ولم يسأل احد عما يمكن ان يكون للفظة من دلالة في التاريخ او الجغرافية كأن السؤال ضرب من الاهتمام او الفضول .

وما كدنا نخرج الكلمة من القبر حتى بدأنا نعبث بها ، كأن القاعدة لدينا التكسير ، والا فليس في ميسان ، بفتح الميم ، من ثقل حتى نهرب منه الى الكسر • واذا كان ثقل ، أما كان المعقول ان نزين السنتنا بصحة اللفظ ونعود آذاننا حسن الالتقاط ؟ ان اللفظة جديدة علينا ، ونطقت ـ أول ما نطقت ـ سليمة بفتح الميم ثم لم يلبث الباطل ان شرع يفعل مفعوله فاعوجت الألسن ووهنت الفكوك •• وأسهم المذيعون والمذيعات في الكسر ، وراح الخطر يزداد يوما بعد يوم •

ـ ترى ، ايمكن رد الفائت وتدارك الامر ؟

ـ ممكن ، وإلاّ اصاب ميسان ما اصاب لفظ « السعودية » •

ـ وما ذاك ؟

ـ ذاك ـ وكنت احسبك تدري ـ ان المملكة العربية السعودية نسبة الى سعود ، جد مؤسسها ، وسعود ـ كما هو معلوم ـ بضم السين • وحدث ان احدى الاذاعات افتلتها بفتح السين • ولتلفظها ! أكتب علينا تبني أخطاء الآخرين ؟

ولا ادري أية اذاعة بدأت فتح السين ، لكني سمعتها ـ أول ما سمعتها ـ من « صوت العرب » وأولع المذيع العراقي ـ في حين من الزمن ـ بتقليد زميله المصري حتى في فتح الباء من « العربية » ، ومن فتح باء العربيــة استطاب فتح سين السعودية • وهكذا توالى تقليد الخطأ حتى صار قاعدة •

ـ ترى أيمكن رد الفائت وتدارك الأمر ؟

ـ ممكن ، ولكن الداء قد استفحل ، وأخشى انك قبل ان تصلح سين السعودية تكون عين « العراقية » قد بلغت من الفتح اقصاه ، فان رياح الاذاعة تنذر بفتح هذه العين • ولا تسل عن السبب ، لان الاشياء تجري بينا من دون اسباب وجيهة ، ولان جدليتنا من غير منطق • وأخشى انك قبل أن تصلح عين العراق يدرك السيل فلا نلوذ من فتح ميم «عزيزي المستمع»

بشيء ، أجل «لا انا أدري ولا المنجم يدري » ، السر في ان يفنح المذيعون ـ والمذيعات على وجه الخصوص ـ تاء المستمع . اجل اخي القارىء .. فما تكاد تصد ضربة حتى تنهال عليك ضربات وما تكاد تنتبه الى مرض حتى تشتبك عليك أمراض ..

وبقدر ما تكون المسألة مسألة عجز واعتباطية وجهل وخلـــل نفسي واجتماعي وخلقي وعلمي .. تكون مسألة كثرة هذا الضرب من الخطأوسرعة توالده حتى لتصعب عليك المتابعة ... والا فمن كان يدخل في حسابه ان يلفظ المذيع العراقي ـ أو المذيعة العراقية ـ الفعل المضارع للفعل : رأس : يرئس ، بكسر الهمزة ؟ لقد غبر علينا في العراق أكثر من اربعة عشر قرنا ونحن نقول ، رأس يرأس بفتح الهمزة ـ وهو الصحيح ـ فما بالنا ، وبـين عشية وضحاها صرنا نقول : رأس يرئس ؟!

ـ ما بالنا !؟

ـ السبب المباشر ، ان الاذاعة اللبنانية تقول : يرئس بكسر الهمزة ـ وهو خطأ ـ ومجلة «الموعد» تكتب : يرئس بكسر الهمزة ـ وهو خطأ ـ .

ـ ابلغ بنا الحال ان نأخذ لغتنا من مجلة الموعد ؟!

ـ بلغ ، وعن مجلة الشبكة . وهذا هو السبب المباشر كما قلت ، ولسنا بصدد الاسباب غير المباشرة .

ـ لماذا ؟

ـ لأنـــه ...

١٧-٥-١٩٧٣

شيء في الجو

كان من أوائل ما راعني في باريس : الكتب ، كثرة ما يصدر ، تنوعه .. سهولة علمك بالجديد . ويكفي ان تسير في هذا الحي الذي يسمونه الحي اللاتيني واقترن في أذهان الشرقيين بألف علاقة وعلاقة لتطلع على ما صدر اليوم او ما سيصدر قريبا .. في القصة والشعر والبحث والنقد .. وشؤون المعرفة الاخرى .. ولا يكلفك ذلك أكثر من وقفات قصار عند هذه الواجهة او تلك من واجهات المكتبات لترى في مكان بارز منها هذه القصة لهذا الكاتب وذلك الديوان لذلك الشاعر ، وهذا فاز بالجائزة الفلانية وهذا عاد بعد انقطاع . وليست هذه الوقفات ضريبة وانما هي نزهة ، وليست وقتا ضائعا وانما هي مدرسة ذات طابع خاص ، وكأنك اذ تنتهي من شارع سن ميشيل انتهيت من درس ادبي ممتع عنوانه « صدر حديثا » . لقد عرفنا الحي اللاتيني بتعريفات متعددة ونسينا ان نقول : انه مجموعة مكتبات .

لقد راعني ذلك مع اني لم اته من الصحراء . فلقد عشت في بغداد وعشت في القاهرة ، ولكن ما في باريس من الكتب وتنوعها وفن الاعلان عنها يجعلك تؤمن بانك قادم من الصحراء .

وكما تغريك باريس بالكتاب الجديد تغريك بالكتاب القديم المستعمل ما تهيىء من طرائق العرض ورخص الثمن ، ولا تقصر في ذلك المكتبات المهمة الكبيرة ، فهي تخصص له جناحا من اجنحتها او حزاما على امتدادها مبوبة اياه تبويبا علميا ، وكم من علم من اعلام الادب كان حلما من احلامك وكتاب من كتبه لم تسمع منه بغير الاسم ... عرض هنا ، في الحي اللاتيني على شكل يدعوك اليه مناديا ومعاتبا ان تعال : اني العقد الاجتماعي لروسو ، اني كانديد لفولتير ، اني الرسائل الفارسية لمونتسكيو ، الاب گوريو لبالزاك ... هيگو ، صاند ، لامارتين .. بخمسين فلسا ، بعشرين ، بعشرة ...

فتكاد تشهق لما ترى وتسمع ... وتصيح ان تعال يا فلان من ابناء وطنك وانظر العلم والادب والفن ... لعلك تشعر بالخجل ، فتطامن من كبريائك وتقلل من زيفك وتبدأ سياقا جديدا ، لعملك !

هذا في الحي اللاتيني ولا تسل عما ارتفع على جانبي نهر السين . وانتشر في الحارات والازقة ...

وتستعد للدخول الى السوربون ، هذا دليل الجامعة ، وهذا منهج العام المقبل مطبوع بمفرداته واساتذته ومصادره ، وهذا منهج خاص ، لدروس تنقلها الاذاعة مباشرة ، وتدخل فترى كيف يفتتح الاستاذ دروسه بدروس عن مصادر مادته مبينا ما للمصدر وطبيعته من قيمة ودلالة ، وترى استاذا كبيرا – طبعا كبيرا فلا يكون الاستاذ هناك صغيرا – لا يدرس في طول العام الا كتابا واحدا او مرحلة من حياة اديب او اتجاها من ادب ، وانه يلقى في الساعة الواحدة من المادة ما يعدل كتابا ومالا تلقيه في عام والمسألة قبل ذلك مسألة الاعداد الطويل والعرض الرصين والمنهج المتين والفكر النير ..

وتقول عندئذ : لا ، ليس عبثا ما قيل عن السوربون وما يقال .

ثم تطلع على الجرائد الادبية ، المجلات ، المتاحف ، المسارح ، البرامج الاذاعية ، السفارات الادبية ، الاسواق الادبية ، وما الى ذلك فتحس بطعم الحياة وتمتلىء بالتفاؤل لأنك لا تطلع الا على الممتع النافع الذي يذكرك بالحضارة .. ولكن مسألة الحضارة مفروغ منها ، ولم تأت باريس لتكتشف ان الكتاب والجامعة والادب فيها تدل على الحضارة ، وانما جئت لتتزود ما لم يتهيأ لك على البعد ولتقتبس ما يمكن ان يسهم في بناء نهضة بلادك ويعمل على اشاعة الحياة في مواتها ..

وها انت ذا ، من حيث تدري ولا تدري .. تمتلىء « بالمشاريع » .. هذا نافع . لم لا يكون لدينا مثله ؟ هذا ممكن التطوير ، هذا سهل لم غفلنا عنه ، هذا أولى بنا .. في المكتبات والمناهج والبحث والجامعة والتأليف

والصحافة . وكل خاطرة تمر بك ـ من هذا النوع ـ تملؤك نشاطا وثقه وتصميما ، ولا يعترض طريقك ـ أي طريق خيالك ـ خور او فتور او تردد . فلم تقل هذا مستحيل ، وهذا لا يكون ، ولم تفكر بفرق بين مجتمع ومجتمع وعالم وعالم وجو وجو . ولم الافكار المثبطة ؟ ومن اين تأتي وقد سدت الحياة على الموت كل سبيل ؟! وكل شيء هنا يدلك على قيمة ما أنت فيه او عليه من اهتمام ادبي .

ولم تحس بادنى حاجة الى تثبيت هذه المشاريع في دفتر او على ورقة ، لانها حية في نفسك لكثرة ما الفتها في حياتك اليومية واقتنعت بسلامتها وصحتها وامكان تطبيقها غدا . اذا ما عدت الى وطنك العزيز . ولكنك ـ ولابد من قول الحقيقة كاملة ـ كنت تلجأ الى الورق عندما تلح عليك حاجة ماسة الى التفصيلات . لقد اطمأنت نفسك الى المشروع والى امكان تحقيقه .. ولم يبق عليك الا ان ترسم الخطة الكاملة باجزائها . ولم تكن تفعل ذلك خوفا من نسيان الاجزاء وانما تفعله لتخفف من هذا الضغط الذي يلح عليك لامتلائك بهذه التفصيلات ولم يبق عليك الا ان تبدأ خطوة العملية .

وهكذا .. تمتلىء بالمشاريع شفهية وتحريرية مصحوبة بثقة لا تحد في تطبيقها وفي الخدمة التي يجب ان تؤديها ـ عن طريقها ـ الى وطنك ..

وتعـــود ...

وتغرق في عالم كريه من المراجعات مبتدئة بالشاغر وعدم المحكومية منتهية بوقفة غير قصيرة الى جوار كاتب الطابعة .. ومبتدئة ثانية بنماذج عجيبة غريبة من البشر ..

وتعزي نفسك بانها سحابة صيف عن قريب تقشع وتأخذ المياه مجاريها، وما تكاد تسجل المباشرة حتى تستأنف الحياة والمشاريع النافعة .. ولكنك تسجل المباشرة وتداوم وتدخل في معمعات لا تنتهي من اشياء لا قيمة لها ..

ولا تكاد تنتهي خطوة مرة حتى تبتدىء خطوة أمر ، وتمر السنة الأولى والثانية والثالثة ... وانت في دوامة من تفاهة تبلغ شدتها انك لا تحس معه بالتفاهة او ان تريك في هذا النافه قانون الحياة ، ولم لا يكون قانونا وعليه تقوم حياتك ومعيشتك وعلاقاتك بالاخرين .. وحتى مجدك أحيانا !

ـ لا ، وماذا ؟ ولم سافرت ولم عدت ؟ واين المشاريع ؟

كانت لي مشاريع ، وعلي ان اكون اقوى من الضعف . أجل ، ولكن أين هي المشاريع ؟ اين هي اسماؤها ؟ اين عنواناتها ؟ تبحث وتنقب فلا تجد أثرا . لقد تبخرت ولم تترك أي أثر من ماء ، وتخف الى اوراقك التيسجلت عليها ما دعتك الحاجة الملحة الى تسجيله من خطط مفصلة فتعثر هنا وهناك على عدد منها بين الاوراق التي ادخرتها والكتب التي اقتنيتها ولم تجد ضرورة الى قراءتها . تنظر الى هذه الورقة فتراها صفراء وتنظر الى الثانية فتراها كالحة والى الثالثة فاذا هي ميتة .. انها ليست مشاريع ولكنها أجداث ... لقد كانت مشاريع يوم كانت في بلاد المشاريع اما هنا فلا تحمل أي معنى ، حتى معنى الطلل المحيل !

وتترك الاوراق تتناثر على مشيئة الرياح وتنطوي على أسى ، هو أسى من فقد عزيزا ، ويزداد اساك لانك فقدت عزيزك قبل الميلاد ، ويخف الاسى لان الجو حولك لايدعك تشعر انه عزيز .

ـ كان ذلك منذ نحو من ربع قرن .. فهل تغيرت الحال ؟

ـ لنسأل القادمين الجدد .

ـ اتنكر عامل الزمن ؟!

ـ لا ، ولكن ..

١٩٧٣-٥-٢٤

٥ حزيران والأدب العراقي

ثم كان من امر الستينات ما كان

ـ ماذا كان ؟

ـ ما اتسم به الشعر من اغماض يقرب من اللعب ومن لعب كاد ينفي شرط الموهبة . ويقولون لك انه شعر ملتزم . وتقول لهم ماذا يلتزم ؟ فيقولون .. القضية . وتقول اين هي القضية فلا ترضيك اجوبتهم ولا ترضيهم اسئلتك .. فانت بعيد جدا عن هذا الذي يسمونه جديدا جدا .

وهنا تكف عن السؤال فلا ترى موجبا لأن تقول أنى لك هذا ؟ أو تقول : لم النثر اذا كان الشعر هو المقصود ؟

ـ والقصـــة ؟

ـ تهويمات تبلغ حد الخنفشارية وضياع وقيء وحشيش مجاني وهي في ذلك كالشعر تتبع التطور العالمي وتسبقه ولم يقل زيد أين انا من كامو ... ولم يقل عمرو ـ اذا لم يرد ان يكون وجوديا ـ ماذا قرأت ل ألان روب گرييه .

وصحيح ان ظروفا قاسية مرت واشاعت في النفوس من الظلمة ما جعلنا رضا خصبة «للقرف» ولكن اما كان المطلوب ان نكون أقوى قليلا مما كنا ؟ ثم لتكن الحال ما تكون السنا مطالبين بالجودة ؟ وصحيح اننا كتبنا صفحات لا بأس بها في ضوء الظرف والفن المتبنى ولكن الجيد قليل . وغلب المفتعل على الصادق والمدعى على الاصيل وطغت « المودة » على الواقع ، فازدوج عالم القصة مع عالم الشعر وسارا يتسابقان في البعد عن الجمهور بعدهما عن الفن الصحيح . وسلم من هذه الوهدة قليلون اتكأوا على رصيد من الثقة بالفكر البناء او حماهم خجلهم من ان يظهروا على غير ما كانوا ...

كان أدباء الستينات راضين عن انفسهم ابان الستينات • وانهم منحو انفسهم من الاهمية ما لم يحسوا معها بضير ، ولم يسأل احدهم احدهم عن قيمة ما يفعل او ينبهه على تفاهة مايكتب ، وقد شغلهم عن ذلك تسابق في الارذأ وتنافس في التقليد • ودفعهم الى المضي قدما الفراغ وغياب الرادع وخلو الدار •

ثم ان هؤلاء الادباء كانوا يعانون العزلة والعطالة والصراع بـــين ان يعملوا شيئا وبين انهم لا يستطيعون ان يعملوا شيئا •

والمسألة تطول ، ولسنا بصدد اسبابها الظاهرة بقدر ما نحن بصـــدد اسباب اضمحلالها • وقد تلقى النهاية ضوءا على البداية •

ـ قد ؟

ـ فما كادت العشرة السادسة تقترب من نهايتها حتى بدأت الظاهرة تخف ، واذ بدأت تخف صعب على أهلها التبرؤ منها أول الامر فشمروا عن ساعد الدفاع عنها لانها ركن من مجدهم ولانهم مسؤولون عنها ••• وهنا ؛ لا تسمع الا التلكؤ والتناقض ، ولكن استمرار النقاش اكسبهم مهارةخاصة وبرز بينهم من تميز بالسفسطة وبرع في التبرير حتى لقد بلغت بهم الحال ان اضفوا على ادبهم معاني النضال مستعينين بما تهيأ لهم من بسطة يستطيعون بها النفع والضرر ••• وهذا ما يمكن ان يفسر ما نشروه بعد الحال الجديدة من شعر او قصص لا يختلف عما كانوا ينشرونه قبلها ، وقد تصدوا الى الاستمرار ولكن القلم لم يعد يسير ، وان واتى مرة ومرتين فانبجس عن قصة مقرفة او قصيدة مغمضة فانه لم يوات في كل المرات •

لقد صار الاديب موظفا او انه صار ـ في اقل تقدير ـ ذا مورد محترم يأتيه من اكثر من جهة : من وظيفته الرسمية ـ وهي تحصيل حاصل ـ ومن ذات اليمين وذات الشمال •••

لم يعد ، إذاً ، ممكنا ان يكون وجوديا او أدونيسيا صادقا او كاذبا ، لانه لا يجد في نفسه ذلك الضيق بالحياة والبرم بالعيش ولا يجد من الوقت

ما كان يجده ايام العطالة ثم انه يعمل تحت شعارات من التقدمية والماركسية العلمية والاشتراكية .. والعامل والفلاح وعليه ان يرضى هذه الشعارات والا خسر كثيرا ، ويستطيع في أقل ما يستطيع عمله السكوت او التحول من الادب الانشائي الى الادب التعليمي ، من القصيدة والقصة الى التشريع والتنظير ...

أجل ، هذا ما يتراءى لي سببا مباشرا لا ضمحلال الوجودية والادونيسية على أبواب السبعين . اما اذا سألت الادباء انفسهم ممن كانوا يزاولون « القرف » ويتعاطون « الغموض » فانهم يبتعدون بك عن السبب المباشر - بعد دخولهم مرحلة الاعتراف برداءة حالهم السابقة - الى اشياء متضاربة اطرفها ٥ حزيران .. انه الخامس من حزيران .. وتسمع بعد ذلك خطبا رنانة طنانة عن ٥ حزيران وما ايقظ في الانسان العربي من عملقة وما اثار في نفس الاديب العراقي من الم واحساس بالاثم وتدبر للامر ونقد ذاتي ... لقد كان الناقوس الذي نبه النيام وانذر بالخطر .. كأنهم وجدوا في ٥حزيران سببا وجيها للاعتذار ، وعاملا يرفع من شأنهم ويهيىء لهم مكانا من النضال .

ليكن ... اما انا فقد نظرت طويلا في الامر ، في ٥ حزيران وما قبل ٥ حزيران فما رأيت لقضية فلسطين - في جملتها - أثرا مهما في الادب المبدع. لقد اصبحت فلسطين موضوعا ولكنها لم تصبح ضميرا ...

ثم اين كنا قبل ٥ حزيران ؟ انه لمن البلادة ان يقول اديب ان الخامس من حزيران فاجأه فأيقظه . ان الضمير الحي كان يرى ٥ حزيران ماثلا في الخطب والشعارات والانظمة والعمالة .. في العرب قبل ان يكون في غيرهم .. وفي الادباء اذا أردنا الا نتخلى عن المسؤولية .

من الغباء المركب الا نكون قد رأينا ٥ حزيران قبل ٥ حزيران ، ومن الاثم المضاعف ان قعدنا عن تسجيل المغالطة الكبرى في حينها .

لقد جئت العراق بعد عام من حزيران فرأيت الامور كما هي غموضا

وقرفا .. وناقشت في الظاهر طويلا بعد حزيران فما ورد حزيران على لسان
ثم لم يلبث القوم ان اكتشفوه ، فلو كان حقا فلم غاب هذه المدة الطويلة ؟
تم اين نحن من التوبة وقد مرت اعوام .. فيها ايلول ونيسان ومايس ـ
واخشى ان اعدد الشهور الميلاديـة الاثنى عشـر واستعير من الهجرية اثنى
عشر اخرى .

كم اتمنى ان نربط الظواهر بأسبابها

ـ وانا كذلـك ...

١٩٧٣-٥-٣١

آداب المقابلة الصحفية

في البلد صحافة ضيقة المدى ولكنها تسعى الى ان تكون سجلا للحركة الفكرية ـ وهذا جميل ..

ويشتغل في هذه الصحافة عدد لا بأس به من الشباب ، ومنهم من يهوى عمله حتى ليغلبه الهوى على ما سواه . انه صحافي والا فلا ـ وهذا جميـل قليـــل ...

ولكن الصحافة لم تشر جيدا الى قدرة على تحقيق ما تصبو اليه ـ وقد تصل يوما ..

ومن الشباب من يلجأ الى الصحافة ارتزاقا وسعيا وراء مورد يعينه على العيش من اجل هدف اخر ، ومنهم من يهوى في الصحافة امورا خارجة عن الحقيقة في العمل الصحفي ، كالدخول والخروج ، والاتصال والتعـرف ، والحفلات والندوات ـ وهؤلاء وأولئك كثيرون ..

وليكن الامر ما يكون ، ولتكن الاسباب الى ذلك ما تكون .. انما المهم بأيّ انسان « يختار » لنفسه ـ طوعا او كرها ـ عملا ان يزود نفسه ما يهيىء له نجاحا في هذا العمل ، وان .. وان ..

ولم يتحقق هذا الغرض ، في الاغلب الاعم ، لان الانسان منا يكتفي بالهدف القريب دون تفكير في تهيئة الأدوات وفي ضمان الجودة والاستمرار، لقصر في النظر وفساد في المفهوم .

يعجب عددا لا بأس به من الشباب ـ او ممن تعدى قليلا طور الشباب ـ ان يخرجوا من وراء مكاتبهم . ومن هؤلاء من يخرج عن طريق التلفون فقط وقد تكون لهذا اسبابه العاجلة ، الا انه ـ اذا جد الجد ـ وسيلة عجيبة . واذ يرد ذكر التلفون ، يرد الدافع الى الخروج من وراء المكاتب : الا وهو

السبق الصحفي وأخذ المادة من معدنها وتنويع هذه المادة شكلا وفكرا - ولنترك التلفون مستقرا ..

ولنقل ان هذا الشاب الناهض يريد ان يتصل بالاستاذ الفلاني ليحصل منه على علم معين بموضوع معين او حركة معينة . فماذا يحدث ؟

يحدث ان هذا الصحفي الناهض لا يحس بأية مسؤولية ، كأن كل همه ان « يجلب » حبرا يريقه على ورق فيجري في الانهر ويغرق الاعمدة . - كيف ؟ وماذا ؟ فليس بالمهم .. وقد يأتيك هذا الصحفي متهالكا خائفا . مستهلكا ، على الغاية من التواضع والتصاغر - وهذا غير مقبول او معقول . وقد يأتيك منتفخ الاوداج بسلطان صاحبة الجلالة فيبدو وكأنه متفضل . - المسؤول مسؤول ازاءه وازاء الجريدة التي حولت نقصه الى كبرياء - وهذا أسوأ ما في اخلاق الصحفي .

لا ... لا ، يا اخي ، ان الشرط البديهي في الصحفي - الذي يتصل بالناس - التواضع الطبيعي والقصد الشريف . وتذكر دائما انك صاحب الحاجة ، وليكن الذى ازاءك - بعد ذلك - من يكون : استاذا او شاعرا او فيلسوفا .. او عاملا او فلاحا ، انه مهم دون شك ، والسبب بسيط جدا في الدلالة على اهميته ، وهو انك سعيت اليه مشيا على القدم ..

والمسألة من البداهة بمكان ، والصحفي من أحوج الناس الى النعومة النابعة من مزاج ناعم ، واللباقة المنبثقة عن تربية لبقة .

ثم انك قررت ان تقصد فلانا لتكسب مادة لجريدتك . فماذا اعددت للموقف ؟ هل قررت ان تصل في الموعد المتفق عليه ؟ مجهزا بما يكفل لمهمتك النجاح ؟ او انك تترك الامور كما هي وكما تأتي ، كأن المقابلة الصحفية ضرب من التلقائية المطلقة ، وكأنها لا تشترط بصاحبها معرفة القراءة والكتابة في أضعف الايمان .

أخي العزيز ، تحية واحتراما ، وبعد ، فهناك اعداد عام في كل ميدان

السياسة ، الاجتماع ، التاريخ ، العلم الصرف .. الماضي والحاضر ، الشرق والغرب .. وينبثق من هذا الاعداد العام اعداد خاص في ميدان واحد من هذه الميادين ، وينبثق عن هذا الاعداد الخاص اعداد اخص ..

لا بد للصحفي من مكتبة عامرة بالعام والخاص ، ومن ثقافة حسنة بالعام والخاص .. انك ستسأل بصدد الحركة الفلانية فلانا من الناس ، وانه لمن البلادة ان تنطلق من ادارة جريدتك صفرا عن الحركة وعن فلان ، لا لأن الأدب يقتضي العلم ، ولكن لأن الغايةالتي خرجت لها تقتضي هذا العلم .. اي انك ستكسب أكثر وستفيد أكثر وتعود بصيد سمين ، وانه لمن البلادة كذلك ان تكتفي من الصيد بانك استنطقت فلانا عن المسألة الفلانية ، فليس ذلك بشيء ، لان المهم العمق والجدة والتفرد .. وهنا هنا السبق المؤزر رأيت كيف تتحد الوسيلة والغاية والطريقة والهدف . ان السبق الحقيقي لا يأتي عبثا ، فماذا اعددت ؟

ـ وماذا اعد ؟

ـ انك تريد ان تسأل عن المادية .. او المثالية ، او العروض ، او الشعر الحر ، او الالياذة ، او المعلقات .. واول ما يشترط فيك ـ بعد الشروط الاخلاقية في السلوك ـ ان تلم بالموضوع الذي ستسأل عنه ، ولا بأس في ان يكون الاعداد الخاص عاما تعرف به شيئا عن موضوعك في جوهره وتاريخه واعلامه لكي تسأل عما هو في صميم القضية مبتعدا عما هو شائع ذائع ، واذا رآك المسؤول عارفا بالموضوع فانه يزداد احتراما لك واهتماما بك وعناية باسئلتك .

ـ ثم ماذا تعرف عن فلان المسؤول ؟

ـ انه فلان ، دائرته كذا ، تلفونه كيت ..

ـ هذا اتفه ما يمكن ان يعلم ، لان المهم ان تعرف الخطوط العامة في نفسه وفكره ، والمراحل الاساسية في تاريخه وتطوره .. ما نشر من بحوث ومقالات .. او نظم من شعر .. او كتب من قصة ..

تلم بهذا ، وفي الالمام العام ما قد يكفي لانه لا يريد ان يكلفك المستحيل ، انك تلم بمقدار ما يهيىء لك النجاح العلمي في المهمة .

واذ يبدأ بالاجابة .. تكتب في ثقة وامانة لئلا تجور على الحقيقة وتحمل الرجل ما لم يكن من علمه أو رأيه فتوصل الى القارىء ما لم يقم على أساس .. أجل ، ان اي تصرف في نصوص الاجابة هو خيانة لمن تقوم وسيطاً بينهما . واذا كان لا بد من شيء من التصرف كالحذف والتلخيص فليكن ذلك عن علم المسؤول ورضاه . اما ما يجري - احيانا - في بعض الصحف العربية - من تحريف مقصود وتزيد يرمى الى الاثارة واحداث الضجة .. وبيع اكبر عدد من النسخ .. فذلك من الحقارة ما لسنا بصدده من قريب او بعيد .. ولا تصلح هذه الصحف ان تكون صحفا فضلا عن ان تكون قـــدوة !

- ثم ماذا ؟

- ... ثم ان الادب يقتضي ان تنشر هذا الذي تحصل عليه في اسرع وقت لئلا يفقد قوته الآنية فيبدو الرجل وكأنه يتحدث على غير موجـــب « ويتحمس » لغير مناسبة .. ويقتضي ان توصل الى فلان الذي حرصت على مقابلته ، استاذا كان او شاعرا .. او عاملا ، او فلاحا ، نسخة - أو أكثر - من الجريدة او المجلة التي تعمل فيها وحصلت لها على الاجابة المطلوبة. لان علاقتك بالمسؤول ليست علاقة سوقية رخيصة تنتهي بعد الحصول على الصفقة التجارية ، انها علاقة « روحية .. » ثم ، لا يبعد ان تحتاج اليه مرة اخرى - او مرات - فيما يجد من موضوعات ويبرز من قضايا .. أرأيت مرة اخرى ارتباط الوسيلة بالغاية وان ليست المقابلة مصيدة ينتهي مفعولها بمجرد ان تطبق ؟!.

- ان هذا الادب ، حتى في خطوطه العامة ، ما لم يفكر به او نقدره قـــدره .

- الغلط لا يقاس عليه .

ـ ان تحقيقه صعب ، وصعب جدا ..

ـ لو كان صعبا جدا كالذى يحدث في المقـابلات التي تعرض الصحفي الى الموت ، لدعوتك الى التضحية او حدثتك عنها ، واذ لم يكن على تلـك الدرجة فمن حق قائل ان يقول : ومن أجبرك ، إذاً ، على أن تكون صـحفيا ؟ ليست الصحافة ارتزاقا فقط ، وليست رغبة فقط ، وانما هي خدمة الحقيقة عن طريق الهواية بلباقة ولباقة ، وما عدا ذلك باطل على باطل ، ولا يشرفك ولا يشرفنا .

وبعد ..

فقد كان العرب يضعون آدابا لكل شيء ، ومن ذلك آداب البحث والمناظرة .. ويقصدون بالاداب هنا ما نقصده اليوم من المنهج والطريقـة وما يتصل بذلك من علم وعقل ، وما يسبقه ويلحقه من كرم الخلق وصدق اللهجة وعفة الهدف وطيب السيرة وحسن التأتي .. ايمكن ان نأخذ هـذه عنهم ونمزجها بما يجب ان تأخذه عن الغرب في الفن الصحفي وفن المقابلة الصحفية بوجه ادق ـ والفن هنا ـ يعني الادب ، والادب يعني الاخـلاق والمنهج ، والمنهج يعني ركنية المتحدين : الوسيلة والغـايه ـ أرأيت ؟ ولنتعاون .

١٢-٧-١٩٧٣


٤

الصحيفة قبل نصف قرن !

اذ قامت الحرب العالمية الاولى ، عاد من المانية شاب شهد هناك اشياء جديدة ، وقرأ وأسهم واتصل اتصالا مباشرا بالفكر التقدمي وكان متحمسا لهذه الافكار .

وكان طبيعيا ان يبحث عن اصدقاء ، وان يكون لهؤلاء الاصدقاء من خلق التمرد والاحساس الوطني ما يجعلهم يجدون فيه الاخ الذي كانــوا يبحثون عنه والمصدر الذي يزودهم ما يتعطشون اليه ـ وقد وجدهــم ووجدوه .

كان اسمه حسين الرحال وقد اصبح نواة التف حولها عدد من الشباب أمثال : عوني بكر صدقي ، عبدالله جدوع ، مصطفى علي ، سليم فتــاح ، محمود احمد ، ممن كانوا الطليعة التقدمية ـ قبل ان يوجد الاسم .

ويتصل النقاش وتبادل الرأي والاطلاع ويصبح الاصلاح الجـذري شغلهم الشاغل . ولم يبق امرهم مجهولا فقد تحدثوا هنا ونشروا هنــاك ولم يسلموا من مضايقة او سخرية . وكان طبيعيا أن يفكروا في اداه لبث الرأي السليم ومحاربة التقليد السقيم ، فلابد من جريدة او مجلة خاصــة بهم وان يعملوا جادين لتوفير المال ،وطال النقاش عن اسم مناسب لهــذه الاداة حتى رأوا ان يكتفوا بابسط الاسماء فقر قرار حسين الرحال ومصطفى علي على اسم : الصحيفة .

وفي عزمهم ان يطول عمر هذه الاداة المعبرة عن افكارهم المؤدية الى الاصلاح المرتجى ، وليكن بعد ذلك ما يكون فقد وطنوا انفسهم على اسوأ الاحوال مستمدين القوة من رأيهم وشبابهم منتظرين التشجيع من «الاحرار المهذبين» .

ورأوا ان يكون مقر الجريدة ـ مؤقتا ـ المطبعة العصرية حيث سيطبع العدد الاول • وصدرت الصحيفة : مجلة ادبية علمية اجتماعية • نصف شهرية ، العدد الاول ، بثلاث آنات ، ١٦ صفحة حجم نصف جريدة : الاحد ١ جمادي الاولى ١٣٤٣ ، الموافق ٢٨ كانون الاول ١٩٢٤ ، المدير : حسين الرحال ، المحرر : مصطفى علي •

الجريدة او المجلة كما سماها اصحابها ذات رسالة تلتزم مقارعة ما لا تراه صوابا وبث ما تعتقده حقا في اصلاح الحال والتطور قدما ولهذا فهي تتسقط ما يناسبها من اقوال المفكرين لتزين صدرها • واختارت لعددها الاول اناتول فرانس ، نسمى « مفسدين » كل من نشأت افكارهم على غير الصورة التي نشأت عليها افكارنا ، و « عديمي الاخلاق » من ليس لهم اخلاقنا • ندعو « غير معتقدين » من لا يعتقد عقائدنا ، غير ملتفتين الى ان لهم معتقدات أخرى » •

والقول ذو دلالة على ما هم فيه من عزم ومن مجابهة القوى المعادية ومصادمتها ، بل ان المجلة لتعلن رأيها صراحة ، من دون تلفع بأناتول فرانس، منذ السطور الاولى من افتتاحيتها •

« تتقدم الصحيفة اليوم الى ميدان الصحافة لتقوم بما تستطيع القيام به من الواجب تجاه هذه الامة الكريمة التي اتخذت رقيها واسعادها مثلها الاعلى في هذه الحياة ، تصدع بما تراه حقا ، وتقول ما تعتقده صوابا ، وربما شذت عن طريق سلكتها الصحف من قبلها فيما اذا اقتضى الحال لها ان تشذ ، ستفرغ جهدها لتحقيق آمالها غير مبالية بما تعترضها من العقبات ، مستسهلة ومذللة ما يصادفها من المصاعب ، غير مكترثة بما يتقوله البعض وما يتذرعون به للوقوف في سبيلها » •

وأول قاعدة يقف عليها الرأي الجديد هي التطور ، كل شيء ، يتطور نحو الاحسن ولابد من طلب التطور لبلادنا ولابد من هز السكون ، ومن هنا كانت المقالة الرئيسة بعد الافتتاحية بعنوان « التطور ناموس عام » ••

« كانت الفلسفة القديمة تعتقد بالاستقرار في كل شيء ، فتصوغ نظريات تدعي أنها صحيحة في كل وقت وزمان ، ولا نزال نشاهد تأثير هــذه الفلسفة في الافكار السائدة في هذه البلاد فان معظمنا لا يزال يعتقد بالاستقرار لا في الامور الطبيعية فقط بل في الامور الاجتماعية ايضا ، في العادات والافكار والنظم .. وينتج من هذا اننا نعتقد ان اخلاقنا وعاداتنا القومية (كما نحن) وانظمتنا وطرز معيشتنا وقوانينا ليست تابعة للتطور ..

وهذا اعتقاد غير صحيح طبعا ، اذ ان نظرة سطحية تلقى على تاريخ الاقوام تثبت لنا ان هذه العناصر ليست ثابتة لا تتبدل .. »

وأهم عنصر مشلول في المجتمع هو المرأة ، وأهم ما شل المرأة الحجاب ، وكانت عقيدة أهل الصحيفة في ضرورة السفور لا تتزعزع ، وهي من أكثر ما جلب عليهم البلاء ، وربما كانت السبب المباشر الذي نبههم الى ضرورة أن تكون لهم مجلة خاصة بهم ، فاذ دعوا الى السفور في الجرائــد الاخرى وقامت الرجعية ضدهم أوعزت الحكومة بسد ابواب الجرائد في وجوههم وفتحها واسعة في وجه اعدائهم . وكان « محمد سليم » يوالي - في جريدة العراق - حلقات الكتابة في « حالة المرأة الاجتماعية وطرق اصلاحها » واذ امتنعت الجريدة عن نشر ما يوصله اليها نقل الى « الصحيفة » خاتمة سلسلته.

« ... يا اسيادي المعارضين اسمحوا لي بأن أقول كلمتي هذه وهي: ان تطور المرأة واكتسابها حقوقها وامتيازاتها المغصوبة لكي تحتل محلهــا المناسب من الجمعية العربية أمر مهم ولازم يحتم على كل وطني السعي في تعجيله وتسهيله ...

فأول التدابير وأهمها ... كشف الحجاب تلك العقبة الكؤود التي تحول دون القيام بكل عمل او اصلاح جدي ، فالمرأة المتحجبة لا تستطيع ان تتطور وتكتسب موقعها الاجتماعي ...

لست بمبال بسخطكم يا سادتي الرجعيين ذوي الاجتماعات المتواليـة ومشوقي بعض الاوباش من الناس الى ضربنا او اهانتنا ! » .

وما كاد ينزل محمد سليم عن المنبر حتى صعد مصطفى علي :

« ... على قاعدة الخصومة الشريفة واحترام المبادىء دخلنا المعركة الادبية الاجتماعية التي دارت بيننا وبين الحجابيين الذين كانوا هم المذكين لنيرانها والمثيرين لعجاجتها .. وقد تذرعوا لذلك بذرائع شتى فتارة بخطبهم أيام الجمعات في مساجدهم وطورا بالتجائهم الى الافتاء بتفكيرنا على منابر الوعظ واخرى بتحريض شذاذ القوم على ضربنا واهانتنا وقد نفذوا ذلك بأحد الشبان ، فقد كمن له البعض وضربوه ضربا مبرحا حتى اصبح طريح الفراش رهن المستشفى .. »

ـ ما كاد ينزل مصطفى علي حتى صعد عوني بكر صدقي ..

« كانت الضجة العنيفة التي قامت بيننا وبين الحجابيين ضربة قوية على العوائد القديمة في هذه البلاد ، شعر منها المحافظون ـ لاول مرة ـ بانهيار بنيانهم الادبي البالي فقامت قائمتهم بين مرعد ومزبد .. »

وتولى محمود احمد المدرس الحديث عن الحركة الادبية :

« لكل عصر اداب ، ولكل جيل ادباء ، هم زعماء الحركة الفكرية فيه .. العراق .. قطر يتحفز للنهوض .. الحركة الادبية فيه .. مشوشة مضطربة لم تنل بعد حقها من الرسوخ .. ولئن كان في الامر عامل حقيقي فما هو الا اهمال ادبائنا ـ على قلتهم ـ وجمودهم على الارث الرث القديم .»

وكتب حسين الرحال مقالة اخرى في ميدان التطور ، وكتب مصطفى علي (م. ع) مقالة اخرى في ميدان السفور .

وبدأت الاستعدادات للعدد الثاني ، وبدا ان لا بد من مقر خاص لادارة الجريدة يضم شمل الشباب ويجمع شأن الكتاب فكان ان استأجروا غرفة في الشارع العام (الرشيد) مقابلة لسينما الوطني ، وكان اونهم قد تميز و « عقائدهم » قد عرفت وسبب لهم ذلك عنتا وتعليقات وسخرية . كانوا يقصدون الى الاصلاح الجذري في القضاء على التمايز الطبقي وفي

تنوير الذين خدعتهم الخرافات من كل نوع ••• ويتوقون الى ان يحتل العراق مكانه من السعادة •

صدر العدد الثاني واختاروا لمكان الشعار من مجلتهم قولا لهاينه : « اينما ينشر كبير آراءه تنتأ رؤوس خبيثة تحاول اخماد صوته وتسعى في التنكيل به » ••

وقولا لنيتشه : « ليس للبشرية اذن صاغية لنغمة جديدة » • وساروا في الطريق التي بدأوها من التطور والتجديد وربما ذهبوا بالصراحة بعيدا عن هذا ••

وقد آمنوا بالهدم أساساً للبناء على لسان مصطفى علي :

« ••• تقويض الماضي لنشيد لنا بناء قويا لانه هو العقبة في سبيلنا •• اذا •• نفضل التقويض لنشيد ما هو أرسى واتقن ولا نسيل الى الترميم » ••

وتتصدر العدد الثالث كلمة لسن سيمون تعلن الصراع بين القديم والجديد : « ان العصر الذهبي ليس في الماضي كما يدعون بل هو في المستقبل ••• » ويتضمن هذا العدد مقالة غير موقعة مصدرة بكلمة لفؤاد باشا : « يجب علينا ان نقتبس كل شيء جديد ونافع » • وفي المقالة : « للقديم والجديد بين ظهرانينا صراع هائل ••• سيظهر الثاني على خصمه كما ظهر في العصور الخوالي •• »

واذا كانت مثل هذه الدعوة قائمة لدى غير هذه الفئة من شباب الصحيفة فان هذه الفئة تتسم بالحماسة وبلوغ الحال لديها مبلغ العقيدة وربط مجموع الامور باحدث ما وصل اليه العلم والفكر وبالعامل الاقتصادي حتى ان محمد سليم في مقال له بعنوان « الشعور المِلّي ـ الاقتصاد المِلّي » يستعرض فيه ما حدث في فرنسا ••• « العامل الأساسي والمهم في ايجاد ذلك الانقلاب والباعث لحصوله لم يكن العلوم والاداب المذكورة وحدها بل ان هناك عاملا اخر أهم بكثير من تلك العوامل : ذلك هو تغير النظام الاقتصادي بتطور طرق الانتاج •• »

في العدد الرابع كتب (ن. ل) « اخلاق الاقطاعيات » وقال : « ... أول شيء يجدر بنا ان نعمله هو ان نجلب انظار القوم الى أن آداب الاكثرية هي التي يجب أن تحترم ... »

ويعود (ن. ل.) في العدد السادس متسائلا : « هل هناك عروق ممتـــازة » ؟

وتتوقف الصحيفة عند هذا العدد قبل ان يبلغ عمرها الشهر الثـــالث فقد تضافرت عوامل عديدة للاجهاز عليها والاطاحة بها ، فأغلق الشباب غرفتهم وودعوا احلامهم ولم تعش مجلتهم العمر الذي انتظروه لها ولم يحققوا به الاصلاح الذي ارادوه لوطنهم في الفكر والاجتماع والادب والسياسة - وان لم يقربوا لفظة السياسة مباشرة - . ولكن جهدهم لم يذهب من غير ثمـرة واراءهم لم تكن على غير صلة فما هم الا حلقة في بناء العراق الحديث ولم يكن قيام مثلهم بدعا في التاريخ كما لم يكن توقف صحيفتهم بدعا كذلك ...

وحاول بعضهم ان يمد في عمر الصحيفة فبذل الجهد في ذلك ولكنه ما كاد يستأنف الاصدار في ١٣ مايس ١٩٢٧ حتى استأنف التوقف بعد العدد الثاني ، ولم يكن لعدديه هذين ما للاعداد الستة الاولى من قوة ودلالة . حتى لكأنهما لم يصدرا او كأن الاولى الا يصدرا وقد غاب في هذين العددين اسم حسين الرحال ومصطفى علي غيابا تاما ، ولم يكتب فيها محمد سليم وعوني بكر شيئا ذا بال ، وصال محمود احمد وجال على غير أهمية تذكر .

اجل ، ماتت الصحيفة بعد العدد السادس وما كان لمثلها وفي الظروف المحيطة ان يعيش اكثر مما عاشت .. ولكن ذكراها ستبقى بمقدار ما حلمت بالمستقبل وبمقدار ما يذكر الحاضـر بهـا ، فليس سـهلا ان تصـدر « الصحيفة » في ٢٨-١١-١٩٢٤ ، وليس سهلا ان تقارب عمرها ثلاثـة الاشـهر .

١٤-٦-١٩٧٣

سائلي عمّا يؤرّقني ..

الجواهري عين ثرة تبدو غريبة في عالمنا .. وقد مرت أعوام دون ان تنبجس قريحته ، فقال الكارهون : انتهى ! وقال المعجبون جدا ! وا أسفاه ! وقال المعجبون فقط : انتظروا .

وكانت العوامل تعتمل في نفسه من اقصى التفاهة التي تبدو عظيمة الى أقصى العظمة التي تبدو تافهة . من الحاجة الى المال الذي يحل به مشكلاته اليومية الى الشعور بالعدم الذي يزيد الظلام ظلاما .. ولو كان في براغ لكان في غنى عن مثل هذه المجابهة المكشرة عن انيابها العصل . ولكن اين هي براغ !! ثم اسباب اخرى أكثر مباشرة ، نعرفها او يخيل الينا اننا نعرفها ، وينكرها او يحسب انه ينكرها .

وتتلبد سماؤه وتتزعزع ارضه ويضرب السالب بالموجب فيبلغ الشحن حدا رهيبا .. فيأرق ، كما ارق قبل عشر سنين ، وكأن لم يكن خلال هذه السنين ما كان من تاريخ حافل ، وما قيمة التاريخ لديه والتشاؤم عميق الجذور في نفسه ، وما يكاد ينام الظاهر حتى يستيقظ ما في الباطن ، وما يكاد الباطن يطغى على براغ او بغداد حتى يبدو إزاء نفسه عاريا كما كان في النجف يعاني الحاجة والحرمان وضياع الفضل وعقد التقاليد والاعراف ... ويعالج ذلك بالعناد مرة وبالثورة مرة .. وانه لفي هم عظيم كبر عن السؤال والجواب :

سائلي عمّا يؤرقني لا تسل عني .. ولا تلم
حال ريعان الشموس ضحى وتمشى الثلج في الضرم

الشيخوخة ، الموت ، أن الجواهري الشاب ابدا ، محب الحياة حتى لتشر ، يرى الحقيقة ازاءه سافرة : لقد شخت أيها الجبار ، لقد ارهقت أيها لاعصار ، ولست أكثر من قشة يجرفها السيل العرم - يا للفظاعة !! الجواهري مبشر بالنور ، مبصر الحب في عالم الضفادع ، ينظر اليوم - ولمرة ليست لاولى ، ولعلها الاخيرة - فيرى المرارة تنتصب بانتصار الظلمتين : ظلمة النفس

وظلمة العدم ـ اين كان عن الوجودية ، واين كانت الوجودية عنه ؟!

الجواهري الذي يفخر ـ ويطول فخره ـ بأنه صريح ، جريء يطمئن اليوم الى انه ليس كذلك : انه ليس جبارا ازاء الحقيقة الرهيبة انه يمثل دور الجبار ويظهر بمظهر القوي • ان هذا التبسم الذي تراه فتفسره بالعنفوان ان هو الا وسيلة الاعصار الذي طوي قهرا على الحسم • انه لون من الرياء يلجأ اليه من يريد ان يكون صريحا فلا يكون ، وهو ضرب من الضعف يلوذ من يريد ان يبدو متماسكا ، وهنا سر للارق الطويل ينفتح عن سر أعمق •

انه يأرق اذا نام الناس ، انه في شغل شاغل عما يقال عنه ، وعما يقوله هو عن نفسه اذا اراد أن يحدث الناس بما يريدون ان يحدثهم به ، والا •• فما أوحش عالمه وما اقسى ما يعاني من اشباح هي واقعه الذي لا يعرفه احد سـواه :

أنـا لي جفنـان من حجـر ان يصبـه الليـل ينقسـم
فاذا مـا اطبقـا أخـذا تحت ظـل الصـارم الخـذم
لوبيء •• موحـش دنـس بالأفـاعي الرقـط مزدحـم
وانبرت تلتـف حولهـا غابـة مكتظـة الاجـم

ومن اين تأتيه هذه الصور الرهيبة المفعمة بالحيرة النابضة بالاصالة لو لم يكن جفناه من حجر على الوجه الحقيقي ، وهو المرء الذي يعيش في الارق أكثر مما يعيش في الصحو ، ويجد نفسه في البؤس أكثر مما يجدها في النعيم ، فان وجدها في صحو او نعيم فقل ان هذين من دينك !

ـ خيرا ، أبا فرات ، ماذا ؟ ولماذا ؟

ـ بل قل شرا ، فقد طغى الماء ودعا كل شيء الى الاعتراف بالضعف ••• انا الجواهري الأباء الشامخ ، انا اعرف بسر البلوى منك ، وان كنت قد عرفت قدري مبكرا فلقد زادت هذه المعرفة على مر الايام ، واذ بلغت الذروة وجدتني ازاء الحاجة وجها لوجه ، ووجدت الحاجة تغلبني :

انـا غـير المـرء تقـرؤه من خلال الوجـه والكلم

بسمات فجة حجبت   في قلبنا غير مبتسم
تأكل الحاجات ضارية   اكلة الجوعان من شممي

أيكون هذا ؟ اتلومني بعد هذا ؟ اما ترى كيف تقسم الحظوظ في المجتمع ؟ انه لامر عظيم وعقوق ما بعده من عقوق !! ولا تعجب اذا رأيتني ـ وأنا الجواهري الذي دان له سلطان الحرف وانسجم في كلمه جبروت الفكر ... انا ، ولابد من الصراحة ـ اذا لم يبق ازاء المرء غير الصراحة ـ انا اقصر من ان اجد ما يقوى على الاعراب عما يعتمل في نفسي من حاجة ، وعما اجده في المجتمع من عاهة .. وليس العيب في ، فالامر جلي لدي ، وانما في الاداة ، وما يحيط بالاداة اذا اسفرت الحقيقة عن جوهرها ، اجل ، واني :

لم اجد في العود من وتر   واحد يقوى على نغمي

ـ كأن البيت سطر من النثر لجأت اليه اذ داهمك عسر الصراحة أو خشيت ان تتدخل الارادة في قصد القصيدة . والا فالفنان الكبير يستطيع أن يزيد في العود وترا جديدا يودعه نغمه الجديد ، وقد زدت هذا الوتر منذ « سائلي .. » ورحت تساقيه النغم المناسب ، ولكل قصيدة عصماء وترها الخاص بها . ولعلك اذ بلغت :

شاء هم الناس احمله   فوق همي ان يلاث دمي
وأحاسيس انبشها   كانتباش الدود في الرمم ..

شعرت بأن شيئا من الصحو يتسرب الى أرقك ، وأحسست بالخارج يدس أنفه .. حتى خالجك الشك في أن تبقى الصراحة على نقائها .

ثم لم يلبث عنفوان الظلام ان سد الثغرات فعاد سيل الشعر الى مجراه بعيدا عن الترقب والتوجس .. فصغت الذي تريد ان تقوله باللباقة التي يبقى معها الشعر سحرا .. ولم ؟ صحيح انك في موقفك الضائق بما حملت نفسك من هموم الناس ، ولكنك معتز بهذا الحمل ، ولولا هذا الاعتزاز لما كنت في قلق لما ينتابك مما ينتاب سائر الناس فلا يقلقون ، كأنك اكبر منهم ، وكأنك تعلم ان الناس هؤلاء يعدونك كبيرا ويريدون لك ان تبقى كبيرا ...

وهنا . هنا المشكلة . لماذا وانت منهم ؟ لماذا ، وانت تريد ان تعيش كما يعيشون وتخطيء كما يخطئون ؟ وتزدحم الاسئلة دتنسى مفخرة « شاء هم الناس » ـ كأنها طارئة ـ وتوغل في « واحاسيس انبشها » ولا تجـــد وسيلة غير الاعتراف :

أنــــا يـــا من رحت تجهلني عبد مكـــــذوب من الهسم

ولكنه اعتراف الانتقام ، حتى اذا قارب ان يكون ندمـــا لان ، ولبس الاحتجاج فيه مسوح الرياضيات ، وشف المجد الخالد عن الحـــاجة العابرة وتكشف الدائم عن اليومي :

يا حبيبي والمنى قســـم بــين مرجـــو ومغتنـــم
حاجة ريـــت فما امتنعـت عشت منها اتفـــه القسـم
وحويجـات هتفت بهـــــا فســـددن الســمع بالصمم
وانزوت في النفس ثالثـــــة بعـدت شـــأوا فلم تـــرم

لم ؟ أنا الجواهري احرم الاشياء ؟ لم لا يتهيأ لي منها ما يتهيأ لغيري ؟ تقول : انك شاعر نضال . واقول : احرام على شاعر النضال ان يعطي مناه ، ان يعطي حقه في الحياة ، ان ينال ثمرة للنضال كما نال الاخرون من ناضل منهم ومن لم يناضل فان كان نعيم فأين حظى منه . وان كان نضال فايــن ارضيتـــه ؟؟

وهنا .. هنا ، على بساطة المطلب ووضوحه ، يتعقد الامر ويصعب فهم الجواهري على الناس ، فالناس يريدون من الشاعر ان يكون كذا وان يفعل كذا .. ولا يتصورون انه انسان ايضا يريد ان يكون كذا وان يفعل كذا ..

ـ واذا ، فماذا يمكن ان تكون الحويجات ، بل الحاجة الثالثة ؟

ـ قد تكون سعادة البشر جميعا ، وقد تكون سعادة العرب وسعادة العراق ، وقد عودنا الشاعر ان يطلب ذلك لانه شاعر للناس .. ويمكن ان تكون اضيق نطاقا ، وان تكون شخصية ابتداء من المنصب والراتب العالي

والعيش الرخي وانتهاء بعدد محدود من الدنانير يحل ازمة عابرة ويفرج كربا ملما .. بان يلوذ ببراغ التي طالما انسته همومه وابعدته عن ان يقف ازاء صغائر الحياة وجها لوجه ـ من يدري ؟ وفي الابيات ما يحتمل هذا او ذاك ... واشياء في نفس صاحبها .. ايقظته على عالم موحش من اوهامه الخداعة وردته الى مجتمع كان هو من « اسلابه »

واذا كان الجواهري نسيب المتنبي ، وقال المتنبي :

وشر ما قنصتـــه راحتى قنص   شهب البزاة سواء فيه والرخم

ان يستوي في الطبقة الشاعر والمتشاعر ، العظيم والخسيس ، فان حاله اشد ، لانه في مجتمع ـ وبعد الف سنة ـ « يجلد العقبان بالرخـم » وكأنه يقترب بذلك من السبب المباشر ولكنه لا يذكره لتفاهته اذا قيس بعظم الحال التي هو عليها :

ســائلي عمـــا يؤرقني   أنـــا من عبادة الصنـــم

وهنا يكون الشاعر قد قال كل شيء ، وتكون الموجة قد اقتربت من الطرف الاخر للهوة ، وهو كالاول : شيخوخة وموت ، ولواذ بالبقية الباقية من الفضل ، وهرب من النهاية بكل وسيلة ..

وبين هذا وذاك بيت يبلغ من البساطة ان تخاله سطرا من النثر ، ويبلغ من التعقيد ان تعجز عن لم اقطاره !

انا جئت الصبـــح مخترما   علم ان الليـــل مخترمي

وهو يفسر ما صدر ـ أو يصدر ـ عن الجواهري من جد وعبث ، وقوة وضعف ، واقدام واحجام وماركسية وابيقورية ورحلتي الصيـــف والشتاء بين بغداد وبراغ ... ان الجواهري يفعل ما يفعل بما يفسره بالرسيس . لانه يعرف أن العمر محدود ، وان الموت حق ، وقد كبرت الحال عن لائم او خصم أو حكم ... وعن ان يأبه للمتهم المشتط المفحش ..

اذا كان معنى الاخترام ان يأخذني الموت ســريعا ، فلأخترمِ قبل ان أُخْتَرَم ، ولآخذ سريعا قبل ان أؤخذ سريعا .

لخص الجواهري بهذا البيت حاضره ، وربما لخص حياته كلها . وكأنه لخص الحياة اذ لخصها ، وعرض ما يؤرق الانسان اذ عرض ما يؤرقه ••• وتبقى المسألة ـ بعد ذلك ـ نسبا وظروفا تستدعي الظهور حينا والخفاء حينا ، وتهيج الاعصاب مرة وتخدرها مرة ـ فلتكن حربا على عوامل الفساد . ولنبن عالما مورقا ، فالقبح يغري بالجمال بسقدار ما يغري الجمال بالقبح ـ وقد تهيأ للجواهري ان يرى الحالين ، خيالا وحقيقة ، فكان ذلك من اسرار ثورتــــه •

٢١-٦-١٩٦٣

القصيدة منشورة في مجلة الاقلام

العدد الاول/السنة التاسعة

بغداد عاصمة من غير مكتبة وطنية !

خطت بغداد في امور كثيرة خطوات حضارية ، ويكفي ان صار فيها مطابع وصار مؤلفون .. اما القراء فهم من مفاخرها ، ومفاخر العراق .. ومن الممكن جدا زيادة عددهم اضعافا ، وواجب جدا خدمة هذا العدد ، فخدمتهم خدمة البلد فكريا والنهوض به الى المستوى اللائق به .. الى جوار ما بلغته البشرية في مشارق الارض ومغاربها ..

وفي كل عاصمة من عواصم الدنيا المتحضرة وشبه المتحضرة مكتبة وطنية (عامة) ضخمة تضم الملايين من الكتب والالوف من الجرائد والمجلات والدوريات .. والمخطوطات . منسقة ، مجلدة ، ميسرة للطالب ... مضمونة الموارد الدائمة الثرة مالا وكتابا ..

ـ فهل في بغداد التي تطمح الى ان تكون متحضرة ، أو تطمح ، في أقل تقدير ، الى ان تصل الحاضر بالماضي وتزيد ، مكتبة ضخمة تضم الملايين ، مضمونة الموارد الدائمة ؟

ـ لا ..

ـ لماذا ؟

ـ هذا هو الذي يحار فيه العقل ، ومصدر الحيرة اننا منذ أكثر من نصف قرن نعمل على نشر الادب والعلم والثقافة ، وندعو وندعى .. ومع ذلك نقصر تقصيرا فادحا بأس من الاسس العلمية التي لا يناقش فيها عاقل مخلص.

منذ أكثر من نصف قرن شعر افراد من أدباء البلد ومثقفيه ـ وكانوا قلة ـ بضرورة قيام مكتبة عامة في بغداد ، واردفوا الشعور بالتنفيذ فاجتمعوا وتبرعوا واقتنوا ، فكانت نواة صالحة .. كان اللازم ان تنمو وتثمر وتزدهر

ولكن اللازم لم يحصل ، بل انك ترجع اليوم تبحث عن النواة فلا تجدها ـ والاسباب معروفة جدا ، وانها من الوضوح بحيث تزيد الحائر حـــيرة وتزعزع ايمان المهتدي ..

ولذا ، فاني اعيد السؤال عليك : لماذا ؟ فلقد عجزت عن الجواب ؟ وستعجز انت !

ـ اخشى أن تكون في البلد مكتبة وطنية وانت لا تدري ؟

ـ خشيتك هذه تزيد مدى القساوة . ويمكن ان تدفع الشك باليقين ، وتقصد الى مبنى يحمل اسم المكتبة الوطنية ، وتدخل وتشاهد الحال بعينك وتعالجه بفكرك .. ولا بأس في ان تذهب الى المدير وتسأله ، فقد يختصر الطريق عليك ويقول لك أن هذا « الحوش » الذي دخلت اليه ليس مكتبة ، وربما استغرب سؤالك كأنك لست من أهل هذه البلاد ولم تستدل من البناية وحدها على غياب المكتبة !.

ان الكتب القديمة ممزقة . المفقود اكثر من الموجود ، الباقي لا خير فيه ، لا ميزانية للمكتبة ، انها تعتمد الهدايا ، منذ كذا وكذا من السنين لم تشتر كتبا ولم تصرف لنا قائمة ... وحقائق اخرى يشتعل لها الرأس شيبا !

منذ أكثر من نصف قرن وبغداد من غير مكتبة وطنية وبلغت الحال من الاهمال اقصى ما تبلغ ، وليس معقولا ان يخفى الامر على احد ، اما يكفي ان اللوحة التي تحمل اسم المكتبة الوطنية مجازا تقوم على واجهة بيت شيد للسكن ، انتقلت اليه كما ينتقل الرجل الذي لا يملك دارا ... بعقد للايجار والاستئجار ، لقد شيدت باريس ــ مثلا ــ مكتبتها الوطنية ــ في القرن السابع عشر ، وهي الى الان قائمة .. استوعبت الملايين التي امتلكتها على مر السنين .. ــ فاين نحن من القرن السابع عشر ؟ ولم لا نبدأ منه لكي نصل بعد ثلاثة قرون الى مستوى القرن العشرين .

واذ يبلغ الامر هذه الدرجة .. لم يبق عذر لمعتذر ... ولا يمكن ان يتوانى عن علاجه طالب اصلاح ..

وهكذا .. كان قرار سليم بتشييد بناية جديدة خاصة بالمكتبة الوطنية، على أحدث طراز ، وبسعة تستوعب عـــددا كبيرا من الكتب والمجلات . تمدها ـ ولابد من ان يؤخذ التوسع خلال القرون المقبلة بنظر الاعتبار ـ ساحة حتياطية ، ويشدها اساس متين ـ أو هكذا يجب ان يكون ـ اعد ليطيق ادوارا ضافية كلما دعت الضرورة ..

تلك هي قائمة ازاء وزارة الدفـــاع بين شارعي الرشيد والجمهورية ، العمل في التشييد مستمر ، وقد اتخذ البناء هيكله واقترب من صورتـــه النهائية .

وهذا جميل وحسن وسار وباعث على التفاؤل ، ولكنه جزء من كل ، والا ففي بغداد بنايات كثيرة مشيدة ـ أو في طريق التشييد ـ يمكن ان تمر بها واقول لك : انظر هذا البناء الضخم ، انه يعد للمكتبة الوطنية ، وتداخلك البهجة مؤقتا وتمضي في طريقك .

ان قيام هيكل البناء يجب ان يقرن بعمل عاجل ، والا بقيت بغداد من دون مكتبة نصف قرن اخر ، أو اكثر ، بل ان البناء الضخم الخاوي الوفاض سيفضح الامر ، ويفتح اضبارته ويعرضه لمن لم يكن منتبها اليه .

وهذا العمل العاجل ـ وأرجو ان نكون قد استبقناه واعددنا له العدة ، فكان له مكان خاص من نظام المكتبات ، ومكان خاص من الميزانية العامـــة وعائدات النفط وخطة التنمية ..

العمل العاجل .. ان نهيء منذ الآن الروح الذي يمازج الجسد ، والمـــخ الذي يملأ الجمجمة والقلب الذي يحيي القفص الصدري .. حتى اذا انتهى البناء كان كل شيء على اتم استعداد وما على الشعب الا ان يرتاد المبنى الجديد في ظل اللوحة الجديدة وازاءه ملايين الكتب والاف الجرائد والمجلات ... والمخطوطات ومصورات المخططات والمطبوعات النادرة ... من كل نوع وفي كل لغة وفرع من فروع المعرفة الانسانية ... كما يجب ان يكون الشأن

في مكتبة وطنية في عاصمة ناهضة تطمح ان تعوض عن نوم عميق وخيانات تاريخية وتلكؤ غير مشروع وجهل مارسه عالمون ...

العمل العاجل : الجد والسهر والمثابرة على اقتنـــاء الكتب والاشتراك بالمجلات .. من البلاد العربية كلها ... اليس عيبا ان تخلو بغداد من صحيفة تصدر في السودان وكتاب يصدر في الرباط ومخطوطة عربية في تونس ؟! ، ومن العالم كله .. اليس غريبا ان تدخل جرائدنا ومجلاتنا وكتبنا المكتبات الوطنية في العالم .. ولا تدخل مكتبتنا جرائد العالم وكتبه وصور مخطوطاتنا لـــديه !

العمل العاجل ، ان يخصص مبلغ محترم وتؤمر لجنة بصرفه عاجلا على أقتناء الكتب والمجلات والمخطوطات ... ولها ان تحصل على ذلك بالاساليب الطبيعية العاجلة .. تطلب ، تسافر ، تعلن ... ويأتي على رأس الاعلان ، الاستعداد التام لشراء المكتبات الخاصة باي ثمن ، ففي هذه المكتبات الخاصة ما يستحيل ان تجده في مكان اخر ، من مخطوطة ثمينة ، ومطبوعة نادرة ومجلة صدرت يوما ما ولم يسلك اعدادها حتى صاحبها او وريثه الشرعي ... ان المكتبات الخاصة وحدها تعوض ـ في حدود واسعة ـ عما فات ، انها مكتبات علماء أو هواة عرفوا ما يقتنون ـ ولا قيمة للمال إزاء كنوز المعرفة ..

العمل العاجل ، ان تخصص منذ الان قاعة ـ بل قاعات ـ تكون كخلايا النحل تعد العسل في طلب الكتاب واستيراده وتجليده وتصنيفه : هذه الغرفة خاصة بالفلسفة وفروعها ، وهذا بالدواوين .. وتلك بالمجلات العلمية الخ الخ حتى اذا تم البناء ، انتقلت اليه الكتب من هنا وهناك في سرعة وانتظام .. ويؤذن في الناس ان ادخلوها بسلام آمنين ، فيها كتب قيمة ...

اما المكتبة الحالية فتترك حيث هي ، مكتبة حي الوزيرية شأن مكتبـــة الاعظمية والكاظمية ... وما يجب ان تكون عليه الحال في احيـــاء بغـداد الاخرى ... ومدن العراق واريافه بعد عناية خاصة وجد واخلاص وتقديـــر للموقف وايمان بالعلم ...

يدخل الباحث في الاجتماع فيجد ضالته ، والباحث في الفضاء فيجد نشدته ••• والساعي الى تحقيق كتاب قديم فيسد حاجته ••• كل شيء لكل شيء ••• ميسر ومسهل •

ان في البلد خمس جامعات ••• فلم لا تعد المكتبة الوطنية جامعة سادسة ؟ وقد يستطيع ان يستغني عن جامعة من هذه الجامعات الخمس ـ وهي في طريقها الى ان تكون ستا ـ ولكنه لا يستغني ـ لدى الدقة ـ عن المكتبة الوطنية الصحيحة •

ـ فهل فعلنا ذلك ؟

ـ لا أدري •••

ـ ان كنا فعلنا فخير على خير ولتعتبر هذه الدعوى «لاغية» ، والا فعلينا ان نشرع منذ الان ، وليس في الامر استحالة او صعوبة ، وما هو أكثر من تخصيص المال اللازم واناطة الامر بيد عارفي معنى الكتاب وفضله ••• واذا كان ولابد فسؤال لمكتبة الكونكرس وسؤال لمكتبة لنين ، أن كيف هيأتم ـ يا جماعة ـ هذه الملايين من الكتب مما مر ببال أو لا يمر ؟ فليس عارا ان نفيد من تجارب الآخرين !

اننا نطمح الى ان نبلغ اعلى المستويات ••• وإن وراءنا من التراث المكتبي ما لم يكن لامة من امم العالم ، منذ بابل واشور ••• وبغداد وقرطبة ••• الخ ، والا فاخشى ان تمر اكثر من خمسين سنة اخرى تكون فيها النهاية كالبداية ويظل المبنى الضخم من غير كتب ••• اخشى ، وارجو ان اكون مخطئا •

٢٦-١١-١٩٧٤

« المقالة » و « الرثاء »

نرجع الى أقدم المقالات في تاريخ النوع الادبي فنجد في جذرها «الذات» ـ ذات الكاتب ـ متوغلة في القلب والعصب ، ولتر النور بعد ذلك ، عن طريق الذهن او العين على الوجه الذي تختاره ... ثم لابد من شرط القصر واستكمال مدى الانفعال وعالم الخاطر في عدد محدود جدا من الصفحات . وتخف الحال ـ خلال ذلك ـ أو تعنف ، تمتد او تقصر تأخذ طابعا من القصص حينا ومن الرسم حينا ... وتقترب من القصيدة الوجدانية في أغلب الاحيان أو كلها . فاذا جفت خرجت عن حدود النوع واذا طالت خرجت كذلك . وليس صحيحا ولا معقولا ما أراد لها العقاد ان تكون كتابا ملخصا ، ان الكتاب الملخص او الملخص الذي يمكن ان يكون كتابا ليس من المقالة في شيء ، وان كان ، فهو من المقالة التعليمية وليس من المقالة الفنية التي صار النوع بها نوعا ...

لقد مرت منذ القرن السادس عشر ، منذ مونتيني في مد وجزر ، وكانت الصحافة عاملا رئيسا في اقامة مجدها وتأصيل كيانها ... ثم وردت الى الشرق العربي الحديث فيما ورد عن الغرب من أنواع ادبية ونظريات ونظرات . وازدهرت حينا ، وكانت مجلة « الرسالة » أنموذج المجلة التي اقترن اسمها بالمقالة واقترنت المقالة باسمها ... وصار للمقالة في الادب العربي الحديث مكان مرموق يؤهلها الى أن تدرس دراسة أدبية مستقصاة تثبت التطور والسمات ، وعوامل السعادة فيها او الشقاء ... مع وقفات خاصة جدا لدى أعلامها .

ويسير الزمن ، واذا الغالب على المقالة بل الطاغي مفهوم العقاد ، وتستحيل ضربا تعليميا فقط ، ليس له من الادب الا ما يجب ان يكون لكل شيء مكتوب ، فلسفيا كان أم علما صرفا : سلامة اللغة وتماسك الفكر ووضوح الفكرة

وايصال الرأي أو المعرفة الى عقول الآخرين كما يوصل الاستاذ مادته الى طلابه في قاعة الدرس .

قد يكون العامل المباشر في ذلك عامل العصر ، عامل السرعة والحاجة المباشرة وضيق الوقت الذي يحول دون قليل من التأنق وقليل من المـاء والرواء ، فالكاتب يريد ان يوصل مادة او فكرة ، والقارىء يريد ان يتلقى مادة أو فكرة ... انه العصر المأزوم الذي لا يقوم على أسس حضارية انسانية ، مغرقا الفرد من ابنائه بحاجاته الحيوانية ومشكلاته التافهة ...

وعوامل اخرى ...

وكتب العراق ، منذ العشرينات ولدى قيام صحافته ، مقالات كثيرة تظهرها نظرة سريعة الى جرائده ومجلاته : العراق ، الاستقلال ، صوت الاهالي ...

ولكن مقالاته لم ترق ـ في جملتها ـ الى المستوى الفني الذي بلغته المقالة المصرية او المقالة اللبنانية ـ المهجرية فهي اما ان تكون صخابة واما ان تكون عقلية ... لاسباب منها ما يعود الى المفهوم الفني للنوع ، ومنها ما يعود الى ان الذين زاولوا النوع لم يكونوا ادباء انشاء في صلب مواهبهم وأغراضهم ، أي لم يكونوا شعراء ... ولا غرو ان كان الجواهري بينهم كاتب مقالة الى جوار كونه الجواهري الشاعر ...

ولا نعدم ومضات ... وكادت ـ يوما ـ ان تستحيل السياسة مقالة فنية ، ولكنها لم تستكمل شروط النمو والديمومة ...

ودخلت في الستينات ـ على وجه الخصوص ـ عوالم شعر الستينات وقصصه ومفهوم أقلامه من النهويم والاغماض حتى كادت تصير فنية فقط وليست كينونتها كذلك مدحا لها او حياة ..

واليوم ...

وتعود اليوم تستعرض ما بقى في ذهنك من خير المقالات العراقية المعاصرة مناسبة من مناسبات الرثاء . مناسبة ما نشر يوسف الصائغ وهاشم الطعان

في شاذل طاقة ، من مقالات لها الشرائط اللازمة في قاعدة النوع الأدبي : الانفعال من دون عويل ، التصوير من دون جفاف ، التأنق اللفظي من دون مبالغة ... الحوار كأنه المناجاة ... ثم التماسك من غير تسلسل منطقي ، حذف الفضول ومسح الالتواء اللذين لا تقرهما هندسة الذوق .

تقول هذا لانك قرأت مقالات اخرى في الحادث نفسه فوجدتها صحافة أكثر منها شعورا ، وواجبا مهنيا اكثر منها انبثاقا عن الذات ونبعاً عن الالفة .

وفرق بين مقال صخاب tapageur ومقال أليف intime

ويبدو ان لا بد - هنا - من اللفظتين الاجنبيتين ، وأن الالفة وما يتبعها من همس وحنين ورقة عصرية شرط في المقالة الناجحة .

تعود ...

- فما الذي بقي في صندوقك يا ذاكرة ؟

- مقالات كتبت في حسين مردان ، منها مقالة ليوسف الصائغ ...

- يعنى في الرثاء وشرط الالفة ؟

- وماذا قبل ؟

- مقالات كتبت في مصطفى جواد ومنها مقالة ليوسف الصائغ ..

- يعنى في الرثاء وشرط الالفة ؟

- في الرثاء وشرط الالفة ... ولم لا تزيد شرط الشاعرية التي لم تسلك طريق القصيدة ؟

- أزيد ...

- وماذا ....؟

- مقالات كتبت في ذكرى بدر شاكر السياب ، منها ما كتبه رشدي العامل ومنها ما كتبه نزار عباس - وكلاهما شاعر يزاول الاول الشعر قصيدا ويزاوله الثاني قصة ...

ويغيب عبدالمجيد الونداوي وتكتب مقالات منها واحدة لرشدي ..

ولو لم يُدِر سعدي يوسف كلمته على أساس الخطبة والايصال الشفهي لجاءت مقالة أيضـا ...

هذا الذي في ذاكرة واحدة ، ويمكن أن يكون نفسه وزيادة في ذاكرات أخريات ، وهو يؤكد تفوق المقالة العراقية في ميدان الرثاء ، وانه اذ يدل على هذا ، يستجمع للتجويد عناصر المقالة الخاصة التي يمكن ان تكون عامة : الانفعال من دون عويل ... والشاعرية التي هذبتها حضارة الفكر والفن .

ويبدو ان المسألة ليست عراقية ، فانك اذ تسائل نفسك عن مقالتين بقيتا في ذاكرتك من المقالة العربية الحديثة لعلمين من اعلامها ، يأتيـك الجواب انهما : « الدفين الصغير » للمنفلوطي و « ولدي » للزيات ، ولو راجعت قصائد الرثاء العربي القديم برزت ازاءك قصيدة ابن الرومي في ولده وقصيدة الطغرائي في زوجته ... وعلى الاثنتين طابع من المقالة الفنية .

ـ لقد ضيقت مجال المقالة اذ حصرتها ـ او ربطتها ـ بالرثاء !

ـ لا ... وليس قاعدة ، ولا ما هو كائن دائما او ما يجب أن يكون ... ولكنه ظاهرة قائمة فيما نحن فيه ، وقد جهزنا بسمات للمقالة الناجحة ، يمكن نقلها من الحزن الى الفرح ، ومن الانقباض الى الانبساط ، ومن المجتمع الى الطبيعة ، الاصل واحد ، وتبقى المسألة مسألة تهيؤ ومسألة فرحة غامرة تعدل ـ كما وكيفا ـ الترحة الطاغية ... ولا يستحيل أن تتهيأ هذه الحال ، فهي رهن بمجتمع يوحي بالنشوة .. واننا لشدة مالقينا من بؤس وحرمان وجدب تطير بنا أقل بسمة كالبيداء تهش لقطرات من المطر ... ولا أدل على ذلك من مقالتين أدبيتين نشرتا حديثا جدا واحدة لفائز الزبيدي ـ وهـو شاعر أيضا ـ وقد حضر احتفالات بالعيد المئة والخمسين لشاعر انسان فاستطال عمره معجبا متعجبا ، وثانية لرشدي ـ رشدي أيضا ـ وقد امتلأ ثراء وغبطة لدى قراءة كتاب فاته أن يقرأه في حينه .

لم تعد المسألة ـ اذا ـ مسألة رثاء ... بقدر ما هي مسألة شاعرية تتخذ مقالة نافذة ...

٢٨-١٠-١٩٧٤

البصير مؤلفاً

ما بين ٢٤ حزيران ١٨٩٥ وفجر ١٩ تشرين الاول ١٩٧٤ حياة حافلة بمعاني العمل والقول ، والدراسة والتدريس ، والخلق المتين والوطنية التي لم يكدرها وضر من اوضار الدنيا ••• والتأليف والنشر ••• والفكر المخلص ••

وقد زاول التأليف وهو شيخ ، فاصدر مجموعة من شعره (ونثره) سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) باسم (المختصر) ومجموعة سنة ١٩٢٢ باسم (الشذرات)•

واذ خاض ثورة العشرين وعرف اسرارها وخبر احوالها حفظ ذلك للاجيال منارا وعلى الزمان دليلا فالف المصدر الاولي الاصيل لها : « تاريخ القضية العراقية » - صدر في جزءين بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ - فلقى من النجاح ما هو أهل له - كان يظهر على هيأة ملازم يعاد طبع الملزمة الواحدة من الملازم الاولى مرارا •

ثم اصدر سنة ١٩٢٥ مسرحية قصيرة بعنوان « دولة الدخلاء » ومجموعة من الكلمات والمقالات سماها « النفثات » في جزءين •

ولم ينقطع عن الكتابة •• واختير للتدريس في جامعة ال البيت يلقي محاضرات في الادب العربي ، وتكون لديه - بهذه المناسبة ولمناسبة ما كان يصدر من كتب في الموضوع يختلف معها في الرأي مثل كتاب الدكتور طه حسين عن « الشعر الجاهلي » ••• - كتاب خاص عن الشعر الجاهلي •• فكر ان يكون موضوع رسالة للدكتوراه اذ اختمرت في ذهنه فكرة الدراسة العاليــة ••

وينشر خلال ذلك في الجرائد والمجلات •• ويسهم في التاليف المدرسي •• ثم قاربت فكرة الدراسة العالية تتحقق ، واقام في مصر - قليلا - في موضع اكرام وتكريم •• يتصل ويناقش •• ويتلقى مباديء اللغة الفرنسية ••

رحل بعد ذلك الى فرنسا يحمل معه مادة وفكرا عن الشعر الجاهلي ولكن المستشرقين كانوا ـ آنذاك ـ على قمة ضلالهم في انكار الشعر الجاهلي، وكانت قيادتهم في القمة من معاداة الوطنيين الذين اشتغلوا بالسياسة لخدمة وطنهم حربا على الاستعمار .. فطوى الفكرة وراح يبحث عن موضوع « فرنسي » وجده فيما لا يخطر على بال . بما في ذلك بال القارىء الفرنسي او الباحث الفرنسي .. لان كورني شاعر مسرحي كبير ، اما ان يتقدم طالب ليدرس « غنائية كورني » فتلك التفاتة يتحمل مسؤوليتها . وقد تحملها ونجح وطبع الكتاب في مونبليه سنة ١٩٣٧ باللغة الفرنسية وظل كذلك ، ويبدو انه سيبقى ، فلم يكن في رأي مؤلفه ان يترجم الى العربية لان القاعدة التي قام عليها هي اشعار كورني ، وهي لا تعرف تمام المعرفة الا بلغتها الفرنسية .

وعاد ... وعين استاذا للادب العربي بدار المعلمين العالية وانصرف الى المراجعة والدرس .. والمحاضرة في الاذاعة بين الحين والحين ، والكتابة في هذه الجريدة او تلك المجلة .. وترجم للامرتين قصيدتين وشرع يترجم « جريمة سلفستر بونار » و « أميل » ولكنه توقف . ولاسيما عندما رأي ان وزارة المعارف غير جادة في تبني المشروع .

ان ما يشغله هو واجبه الاول في تهيئة المادة لطلابه . ولكنه ـ وقد عرف معنى التأليف العلمي والبحث الاكاديمي ، ولما عرف عنه من قوة الارادة والشبع من الشهرة ـ قرر التأني ، في التأليف ، والتريث . وليقل ازاء ذلك الذين يختلقون الزلات ما يقولون ، ان المهم ان تؤلف كتابا ترتضيه فيه شخصيتك وفيه فكرك وتقدم للقارىء جديدا اصيلا وليس المهم ان تلقي في السوق كتابا اي كتـــاب .

كان يعد المحاضرة ويلقيها ويعيد التأمل في مادتها وفكرتها ويعيد القاءها سنة بعد سنة .. واذ شرع بالطبع . شرع يطبع ـ أولا ـ محاضراته في الاذاعة عن « الشعر الجاهلي » فصدرت سنة ١٩٣٩ ومحاضراته عن « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » فصدرت سنة ١٩٤٦ .

وبدأ ـ بعد ذلك ـ طبع دروسه بدار المعلمين العالية ـ فصدر « عصر القرآن » سنة ١٩٤٧ و « الموشح في الاندلس وفي المشرق » سنة ١٩٤٨ و « في الادب العباسي » سنة ١٩٤٩ •

وتتميز هذه الكتب بالاصالة في الرأي والامانة في النقل والاقتصاد في الكلام • ولو هيىء لها ان تخرج عن دار المعلمين لكان لها شأن آخر ـ وقد لمسنا اطرافا من هذا الشأن عندما وصلت الى باحث منصف او مستشرق نزيه •

وصحيح ان « عصر القرآن » و « في الادب العباسي » اعيد طبعهما سنة ١٩٥٥ ولكن هذا لم يوسع الدائرة ، فقد بقيت حيث هي من حدود دار المعلمين العالية ••• ولن تبقى كذلك فلابد من ان تأخذ الحقيقة مجراها وتبلغ مداها •

وكان يتمم عمله في دار المعلمين العالية بنشر مقالات بحث ذات صلة مباشرة فهي مرة عن ابن هانيء ومرة عن ابن زيدون ••• واخرى في الرد على أحمد أمين •• واخرى عن عبدالمحسن الكاظمي •• وينشر الى جوارها مقالات توجيهية يضمنها شطرا من خبراته التي كونت اراءه • واجتمع لديه ـ من ذلك ـ قدر صالح اعده للنشر واختار له ـ ولما سبق ان كتبه قبل هذا التاريخ أو خطب به ـ اسم « سوانح » •

وكان اهتمامه يتعدى دار المعلمين العالية الى الوطن والامة والعالم •• متأملا فيما يلاقي او يسمع ، وتكون لديه الاذاعة فقرة مهمة جدا من منهج حياته اليومي ، وتكون مادتها مادة مهمة لاثارة الفكر والمناقشة •• والحكم •

ويستخلص من كل حادثة هزازة وخبر مثير حكما يركزها في كلمات معدودات •• وكان يفعل هذا منذ أيامه الاولى وقبل ان تكون فرنسا في حياته وتكون دار المعلمين العالية •• وقد بوب الذي صح لديه واعده للنشر باسم « خطرات » •

أما شعره ، فقد اجتمع منه لديه ما يؤلف ديوانين ، اعدهما للنشر لدى أول مناسبة ، وكتب لاحدهما مقدمة عن حياته بعنوان (الرجل المجهول) وكأنه استشعر حيفا واحس ان الذين يعرفون حاضره لا يعرفون ماضيه .

سمى هذا الديوان « زبد الامواج » وهو يضم شعره في شتى المناسبات الخاصة والعامة . اما ما قاله في ثورة العشرين فيؤلف وحده ديوانا هو ضرب من التاريخ لها وقد اعده للنشر باسم ذي دلالة : البركان .

وبقي بانتظار فرص الطبع ... ونشر في أول فرصة (أي في سنة ١٩٥٢) الجزء الاول من « خطرات » وفي الثانية (أي في سنة ١٩٥٩) البركان ، وفي الثالثة (سنة ١٩٦٧) الجزء الاول من « سوانح » .

وظل ، وهو يفكر في طبع المعد للطبع ، يأمل اعادة طبع ما نفدت نسخته من مؤلفاته ، وقد تهيأ له ان يعيد « في الادب العباسي » في طبعة ثالثة سنة١٩٧٠ ولم يتهيأ ان يعيد طبع « عصر القرآن » أو « تاريخ القضية العراقية » .. وهو يلمس الحاجة الى ذلك .. لقد باتت « القضية العراقية » مصدرا نادرا جدا ومن الناس من اغار عليها ومنهم من يهم بطبعها . ثم إن في كثير من هذا الذي يصدر على انه تاريخ للثورة العراقية خطأ كثيرا ومجانبة للواقع كبيرة ... وربما دخلها ما لم يكن في يوم ما فيها ..

وكان مطمئنا ان « البركان » خرج خالياً من الخطأ ، فقد كان يقف على التصحيح الاول .. الا انه هاله ذات يوم وهو يراجع احدى قصائده ما لحقه من خطأ مرة في الوزن ومرة في تغيير كلمات ومرة في تبديل معنى ... هالـــه وارقه ولعله اصلح ذلك في نسخته الخاصة .. لقد جعلته الحال يتمنى اعادة الطبع سليما .. حفظا لحقوقه الادبية - في الاقل .

اما الخطرات فقد ازداد عددها فصرف التفكير عن طبع جزء ثان لما صدر منها وقر القرار على توحيد ما نشر وما لم ينشر وما استجد في كتاب جديد ، واعد الكتاب هذا في اخر صوره ، وكان اقصى اماني المؤلف ان يقدمه سريعا

للطبع ولكن غلاء الاجور وغلاء الورق حالا دون ذلك لقد كان في اخر ايامه يولي « خطرات » اهتماما خاصا وكأنها اعز ما لديه .

ورجاه كثيرون ان يكتب مذكراته ، فحياته حافلة ، وعلمه غزير وقلمه أمين .. ولكنه لا يستجيب .. واذ كثر الطلب رأى حلا وسطا ، فيه ما يرضي الطالبين ويجنبه ما يريد ان يتجنبه ... وشرع يكتب فعــلا في موضوع « من أنا » واكبر الظن انه فارق الدنيا وهو في اول المشروع ... وقد رأينا اطرافها من اهمية الرجل في تاريخ العراق في المقابلة التلفزيونية المعروفة .. ويمكن ان نرى اطرافا اخرى في الحديث المسهب الذي ادلى به الى الاذاعة .

اما الذي اخذه معه من علم وتجربة ومحفوظ فلا يمكن ان يعوض ، لانه مضى مع حافظته الخارقة ، وذاكرته العجيبة ... وفكره المخلص .

٢٨-١٠-١٩٧٤

طبعت وزارة الاعلام ـ بعد وفاته
الجزء الثـــاني من « ســوانح »
وجمعت بين البركان وزبد الأمواج
في ديوان واحد .

حماسة الشبيبي .. رسالة وتطبيق

(١)

في مطلع العصر الحديث ، ولاطلاع لبنان ومصر على الفكر الغربي أدبا وفلسفة وثورة ، ولما كانت عليه الاوطان العربية من هوان والامة العربية من تمزق ، ولما كان عليه الاجنبي من جشع واستبداد وبهتان ... لذلك كله ولامثاله ، تنبهت الشبيبة العربية وتيقظت ، ونظرت مليا فرأت ان عليها واجبا محتما ان تخدم الوطن والامة ، وان تنقذ المجتمع العربي من الاستغلال والتأخر ، وان تهيىء لهذه الامة المكانة اللائقة بها ـ ونما الشعور وتألفت الجمعيات وصدرت الصحف . وكان عمل دائب فيه شرف وصدق واستعداد للتضحية ، وشملت هذه الروح ميادين شتى كان الشعر في طليعتها .

وكان ـ فيما كان ـ لهذه الامة الراكدة التي شرعت تنفض غبار الزمن شعر ، وشعر كثير ، هو من أبرز سمات حضارتها ان لم يكن ابرزها ، وتنظر في هذا الشعر وما آل اليه ، فتعجب ، انه استحال صناعة لفظية وتكسبا رخيصا في كلام موزون مقفى ، والشاعر يعترف بهوان مقامه قبل ان يهينه الآخرون .

هذا هو الغالب ، وان وجدت هنا وهناك ، وهنا في العراق على وجه الخصوص من القصائد ما ارتفع عن مستوى اللعب اللفظي وما لم يهدف الى أخذ المال من أي يعطيه .

ولكن هذا شيء ، وما يجب أن يكون عليه الشعر الحديث شيء ، وقد صار من مهمات الفكر الادبي او النقد الادبي محاربة الصناعة اللفظية والدعوة الى فصاحة الموروث ومتانته ، وكان للعراق في هذا أكثر من حظ ، وهو اذ تلقى الدعوة من خارجه ، فان في داخله مادة لم تتهيأ للاخرين ، وحسبه هذه الكوكبة من شعراء القرن التاسع عشر وفيهم الحبوبي والسيد حيدر

ممن لم يكن للاقطار العربية مثيلهم شاعرية وديباجة واكتنازا للارث ، وهؤلاء الشعراء موصولو الحبل بمهيار والشريف الرضي ••• والمتنبي وكبار شعراء العصر العباسي .

وألف هؤلاء الشباب أن يربطوا شعرهم بوال او خليفة او خديوي ••• وهي الفة فيها قسط موروث ، فلم يعرف شعر القرن التاسع عشر هذا الارتباط المباشر بالحكم •

وهذا حسن • ولكن المطلوب من الشعر الحديث أكثر منه ، أن يسهم مباشرة في فضح الطغيان وفي ايقاظ النيام وفي رسم الهدف الى الحياة الكريمة •

وتلقف الشباب هذا الهدف ، ولم يناقشوا فيه ، بل انهم وجدوا به معنى للشعر ينقذه من نظرة استحكمت في استصغاره واستصغار شأنه وشأن حملته ••• وليسخط ، بعد ذلك ، من يسخط ممن الفوا الاشياء ميتة وانتفعوا بذلك الموت من ادباء ورجال سياسة وأصحاب اموال •

ويكفي أن تقرأ في أي ديوان حديث وفي أي مجموعة ومختارات لترى الجانب الوطني القومي غالبا فيه يتسم بالحدة والقوة والصدق ، وكان لابد لشاعر من ان يخوض فيه ، أو في شأن من شؤونه والا استشعر الخيانة في نفسه •

تلك كانت مهمة الشباب اليقظ المتنور المتجدد ، وهي مهمة شريفة ولابد منها قبل الانتقال الى مهمات أخرى ، والمهمة ــ في الشكل الذي كانت عليه ــ جديدة على مجموع الشعر العربي الذي أخذ منه المديح والرثاء والهجاء في طول تاريخه مأخذا لم يسمح الا بنفثات تخرج صادقة عن دائرة التكسب ثم انه لم يسمح لغالب هذه النفثات بالبقاء •

المديح ، صار تمجيدا للمجيد من تاريخ الامة العربية ، وتمجيدا للوحدة والاستقلال والعلم ؛ الرثاء ، صار ذكرى حزينة لماض مجيد ، وألما لحاضر غير مجيد ؛ الهجاء صار ذما للسلطان ولمن كان على شاكلته من غير العثمانيين ؛ وقد يختلط الهجاء بما آل اليه الرثاء فيسجل تقريعا للغافلين ، ويسجل التقريع استنهاضا تملأ الحسرة منه الكلمات الحادة والتعبيرات النفاذة •

وتقول من أين لك هذا ؟

ـ وأستطيع أن أدلك على أكثر من مصدر واكثر من ديوان • ولكني أدلك على أقرب مصدر ثقة اخذت عنه واخر مصدر بين يدي ، الا وهو ديوان الشبيبي •

تفتح هذا الديوان ، فتقع على المقدمة التي كتبها له صاحبه ، فتقرأ فيما تقرأ :

« تألفت هذه المجموعة الشعرية خلال مدة لا تقل عن الثلاثين سنة كان الشطر الاول منها حافلا بالحوادث الجسيمة . اتجه الناس فيه اتجاها جديدا لم يسبق له مثيل ، ومالوا الى الاهتمام بمظاهر التقدم والرقي على اختلافها ، وذلك بمجرد اعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ ـ ١٩٠٨م ، وقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة الى مجاراة الامم الناهضة ، الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال ، وحاول الادب أن يمثل الحياة ، وذلك في مختلف صورها الضاحكة والباكية ، وشتى مظاهرها المشرقة او الداجية ••• »

ان كتابة هذه السطور وصفا لتاريخ صار ماضيا قد خفف من الحقيقة، لان الحال كانت أقوى واشد مما وردت في هذه السطور ، وانك لواجد دلائل القوة والشدة في شعر الشاعر نفسه ، والشعر الذي قيل في المناسبة أوعى لابعاد الظرف من الذاكرة •

الشاعر الحديث اذن ، لم يعد الشاعر القديم ، تابعا وهامشيا مرتزقا لا يحس الاحداث الا خلال الدينار والشخصية التي تهيىء له الدينار ، انه عضو فعال في مجتمعه ، انه يبني كما يبني الاخرون ، بل انه من هؤلاء الاخرين وفي مقدمتهم ، انه هو الذي يرسم الهدف ، والهدف ينبثق من نفسه من أجل الاخرين ، من أجل الوطن والامة ، في هذين الشطرين ،

وفي شطر أوسع هو الوقوف الى جانب المظلوم انى كان . وفي وجه الظالم من يكون ...

هذا جديد ، واذا وجد منه شيء في القديم فهو قليل ولدى أفراد محدودين لم يكونوا عادة الشعراء الكبار في زمانهم :

للشاعر رسالة ..

وهذا جديد جدا ، اللفظة جديدة على تأريخنا الادبي ، واذ تقول : رسالة ، تعني اللفظة لديك ، الشرف والتضحية وخدمة المجموع المضطهد ومقارعة المستبد الظالم ، تقولها باعتزاز واطمئنان ووضوح وايمان فانت تعرف جيدا الامور .

وتسأل نفسك عما تكون عليه هذه الرسالة من أبعاد ؟ وتذكر الوطنية والقومية ، وتذكر عسف العثمانيين والانكليز ، وتذكر تأخر قومك وتقدم غيرهم ، وتستحضر ما صار ماضيا وترى ما سيقع مستقبلا .

والامر صحيح ، وهو الذي وقع ، لم يكن غيره في مطلع العصر الحديث ، ولا شك في أنك لم تفترضه افتراضا وانما تشربته في قراءة الشعر الحديث أو نظرة الى أقرب مصدر ثقة بين يديك الان ، الا وهو ديوان الشبيبي .

وتسأل عن مدى اسهام الشاعر في تحقيق الهدف ؟

وترجع بالطبع الى طبيعة عمله ، فانك توزع المهمات متصلة بطبيعة اصحابها ومن مجموع المهمات والطبائع يتألف الكل المنتظر ، فالحرب لرجل الحرب ، والادارة لرجل الادارة ، والسياسة لرجل السياسة والشاعر امرؤ يقوم وجوده على الكلمة ، وهو وجود ليس بالنادر وليس بالقليل ، وللكلمة فعلها وسحرها في كل ركن من أركان الهدف العام ، وأصحاب المهمات يتفقون غاية ويلتقون في الخطوط العامة .

وهذا ما احس به شعراؤنا في العصر الحديث وهم ينعتقون من الشاعر القديم ويرون لانفسهم كيانا جديدا وأن لكيانهم رسالة .

قال الشبيبي : « كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم اهدافنا ، وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها • ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات ، وتفلح في كنفه المساعي ، ويتيسر النهوض بالبلاد ، كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود وفقدان الشعور بالواجب ، خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم او مبالاتهم بالاخطار ، فضطرم النفوس ، وتثور الارواح المتمردة ، وتتضاعف الهواجس والآلام ، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القليب الملآن •

ولا ريب ان رسالة الشاعر فيما نحن فيه لا تعدو صفة الدواء بعد تشخيص الداء ، ولا تعدل عن استخراج العظة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ ولا تتعدى الاشادة بقيم الفضائل ومكارم الاخلاق ، فاذا كانت نشاعر جولة في وجه من وجوه الاصلاح ، أو ناحية من نواحي الخير ، واذا ومضت في فنه شعلة تنير السبل الحالكة ، أو علت صرخة تثير العزائم الخامدة، أو سرت نفحة تحيي الرمم البالية ، فقد أدى الرسالة ، وهي هدفه الاقصى وفيها عوض عن كل فائت لمن عشق فنه ، أو أخلص لمثله الاعلى •• »

أشهد أن هذا كلام جديد ، وجديد جدا على الادب العربي ، وهو خلاصة ما آل اليه الشعر الحديث في أحدث ما له وفيما يهدف اليه ، ويصعب على غير الشبيبي ان يوجزه هذا الايجاز البليغ ويقدمه هذا التقديم الذي يمنح كل لفظة قوة خاصة هي قوة الصدق والمعاناة والتجربة ، هذه التجربة التي تجعل السطور وثيقة اصيلة وشاهدا لا يبارى •

ولو لم يقل الشبيبي هذا في مقدمة الديوان لقاله الديوان نفسه ، أدركته وأنت تقرأ الديوان فترى الشبيبي فيه يشخص الداء ويصف الدواء ويعرض وجوه الاصلاح ويستثير الهمم ويقارع الخصوم ويفضح الخراب ويعري الاعداء ••• كل ذلك في صدق وحماسة ••• وتأنق في الديباجة وفن • أجل ، وقد دل الشبيبي على ايمان نادر في قضية ، وتفنن في شعره

وقلما أحس الاخرون بضرورة الفن لاستكمال عناصر الرسالة كما يوحي اليك به شعره ، وكما تطالعك به ديباجته التي مزج فيها الانفعال بحظ من العقل ، والعفوية بنسبة من الارادة •

ولنقرأ الديوان فهو خير دليل على العصر والشاعر ، وسنرى ان الشاعر ذهب في رسالته الى أبعد مما ذكر فقد كان الاصلاح ثورة ، واستولت الرسالة على دقائق حياته وامتزج عمومها بخصوصه فظهرت مرة شكاة وأسى ، ومرة فرحاً وأملا •• ومرات عملا •

أجل ، فما كانت رسالة الشبيبي الشاعر قولا فقط ، ولك ان تنظر اشتراكه الفعلي في الحركات والمؤتمرات ولو علمت خبر سفره من العراق الى الحجاز الى الشام وما لقي خلال ذلك وعانى لعرفت ان لرسالة الشاعر أمداء أبعد من الحدود التي رسمها وحدثنا عنها بعد حين من زمانها •

ان الرسالة اذ وردت من خارج العراق اليه لفظا او معنى ، فانه منحها من القوة ما لم يمنحها قطر آخر ، وان العراق اذ تلقاها وسع دلالتها النقدية في مجال خاص من مجالي النشاط الانساني هو الشعر الى موقف خلقي وجعلها جزءا من خلق المرء قال الشعر أم انقطع عنه ، فكانت انعكاسا متبادلا متمازجا بين القول والعمل ، وكانت مطالبة نقدية لمزج القول بالعمل •

وهذا ما يقوله الشعر العراقي الحديث ، ويقوله أقرب مصدر ثقة الينا في هذه الساعة ، الا وهو الشبيبي وديوان الشبيبي ـ فلنقرأ ديوان الشبيبي •

ـ ٢ ـ

ألا إن الشبيبي رائد كريم في الوطنية والقومية • وقد كلفته ريادته اثمانا باهظة استعذبها وهو ينظر الى الامل في أن تتخلص هذه البلاد وهذه الامة من الاجنبي والجهل والظلم والخراب والفقر وتكون كيانا يعيد جميل الماضي ويزيد عليه جميل الحاضر : واستعذبها وهو يمتلىء بالألم لما عليه

هذه البلاد وهذه الامة من تمزق وتفرق وخمول ، ولما يظهر بين عدد من ابنائها من نفاق أو خيانة ، ولما يفتعله الادعياء من مواد السوء جشعا وانانية وخدمة للعدو ، واستهانة بالصميم من كيان الوطن والامة .

وقد اقتصر غالب الجهد على الوطن والامة استجابة للحاجة الملحة والظرف المحيط والزمن المبكر ، والا فانك ـ أيها السائل أو المتسائل ـ لتلمح بين الحين والحين التفاتة بعيدة الى ما يجب ان تسهم به هذه الامة في بناء الحضارة والى ان نكون كالغرب واحسن من الغرب اذ يعتدي . واذا امتلك الوطن زمام نفسه وملكت الامة سيادتها مضت في بناء الكيان الانساني القائم على الاخاء والتعاون .

وكان مع الشبيبي صحب كرام قدموا من الخدمات ما كان صادقا نبيلا ، وما بقي أساسا تقوم عليه الدعوات المناظرة وظل شعاعا يضيء للاجيال التالية .

ان كثيرا من الجيد في حاضرنا يتصل ثمره ببذور الرواد ، ومن جيدهم ما طواه النسيان أو التناسي ... فمن الوفاء أن نعترف للآباء بالفضل وان نذكرهم اذ تكون مناسبة .

كان من هذا الشباب المستنير الذي يريد الخير لبلاده وامته ، ويرى في السعي اليه واجبا من أهم الواجبات ، وكثيرا ما كانت المسألة الوطنية والقومية واحدة ، وكان عدو العراق وعدو العرب واحدا ... في الداخل أو في الخارج ، في الجهل والطمع والخلاف ، وفي آل عثمان ودول الغرب .

كان يافعا حين ثار أحرار الاتراك وفرضوا الدستور ، ففرح فرحا شديدا مع قومه العرب، لما وضعوا على ذلك من آمال، وحزن معهم اشد الحزن عندما خيب الدستور الآمال .

وها هو ذا يتأمل الوطن ، وينظر ويسمع ، فلا يقع الا على ما يستثير الكوامن ويحز في النفوس : الذل ، الظلم ، الخراب ، البغي ، الجهل ، التباغض ، الحزازات ...

الى مَ أجوبُ القطر سال جهالة وسال تقاليدا وفاض خرابا

عاش الاكثرون من ابنائه في بؤس ، ولم يحصل الفلاح من ماء دجلة ما يروي الغليل ، وراح الاقلون في غنى يملؤهم غرورا وخيــلاء وباطلا ، فينظرون الى الفقير محتقرين مستهينين منكرين • ويرى الشاعر الحر ذلك فيستشيط غضبا وغيظاً وانتصارا للحق ، ويهدد بما سيقع ، متوليّا الاجابة عمن لا يستطيع الاجابة :

••• يقولون : من هو هذا الفقير فهل قال قـائلهم : من أنـا ؟
ويستعذبون عـــذاب المقـل جزاء على غـير ما قـد جنى

* * *

ولا بــد للحــق من ثــورة رويدا فامّــا لكم أو لنـــا
ولا تأمنوا أن يروغ الزمــان ويظهر ما لم يكـن مبطنـــا
فكم كان ما لــم يخل كائنـــا وأمكـــن ما لا يرى ممكنا

حدث ذلك قبيل الحرب العالمية الاولى ، وكانت الحال تتجسم لدى الشاعر كلما تقدم الزمن • واذ بدأت طلائع هذه الحرب ، كان يتجول في البلاد فيزداد علمه بالخراب وبأسباب الخراب ، ويزداد بحثــه عن سبيل الخلاص :

ألا مدرك هذي البــلاد وأهلهـا فقد لقيت من جور ساستها جهدا
تفـرغ أيدينـا لتمـلأ جيبهـا وتنهكنا جورا لنشبعهـا حمـدا
شرائـع سنتها الجماعـــة غـيرة على الفرد ، أشقين الجماعة والفردا

ويتضح السبب العثماني في تأخر البلد يوما بعد يوم ، ويتضح أكثر من ذلك ان بني عثمان لا يذكرون للبلد فضلا ولا يرعون حرمة ، بل انهـم لينكرون ويعذبون ويقتلون :

••• عند المغانم لا ندعى ويفدحنا من المغـارم ثقل ليس يحتمـل
أين الرهين بأمـوال لنـا ذهبت ومن يقيد باخـوان لنا قتلـوا!

اما شهيد معلّى فوق مشنقة أو موثق بحبال الأسر معتقل

وكان هذا مسوغا للثورة على العثمانيين والاطاحة بهم •

وما يلقاه العراق من الادعياء لا يقل خطرا عما يلقاه من الاجانب :

تعسف قوم بالعراق وساوموا على وطن ـ ماسيم ـ يوما بأثمان
هم احتقبوا الاوزار يقترفونها وقالوا : جنى عمدا وما هو بالجاني
هم استعجلوا اللذات ينتهبونها وهم بدلوا بالجوهر العرض الفاني
وقد تنكر الحر العراقي أرضه فينأى ، ليدنو منه من ليس بالداني

وها هو ذا الغرب يزحف نحو الشرق ، ويزحف ممثلا بالانكليز نحو العراق ، وعلى الوطني الحر ان يواصل الجهاد ويسعى الى الاستقلال •

وتتسق مشاعر الشبيبي الوطنية في هذا اتساقا كبيرا مع مشاعره القومية حتى لكأنهما أمر واحد ، وانهما لكذلك ، وقد قرن همه العراقي بهمه العربي وسعيه الوطني بسعيه القومي يتألم ويستنهض ، يتابع ما يجري شاذا يده على يد اخوانه أنى كانوا في ليبيا او في الشام ، في مواجهة العثمانيين والايطاليين والفرنسيين : يتألم للجهل والخراب والخضوع ، ويبارك المتيقظين ، ويفضح حابيل الاعداء ••• ويرثي الشهداء :

يا أمتي لا تحزني أو فاحزني حزن النفوس الشم زاد مضاءها
ان الضمائر والقلوب اذا دجت دخل الاسى أعماقها فأضاءها

وابتليت الشام بالفرنسيين ••• ومثلها الاقطار الاخرى •

واذن • فالغرب سر في مصاب الشرق ، وان حضارة هذا الغرب ليست في حقيقتها حضارة •

أدرك الشاعر ذلك مبكرا وفي أكثر من مناسبة ، ألم يقل عندما هجمت يطاليا على برقة العربية :

انا دعونا العصر عصر تقهقر فليدع عصر تقدم وتجدد
ماذا يرجى من وراء حضارة عمي البصير بها وضل المهتدي

أقل ما ينتظر هذه الحضارة الاعتداء على الآمنين ، وأقل من ذلك أن يعتدي المستغل منهم على المستغل منهم :

يعيش سعيد مفرد بين معشر شقي ، وحي واحد بين أموات

* * *

يظنون هذا العصر عصر هداية وأجدر لو ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت حقائق ، الا أنها كالخرافات

* * *

وأكذب عصر ما تشدق أهله – على ظلمهم – بالعدل أو بالمساواة
ذئاب وشاء ، لا الذئاب رواجع عن الغي ، أو تعدوا على زمر الشاة

ولا تدوم للغرب سطوته ، ولا يظل الشرق مكتوف الايدي :

يا ساسة المغرب المستشرق اقتسموا فالشرق نهب ، وما في الشرق أنفال
وان وجدتم سكونا في مناكبه ترقبوا ان عقبى الامر زلزال

أجل ، فلو كان الغرب متحضرا حقا ، وطابقت أفعاله أقواله لكان للشرق نصيرا ، ولاستغل أفكاره واختراعاته في رقي البشر .

ومع هذا ، ولهذا ، فلا ولن يبقى الشرق حيث هو ، ولن يبقى العرب حيث هم من الاستكانة والتأخر ، فلابد من زلزال يبدل الاحوال ...

ويقع الزلزال ، وتثور الاوطان ، وتحصل على ما تحصل من الاستقلال .

ولكن ألم المشاعر يبقى عميقا ، عميقا – هذه المرة – متصلا بألمه القديم بأبناء قومه الذين وقفوا ضد الاصلاح وبالادعياء في بلاده ممن لا يهمهم من البلد شيء ، قائما – هذه المرة – على ما يفعله الوطن الواحد بنفسه من كذب وبهتان وطمع وخيانة .. وهو ألم شديد ، شديد لا يملك معه شاعر وطني الا أن ينظم النونية :

فتنــــة الناس ـ وقينا الفتنـــا ـ   باطل الحمد ومكـــذوب الثنـــا

★ ★ ★

الى أن يقول :

خسرت صفقتكم من معشـــر   شروا العـــار وباعوا الوطنا •••

ويبقى الشبيبي ـ مع هذا ـ ذلك الشبيبي الذي تؤلف لديه القضيــة الوطنية والقضية القومية أمرا واحدا ، والاقطار المتفرقة وحدة :

انني ذاك العـــــراقي الـــذي   ذكر (الشام) وناجى (اليمنا)

انني اعتــد (نجـــدا) روضتي   وأرى جنة عدني (عدنـا) •••

كتب المقال لمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وقد ألقي القسم الثاني من دار الاذاعة ، ونشـرر الأول في جريـدة الجمهورية (١-١٢-١٩٧٥)،وجمع القسمان وأعيد نشرهما في الملف الخاص بالذكرى من مجلة « الرابطـة » ـ السنة الثانيـة ، العدد السادس ، كانون الثاني ١٩٧٦ •

تدليس في نشر الكتب

لا بد للظاهرة من ان تؤرخ ، وقد يزع التاريخ وقد يجدي ، ولكنه يسجل عيوب الحاضر للمستقبل على أمل ان يكون المستقبل خيرا من الحاضر فيضحك احفادنا بذكائنا ويسخرون من أماتتنا !

وكان مما شاع في عصرنا الحاضر سرقات في وضح النهار دون ان يكون قانون للعقاب ، واذا كان قانون فلم يكن عقاب .

وقد رأينا امس القريب تشويها لكتب التراث لم تعبث امة بامجادها مثله .. وصدرت ـ مثلا ، مثلا ـ طبعة لديوان الفرزدق من اسوأ ما طبع عليه ديوان ، وكتب على غلافها : تحقيق المستشرق سايمز . وتسأل من سايمز هذا بين المستشرقين ؟ والسؤال غير وارد لانه لا يوجد مستشرق واحد على وجه الارض له ما لسايمز من الغباء والجهل المطلق بابسط اصول التحقيق .. لا .. لا تسل ، لانه اسم من غير مسمى ابتكره الناشر ابتكارا لسبب تجاري صرف ، والذي يحدثك خبير .

وتتولى بيروت ـ دون حرص على سمعة بيروت ـ مهمة التزوير ، واذا بك ترى « الايام » من حياة طه حسين تباع « بالعربات » ، ولا تسل ، بعد ذلك، عن مؤلفات نجيب محفوظ .. ما تكاد الطبعة تصدر بالقاهرة حتى تنشر بيروت اضعاف اضعافها .. وما يكاد يروج كتاب لمؤلف ويعود بشيء من ربح يقترب من الجهد المبذول حتى تتناهبه دور النشر ، حتى صار الانسان يخشى نجاح كتاب له ، ويفضل « الستر » .

لقد امتدت الايدي الى كتب جهد اصحابها في تحقيقها ، أو تأليفها . ومرت الظاهرة كأن لم تكن ، وكأنها لا تصلح ـ في الاقل ـ موضوعا لدراسة نفسية أو اخلاقية او اجتماعية او حضارية .. او او .

وتجر الظاهرة الظاهرة ويسير القطار محملا بالأوزار ، أوجد الغرب الاوفست لشيء وأسأنا استعماله في اشياء ، وأوجد التحقيق العلمي •• والبحث العلمي •• والخلق العلمي •• وحقوق المؤلفين •• وأوجدنا الاستغلال والعبث •• وما لا يدرى سره ! أجل بفن السرقة أم « استهتار » معرق •• أم ماذا وماذا ؟

لقد حقق مستشرق ـ ابان الحرب العالمية الاولى ـ كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام ، وبذل الجهد والطاقة ، وتقدمت بيروت لتؤفست الكتاب وارادت ان تسوغ الافستة بان تكتب له مقدمة عن « تاريخ النقد الادبي عند العرب » ومكان « ابن سلام » منه ، واسندت هذه المهمة الى « لجنة من الجامعيين » فما كان من « الجامعيين » الا ان استلوا مادة المقدمة وفكرها من هذا الكتاب او ذاك ، ووقع طه أحمد ابراهيم فريسة باردة بين المخالب •

وكان طه احمد ابراهيم قد بذل كل ما يملك في سبيل ان يتعلم ، وباع كل ما في حوزته لكي يواصل •• ويؤلف •• وتوفي في منتصف الطريق وخلف كتابا جليلا جدا ، ما تكاد تشتد الحاجة اليه حتى « تتناوشه » دور النشر في دمشق او بيروت مناوبة دون تفكير بالورثة وما يمكن أن يكون لهم من الحقوق ، ودون سؤال او استفهام ، ولم السؤال والاستفهام ؟

وتسير القافلة ـ العفو ـ القطار السريع المحمل بالبضائع الحلال•• يتوقف لدى محطات مهمة من دور نشر محترمة •

ـ فما ظنك بدار الثقافة في بيروت ؟

ـ حسن ظني من حسن الظن بخبرائها •

ـ اعادت هذه الدار نشر مؤلفات المنفلوطي ـ لرواج سوقها بالطبع الطبيعي ـ وكتبت على اغلفتها ديباجة اخاذة : « دار الثقافة في بيروت تقدم بكل فخر للعالم العربي اكمل واهم طبعة لاثار الكاتب الخالد الذي اغتذى بادبه ملايين القراء في كل بلد عربي •• » ـ الديباجة رنانة • ومستحيل ان تعزى الى قلم صاحب الدار !

وطبعت له ـ فيما طبعت ـ كتابا باسم « مختارات المنفلوطي » فما ظنك اذا علمت ان هذا هو غير « مختارات المنفلوطي » الاصلي ؟

ـ قلت لك ظني من الظن بالخبراء •

ـ وأقول لك : ان هذا الذي طبعته دار الثقافة مختارات مما كتب المنفلوطي ـ تجد اثاره في كتبه الاخرى كالعبرات والنظرات ـ وذاك الذي الفه المنفلوطي « مختارات » مما كتب الاخرون من قدماء ومعاصرين •

ـ عيب !

ـ أهو الجهل ؟ أهو فعل الدار ؟ أهو فعل الخبراء ؟

ـ كلها وزيادة ••

هذه دار الثقافة فما ظنك « بدار الهلال » وهي محترمة جدا نعرف الاصول جدا يشرف عليها ادباء مؤلفون معروفون جدا •

ـ لا بد للمرء من ان يشك حتى في نفسه !

ـ طيب • للدار سلسلة باسم « كتاب الهلال » •

ـ تريد ان تذكر ما آلت اليه هذه الدار من رجعية ؟

ـ لا ، فقد صارت الرجعية مبدأ •

ـ لعلك رأيت ان العدد الاخير من مجلة الهلال مخصص « للسحر » كأن لم يبق للقومية العربية غير « السحر » •• ويا ليتهم تحدثوا عن فك السحر !
ـ للدار سلسلة باسم « كتاب الهلال » • نشرت للمتنفذين فيها عددا من الكتب هي اعادة طبع ولكنها قدمتها للناس وكأنها تطبع لاول مرة ••

وفي هذا خداع للناس اولا ؛ وما يمكن ان يفسر بالاجر ومقدار الاجر ، والنشر الاول أكثر اهمية واكبر قدرا من النشر الثاني •

من هذه الكتب ما صدر لعبدالرحمن صدقي بعنوان « الوان من الحب » والتدليس فيه انك لا تصارح القارىء بالحقيقة ؛ ولا تخبره لغرض قد يكون

ماليا مرة وغير مالي مرة ، والا فما كان يسنع من كتابة : « الطبعة الثانية » على الغلاف أو مقدمة صغيرة تبين تاريخ الكتاب ؟ او او ...

ويصدر عن السلسلة نفسها كتاب بعنوان « بناة النهضة العربية » ، « بقلم جرجي زيدان »•• وتعود الى ذاكرتك فلا تجد ان لزيدان كتابا بهذا العنوان : « بناة النهضة العربية بقلم جرجي زيدان » وبهذا المنطلق القومي الجاد في تآليفه كتبه • ولكن قد تخونك ذاكرتك ؟ وتفتح الكتاب وتجد مقدمة لطاهر الطناحي رئيس تحرير السلسلة يقول فيها ما يمكن ان يكون مفتاحا • فهو يقول ـ فيما يقول ـ ان الكتاب مقتبس من كتاب جرجي زيدان « مشاهير الشرق » • ليكن ! فما المانع من ذكر ذلك على الغلاف ؟ وما المانع لو اختير للعملية عنوان يدل على الاقتباس مثل « من مشاهير الشرق » •• علما ان العنوان الكامل لكتاب زيدان هو : « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر »•

ولم يذكر السيد الطناحي اسمه في « الاقتباس » •• فلا ندري مثلا لم اهمل « أديب اسحق » وهو جدير بالبقاء ، شديد الصلة بالحاجة القريبة التي ادت الى اعادة النشر •

ثم لم يقل ـ وهذا مهم ـ انه تصرف قليلا ـ أو كثيرا ـ بنصوص جرجي زيدان ، فخيل اليك وانت تقرأ « بناء النهضة العربية » تقرأ كلام زيدان كما هو في « تراجم مشاهير الشرق » والمسألة مسألة اختيار تراجم واهمال تراجم • ولم يكن واقع الامر كذلك •• بل ان زيدان نشر عن احمد عرابي ما كتبه اليه هذا عن نفسه كاملا وكما هو ، ونشر الطناحي ملخصه واسند التلخيص الى زيدان ـ وهذا حرام !•

وتصدر السلسلة في « فبراير ١٩٧٣ » كتابا لمحمد عبدالغني حسن بعنوان اشعار وشعراء من المهجر » فتقتنيه •• ثم تتذكر ان للمؤلف نفسه كتابا سبق ان اصدره في الموضوع نفسه ، وتفتح كتاب الهلال الذي بين يديك وجيبك ، فلا ترى فيه ما يشير الى ذلك او ما يشير الى وجود مقدمة •• وتعود الى الوراء، الى سنة ١٩٥٥ فترى لمحمد عبدالغني حسن كتابا نشره « بالاشتراك مع مؤسسة

فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ـ نيويورك • حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة لمؤسسة فرانكلين » ••• هو الاصل والاوسع •• لان كتاب الهلال يتوخى الحجم الصغير والعدد المحدود من الصفحات • فماذا فعل الاستاذ محمد عبدالغني حسن ؟ ترك الفصل الاول الذي يدرس شعر المهجر ثم بدأ بالفصل الثاني : « شعراء المهجر الشمالي » وجعله الفصل الاول للكتاب الجديد وها هم أولاء مع « باقات من اشعارهم » كما كانوا وكانت هناك : ايليا ابو ماضي ، ميخائيل نعيمة ، نسيب عريضة ، رشيد ايوب ، جبران خليل جبران ، مسعود سماحة ، محبوب الخوري الشرتوني ، احمد زكي ابو شادي ، ثم جعل الفصل الثالث من مطبوعة فرانكلين الفصل الثاني من مطبوعة الهلال ، شعراء المهجر الجنوبي ، وها هم اولاء الياس فرحات ، الشاعر القروي ، ابناء المعلوف، شكر الله الجر • وبانتهاء « باقة » شكرالله الجر ينتهي الحجم الذي يقتضيه كتاب الهلال ويسع ذلك استمرار الكلام والنقل فيذهب ضحية الموقف شعراء من المهجر الجنوبي وردوا في اخر الفصل من طبعة فرانكلين هم : جورج صوايا • الياس قنصل ، نعمة قازان : ذهبوا هم و « باقات » اشعارهم !

فلم هذا ؟

نحن نقول انها مسألة مصارحة وامانة ، وهم يقولون انها مسألة أخرى !

واذا قلنا ان جيل الشيوخ استجاز لنفسه اشياء كثيرة •• لم نجد الجيل التالي احسن منهم دائما •• وتبرز لنا قائمة من الاسماء •• ويتقدم كتاب لرجاء نقاش بعنوان « ادباء معاصرون » يصدر ببغداد قبل ان يجف عليه حبر بيروت •• دون مسوغ علمي •• وللحالة اشباه ونظائر •• مرت كأن لم تكن • فلم ؟ وكيف ؟ انحن قوم يحبون المال حبا جما ؟ انحن اقل امانة من غيرنا ؟ ارجو الا يكون في الامر شيء من هذه الاسس •• وانما هو المجتمع ومقتضياته ، والحضارة وسماتها ، والمطلوب من التاريخ ان يسجل •• لنفسه ان لم يكن للاخرين ••

سجل يا تاريخ !

١٩٧٥-١-٢٣

لغة مجلة الأسبوع العربي ،،

الاسبوع العربي مجلة اسبوعية تصدر في بيروت ، كان صدورها مصحوبا بانواع مختلفة من الدوي ، ولكن المجلة انتشرت انتشارا واسعا لما لها من امكانات خارقة . وهي الان في سنتها السابعة عشرة .

ليس بها حاجة الى تعريف . ولست مؤهلا للتعريف بها ، فما تقع لي الا نادرا ، وكل ما في أمري وأمرها ، أني أقع فيها على خطأ في اللغة غريب عجيب ، فأعبر ، كما يعبر الاخرون اذ يمرون بهذا العيب الفاحش في كل مكان، في بلادنا وفي البلاد العربية الاخرى .

وكنت حائرا في اسباب الخطأ لدينا ، وقد رأيت من الاسباب المهمة التي غفلنا عنها ، اننا نتلقى الخطأ من اذاعات عربية مهمة ومن صحف عربية مهمة ، فنحسب الخطأ صحة ، ونتابعه لثقة في غير محلها ... وليس معقولا ان نعزو الخطأ في الاذاعات العربية والمجلات العربية الى قصد سيىء في تخريب اللغة التي هي قوام حياة وركن قومية ، انما هي مسألة تسهل وتسمح ... واستهانة عامة . فليس معقولا ـ مرة اخرى ـ ان تخرب امة لغتها ، أو ان تساوم على ذلك . ثم لنتذكر ان الاسبوع العربي مجلة يكتب فيها نزار قباني ... وليست (الاسبوع العربي) وحدها التي تخطىء لنقول انها تتعمد الخطأ . ثم كيف ترتكب مجلة هذا الفقر وهي غنية بمعنى الكلمة تملك الآلاف والملايين ، والملايين تجر الملايين .

وهنا ... هنا على ذكر الآلاف والملايين ينبثق سؤال يقول : اذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ اليس من الممكن ان تستغل الاسبوع العربي قليلا ـ قليلا جدا ـ من هذه الالاف في ضبط اللغة واللغة عنصر صحفي اذا لم تكن عنصرا قوميا ... اتعجز مجلة لها الاف الموظفين والمراسلين تحقق بهم المعجزات في المقابلات والريبورتاجات والصور والموضوعات الحادة وتتبع فضائح

الامريكان في كل مكان .. اتعجز مجلة على هذه الدرجة من المنعة ان تحمي اللغة العربية من العبث ؟! المسألة سهلة جدا . أن تخصص مرتبا محدودا من هذا الذي تربحه بالحرف العربي لرقيب لغوي ، شرط ان يتصف هذا الرقيب بنقاء الضمير والترفع عن الدنايا .

أجل ... تقع الي (الاسبوع العربي) بين حين وحين فيستفزني ما فيها من خطأ لغوي لا يفترض ان تقع فيه ، لانه خطأ في ابسط القواعد من الجار والمجرور والفاعل والمفعول والعدد والمعدود وخبر كان واسم ان ... أما حلول رئس (بوزن فعل بكسر العين) محل رأس (بفتح العين) فتلك هبة عامة قدمتها لبنان الى العالم العربي قاعدة على غير أساس من السماع أو القياس . ولم تقصر في نشر ضلالها في آفاق بعيدة .

وكان آخر هذه الاستفزازات ما وقع وانا استعرض عنوانات عدد ٢٣ حزيران ١٩٥٧ ، اجل العنوان فقط ، والخطأ في العنوان اشد تفاذا الى نفوس الناشئة واقوى انطباعا في اذهان القراء ، أجل ، جاء عنوان الغلاف « الافلاس » من غير همزة للقطع ، ولا نتحدث عن همزة القطع التي تحل محل همزة الوصل فتكون للانفجار همزة وللانتصار همزة ؛ ولا نتحدث عن فتح همزة إن بعد أم ، وانما ننص على عنوان مقال كتبته غادة السمان من لندن بعنوان « كيف تواجه لندن الفقران .. المادي والروحي » اشهد ان العنوان اخرج اخراجا فنيا لافتا للنظر استغرق (٤٥) سنتمترا مربعا من اصل صفحة كاملة خصصت له ولكن المجلة جاءت بالمفعول به مرفوعا . ان المثنى المفعول به سيرفع ـ بعد اليوم ـ وعلامة الرفع الالف ، ولتسقط كل القواعد ..

لقد غارت غادة السمان في العدد نفسه على العرب لدى مشاهدتها فلم « الليالي العربية » فكتبت مقالة رنانة تحمل على المخرج بازوليني ، أفمن المعقول ان تقع في مثل هذا الخطأ ؟ لقد غارت على العرب في لندن ، والاولى ان تغار على العربية في بيروت . ولم يبق ـ على هذا ـ إلا ان نرد الخطأ الى المجلة نفسها ،

فقد عودتنا مثل ذلك حتى أرتنا الضلال هدى • ويبقى السؤال الأول من غير جـــواب •

إني انبه •• ولا أتّهم ••

١٩٧٥-٧-٩

علماؤنا ... واللغة العربية

علماؤنا . ولم لا ؟ ففي البلد علماء محترمون ، من وزن محترم ، نالوا رتبا عالية من ارقى الجامعات في خير الاختصاصات ، وشهد لهم العالم بالمقدرة والنبوغ واستعان بهم في جامعاته ومشروعاته .. في الطب ، الفيزياء ، الكيمياء الاحياء ... العلوم الانسانية ... ولهم في كل ذلك اختراعات وبحوث وكتب ودروس ...

ومن هنا يبدأ العتاب ...

ومفاد العتاب أن علماءنا ظلوا محصورين بين الكلية والمختبر ، فلم يفيضوا بالنفع على العامة ولم يؤدوا خدمات مباشرة في تكوين الفكر العلمي لدى القارىء فلا تكاد تجد لهم في السوق كتابا ، ولا تكاد تقرأ لهم في مجلة أو جريدة ، كأنهم لم يستشعروا رسالتهم في هذا الباب ولم يدركوا مهمتهم الثانية الى جوار المهمة الاولى ...

ان الثقافة العلمية تقي المواطن شرورا كثيرة في الصحة والعقل والمنطق والسلوك ، لانها تعينه على أرجاع النتائج ألى اسبابها ، وتمنحه التفكر المتزن ، وترتفع به عن مستوى البداوة والتخلف ، وان بنا حاجة ماسة الى قطف مثل هذه الثمار ، وما اخال علماءنا يجهلون ذلك ، ولا شك في انهم فكروا في الامر وهمّوا ... ولكنهم ما يكادون يتقدمون خطوة حتى يرجعوا خطوتين ...

لماذا ؟ والعلم لديهم جاهز والمصدر متهيىء والنية حسنة ؟ ولو طلب اليهم ان يكتبوا بلغة اجنبية ـ كالانكليزية ـ لكتبوا ، وانهم لكاتبون فعلا ، لكنهم مع اللغة العربية يرون انفسهم ازاء أمر جديد ، هو عقبة اللغة العربية . هذه اللغة التي استعصت عليهم ولا يستطيعون ان يطوعوها لتحقيق اهدافهم ...

وليست الصعوبة في اللغة العربية نفسها ، لان هذه العقبة مبالغ فيها ،

واللغة العربية شأن غيرها مفردات وتركيبات ، وفعل وفاعل وحروف جر ••• ويبقى بعد ذلك الممنوع من الصرف والاسماء الخمسة وجمع المذكر السالم •• في حالات الاعراب ، وليست هذه عقبة ، لانها ممكنة التذليل بقليل من الجهد ، وهل يصعب ذلك على من ذلل الذرة والسل ، ثم انها أقل خطرا على من يكتب ، ويسهل علاجها بعرض المكتوب على أول عارف باللغة من معلمين وتلاميذ ، فينتهي الامر ويقدم الاثر الى المطبعة • بل ان الجمعيات العلمية ـ وهي كثيرة وفي مبادئها نشر الوعي العلمي والثقافة العامية ، يمكن ان تهيىء ، العارف باللغة العربية الذي يعين في التصحيح ، وان جهات النشر ـ لا سيما الرسمي منها ـ يمكن ان تهيىء ذلك العارف • وليس في الامر استحالة او صعوبة ، فالذي يرسم الهدف يهيىء له وسائل انجاحه، وليست الاهداف حبرا على ورق •

ثم تنتبه وزارة التربية ـ على وجه الخصوص ـ الى خطورة الموقف وجسامة النقص ، فتعمل على تلافيه وتوجه الى اللغة العربية عناية خاصة ، والى تعليمها عمليا اهتماما اخص • ويعرف المعنيون بشؤون التعليم ان طلبة الفروع العلمية « أقوى » من طلبة الفروع الادبية ، وانهم ـ اذا قوبلوا بنظائرهم ـ يفوقونهم علما باللغة واستعمالها ••• ولكنهم ازاء شعورهم بانهم علماء (نحن علمي وانتم ادبي !) واشعارهم بان اللغة العربية ليست لهم كضرورة الكيمياء والفيزياء والاحياء ، لان اللغة هذه للادباء فقط ، يستهينون بها ولا يرونها شيئا ، فيخسرون بذلك لبنة في بناء مستقبلهم العلمي فيما يتعلق بهم مواطنين عليهم ـ غدا ـ رسالة استثمار العلم اجتماعيا ، والتأليف والمحاضرة ونشر الوعي العلمي •••

تعالج ـ اذا ـ وزارة التربية الموقف ••• وتعالجه الجمعيات ••• وجهات المكافأة المالية ••• ويعالجه العلماء انفسهم في حدود المستطاع ، لا سيما اننا لا نريد منهم ـ اليوم ـ أكثر من علم يقدمونه الى القارىء في ابسط لغة في حدود تفهيمه وافادته ، ولا نطلب من علمهم الابداع والابتكار والدقائق ، فذلك ميدانهم العالمي ، نطلب مادة معترفا بها ، معروضة عرضا ميسرا • وكان

بأمكاننا ان نطلب أكثر من التيسير لو اختلف الموقف ، كما يطلب العالم من علمائه في العرض الادبي والتشويق والخيال ؛ ولكننا لا نطلب غير المستطاع• فلم نخرج عن حقنا ولم نخرج علماءنا عن واجبهم •

ومصادر العلم معلومة ، والمادة جاهزة يستلونها من دروسهم وخبراتهم ، أو من كتاب ألف بلغة اجنبية يقدمون زبدته ، او من اعادة كتابة بحث نشر في مجلة ••• أو ترجمة بتصرف لكتب الفها العالم لقرائه في سلاسله المتنوعة ، أو يستعينون بطريقة س• ج• ••• أو أي شيء ، فالارض مجدبة تنتظر أية قطرة من ماء •

٢٠-٨-١٩٧٥

القربان بين القصة والمسرحية والتمثيل

(١)

أما القصة فهي من مؤلفات الاستاذ غائب طعمة فرمان ، وقد قرأها كثيرون، وهي حلقة من سلسلة قصص سبقتها في تاريخ ادبي لتاريخ العراق الــذي عاصره المؤلف وعاش في الصميم من شعبه وفي الكثير من مآسيه • إن فرمان كاتب عراقي مقروء ، وليس هذا قليلا ، وكاتب مجيد وأكثر من مجيد ••

ويجلو في القربان حياة قطاع من الحياة الشعبية في محلة من محال بغداد كما كانت في الاربعينات متخذا من مقهى دبش محورا : مكانه ، صاحبه ، عماله ، رواده ، ولا يكاد يبعد بالمكان والزمان والحدث وكأنه كلاسيكي أصيل يتشبث بالوحدات الثلاث أكثر مما تشبث بها ارسطو • وليس هــذا ذما • وربما كان مدحا للدلالة على السيطرة وتعمق المقطع •

كان في هذا المجتمع الصغير صاحب المقهى المتجبر الطاغي على عمالــه الظالم لزوجته وبنته ، وفيه حسن العلوان المبتز الذي لا يعرف غير المال ، أما العمال (العاملان) فيقومون بالواجب مدى عشرين سنة على أحســن ما يكون دون ان يتلقوا ثوابا يذكر او كلمة طيبة ، ولا يكاد الرواد يتغيرون • وأدّى بقاء دبش على حال واحدة رغم تغير العالم خارج عالمــه ، الى نقص في المورد ولكن دبش لم يتنبه الى الامر الطبيعي في التطور • اما الشغل الــذي يشغل المحلة كلها فهو ظلم دبش ، ظلمه زوجته حتى ماتت ، وظلمه ابنتــه وقساوته عليها تقتيرا وتجويعا ومعاملة وحبسا عن العالم جاهلا الطبيعة واحكامها •• وليس في المحلة كلها من يحبه وليس فيها من لا يتمنى موته وانهم ليفكرون في أية وسيلة للقضاء عليه ، وقد تهيأت هذه الوسيلة لدى مرضه •

واذ تخلصوا منه اندفع احد عمال المقهى (ياسر) يرفه عن مظلومة ابنة دبش ويجدد في المقهى •

ويمكن ان تنتهي القصة هنا وتكون قصة قصيرة مكتملة ، ولكن المؤلف يريدها طويلة ، أو صورة لما وقع فعلا مما يعرفه هو خيرا من غيره . ففتح صفحات جديدة منبثقة عن الصفحات الاولى ، فقد كان ياسر يحب مظلومة ، وكان صباح يحب مظلومة ، وكانت زنوبة (المجنونة) تحب ياسرا •• وحسن العلوان يرى لنفسه الوصاية ، ويسعى الى ان يزوج مظلومة من غير هذا وذاك من اجل أهداف مالية ••• ويتعقد الموقف ، ونرى ابناء المحلة الواحدة الذين كانوا وحدة متحدة ضد دبش فرقا متفرقة ، والتجديد يؤول الى غير ما يجب ان يؤول اليه ، وكان المفروض بمظلومة ان تحمد للظروف انها تخلصت من الجور فتسلك هادئة رصينة ، وتشكر لياسر قيامه بالخدمة ازاءها فتتزوجه •• ولكن هذا لم يحدث ، لان المؤلف « واقعي » وقد بعد عهد الفن القصصي بالمثالية •

لقد تعقدت الاحوال ، وكل يترصد كلا ، يكيد ويتربص ويعادي •• ثم ساءت هذه الاحوال وتدهورت • وهنا يبلغ المؤلف القمة من العقدة في القصة الكلاسيكية ويحار القارىء في الحل الذي سيكون وكيف سينجو المؤلف من هذه « الورط » التي وقع فيها او اوقع نفسه فيها •• كيف يصل التالي بالسابق ، وماذا يصنع بياسر وهو رجل طيب جدا وشهم لم تكن له مصلحة في مال •• وعبدالله (العامل الثاني) •• و •• و •• ؟

يبدو انه لم يتأمل الموقف طويلا او انه لم يتبصره منذ البداية • فماذا يفعل ؟ لقد لجأ الى القتل حتى قربنا من الرواية البوليسية • لقد قتل عبدالله ياسرا ، وقد يكون هذا واقعا ولكنه لا ينسجم في الظاهر مع هدف النظر الى ابناء الشعب في نقاء ، ثم ينسجم في الباطن اذا عزي السوء الذي ارتكبه ابناء الشعب ازاء بعضهم الى طول الجور السابق والى مؤامرة حسن العلوان ، ان حسن العلوان سر البلاء وكان اللازم ان تتوجه الجهود الى القضاء عليه مبكرا • هذا هو اللازم ، ولكن اللازم لم يقع لان المؤلف لا يريد ان يحكم المثال بالواقع ، وهو اذ سار في ظل هذه الارادة لم يبعد كثيرا عن الهدف، لان القصة

لم تكتب لياسر الذي مات وعبدالله الذي أمات ، وانما كتبت لمن يجيء بعدهما من اجيال •

ينسجم هذا الاستنتاج مع المقدمات ومع ما هو معروف عن المؤلف ومعروف عن العراق في الاربعينات ، ولكنه استنتاج فقط ، بمعنى أن القصة لا تجلوه ولا تجلو اي استنتاج آخر ، فقد بدت احداثا متتالية متضاربة مزحومة متداخلة لم يعد يجد المؤلف طريقه خلالها • اما القارىء ، فقد يحسبها حوادث تسرد للحوادث ، وللقراءة فقط ، والا لاطال المؤلف الوقفة وشذب وهذب ، ولطرح منها حتى ما كان قد وقع فعلا اذا جار على صفائها الفني •

القربان قصة جيدة ، وهي ذات مكان في تاريخ القصة العراقية الطويلة ، ولكن كان المنتظر اكثر من ذلك • تقرأ ، وقرئت فعلا ، وقرأها الكثيرون ممن عرفوا غائب طعمة فرمان في « النخلة والجيران » وما بعدها ••

(٢)

ومسرحت النخلة والجيران ، مسرحتها فرقة المسرح الفني الحديث ، ونجحت ، ويعود النجاح الى طبيعتها والى اليد الفنية التي تولت المسرحة •• والفرقة الرائعة •• ومع هذا فلا تستطيع ان تصدر هذا الذي عملته اليد الفنية على انه مسرحية عنوانها : النخلة والجيران •

وصدرت القربان ، وقرئت ، وفيها جو شعبي أثير جدا لدى الفرقة . وما زال نجاح « النخلة والجيران » يؤنس العيون •• ثم ان في البلد ازمة نصوص مسرحية ، فيه مخرجون من طراز عال وفيه ممثلون من نمط عزيز ولكن ليس فيه النصوص المسرحية اللازمة •• وفي البلد اديب ما فتىء يتابع المسرح والاعمال المسرحية ساعيا الى ان يكون شيئا •• وفيه وفيه ••• عوامل تجتمع لتؤدي الى مسرحه القربان •

والمسرحية عملية مجازفة ، ان (سينمة) القصة (للسينما) مجازفة على الرغم من طول التجربة فيها وتبني العالم اياها ، فكيف بمسرحة القصة

(للتمثيل) والمحاولات معدودة ولم يكن لها في العالم تاريخ • قد يسرح العالم قصة ، ولكن ذلك قليل جدا ، فما به حاجة الى ذلك والنصوص المسرحية ازاءه كثيرة : قديمة وحديثة وفي كل موضوع • ولا يمسرح الا لمناسبة غير فنية • وقد تكون فرنسا قد لجأت الى شيء من ذلك ، وقد فعلته يوم ارادت ان « تكرم » اندره جيد وهو اديب كبير • فماذا يصنع الكوميدي فرانسيز ؟ لقد نظر في قصصه فوقع على واحدة منها اسمها « كهوف الفاتيكان » ومسرحها ومثلها • ولكن المسرحية هذه وقد قامت بها اعلى سلطة فنية في اعلى مقر للتمثيل لم تلق نجاحا كبيرا ولم تدع الى الاستمرار ولم تجعل من قصة « كهوف الفاتيكان » مسرحية •

وليس صحيحا ان نسد الطريق ، ولنقل ان مسرحة القصة ممكنة ولكنها صعبة ، وصعبة جدا ، اذا أريد ان تكون لدينا مسرحية تطبع عنوانها : القربان• وهي بهذا تحتاج الى امكانات « خارقة » • اما المسرحة بمعنى اعداد القصة للتمثيل وان تمثل في العراق ولعراقيين فلا تحتاج الى تلك الصفة من الامكانات •

لقد اعلن ان القربان تعد للمسرح ، يعدها الاستاذ ياسين النصير • وربما كانت فكرة الاعداد في أول امرها فكرة فقط ، فكرة براقة حتى اذا سارت نحو التطبيق تضاءل البريق وحلت محله الصعوبة • وهنا اتضح للنصير اساسان متلازمان ، فالقربان « كعمل روائي له خصائص غيرها كعمل درامي ، وبالتالي فان كل شيء روائي يلتقي بكل شيء مسرحي عندما يضفي احدهما على الاخر رؤية معينة ، وهي اذن تجربة مركبة •• »

وكلما سار خطوة ازدادت الصعوبة : صعوبة تمايز النوعين وتكاملهما في وقت واحد • وبذلما وسعه من جهد المواظبة والتأمل والمراجعة والتقديم والتأخير ، واستعان بخبيرين هما الاستاذ سامي عبدالحميد والاستاذ المؤلف، وظلت المهمة ـ مع ذلك ـ صعبة على المعد ، ويزيد المعد الصعوبة على نفسه تمسكه بالاساسين تمسكا دگماطيا وحرصه على ان يوفيهما حقهما دون تفريط

بواحد على حساب الاخر • وفي هذا خطر كبير لان عمله لن ينفرج عن مسرحية فقط وانما يؤدي الى مسرحية ـ قصة ، أو قصة ـ مسرحية • وهذا ما حدث•

صحيح ان المسرحية اضفت على جوانب من القصة لم تكن على البروز التي بدت في المسرحية ، ولكنها كانت اشبه بقراءة ثانية للقصة ، وانها احتفظت من القصة باكثر مما يجب ولم تدخل عليها كل ما يجب كأن المعد يعتز من القصة بكل صغيرة وكبيرة ، والمفترض ان تكون له القوة على التضحية بالصغير (والكبير) اذا اعترض الفن الدرامي • وقد يكون من ابسط الاشياء التي يمكن بترها مشهد ناجي وقد جاء يلاحق المعلم في مقهى دبش •• وعدد من وقفات تبدو زائدة في الذهاب والاياب قامت فيها الشخوص وقعدت دون جدوى وكان يمكن الاستعاضة عنها باشارة ترد في حوار يبتكره المعد في هذه المناسبة •

لقد بذل الاستاذ النصير جهده وحقق غير قليل •

(٣)

واعلن ان فرقة المسرح الفني الحديث مستعدة لتمثيل القربان ، وللفرقة رصيد « ضخم » لدى الجمهور العراقي ، كونته بطول تجربة وطول تضحية وسمو قصد وبراعة فن ••• وان الواحد منا مستعد لان يقطع تذكرة دخول الى اية مسرحية تعلن عنها •

وبدأ العرض من ١٣ـ١٢ـ١٩٧٥وازدحم الناس على الشباك من يحجز لليلته ومن يحجز لاسبوع مقبل • وهذا مجد للمسرح العراقي لم يتكون في سهولة ويسر ولن يقصر التاريخ في اكباره •

وتوالت الايام الاولى والقاعة غاصة ، والمشاهدون معجبون بالتمثيل، يشجع الداخل منهم الخارج ويتمنون لو كان للفرقة قاعة غير هذه القاعة ليكون مدارها اوسع وتحركها البق ، وليسلم المشاهدون من الضيق والبرد ـ ولكن هذا التعكر لا يلبث ان يزول لدى انسجام المشاهد مع فرقته •

كم يسر المرء ان يرى في العراق هذه الباقة من الفنانين الذين يجمعون بين الابداع والتضحية ناظرين الى التمثيل كأعلى ما يكون من اهدافهم في الحيـــاة •

تشهد « القربان » فلا تستطيع ان تؤاخذ ممثلا بصغيرة ، كأنهم خلقوا لهذه الادوار كلهم ، ولا موجب للنص على الاسماء ، فبمن تبتدىء ؟ وبمن تنتهي ؟ ولا تنس الاخراج والديكور •• والادارة •

ويعود المرء يقابل بين القصة والمسرحية او يستذكر القصة وهو يشاهد المسرحية •• فيلاحظ ان البداية بالنهاية ليست فنا ، وان زنوبة في المسرحية أقل جنونا مما هي في القصة ، وكان ياسر في القصة (ق•د) قبل موت دبش اقل عنجهية ، وعبدالله اقل صياحا ، ومختار اقل شكوى من العيش وضميره اقل وخزا ، وصباح اضعف شخصية والمعلم اقوى نفوذا •• انها ملاحظات فقط ، والا ففيها ما شد من العنصر الدرامي ، ومن ذلك موقف زنوبة من ياسر ، وبدا كأن وجود المعلم بالشكل الذي ظهر به على الخشبة ضرورة درامية لم يكن لها هذا الشأن من قبل •

وتبقى مسألة الجمهور الذي يبحث عن الضحك وعن معان كونها لنفسه قبل ان يلج باب القاعة ، انه ربما حمل الاشياء فوق ما تحتمل وخرج بما اراده المؤلف والمعد ـ وربما الممثل ـ الى ما يريده هو • وهذا عيب ـ يتناقص مع الزمن ـ يرجع في اسبابه الى قصر عمر التجربة المسرحية في البلد وقصر عمر ان يكون للمسرح جمهور ، لقد بدأ العالم بالجمهور وبدأنا نحن بالمسرح • هو عيب لانه يعكر الجو الحقيقي ، ويكفي انه يحيل موقفا محزنا الى مضحك. وان المشاهد يضحك حيث يجب الاسى ،ويعلق حيث يلزم الصمت • وقد تكون الفرقة مسؤولة بعض الشيء عن نشوء ذلك ، لانها كانت ـ في ايامها الاولى من سعيها الى خلق جمهور عراقي ـ تضع نصب عينيها « تملقهم » بشكل وبآخر ، وتبقى من اوائل الامور بقايا على الايام •

لو جرى التمثيل في جو القصة لما سمعت ضحكة او تعليقا ولخيم من الكآبة على القاعة ما ربما يضيق به المشاهد العراقي - وهل جئنا لنحزن ؟!

لقد كان المؤلف يعلن في تصريحاته قبل صدور قصته ويعدها عن معان خاصة في بيان حال الطبقة المسحوقة وانها ضحية وانها شعور واحد من اجل المظلوم .. وما الى ذلك مما يرى القارىء شيئا منه في القصة وتفوته أشياء . وكان المنتظر ان تظهر هذه النقاط على حروفها لدى التمثيل، ولكن النقاط لم تظهر ، وعملت ضحكات من هذا المشاهد او ذاك وتعليقات من ذاك ، هذا على محو بعض النقاط ..

ولكن مجموع المؤاخذات ، قلت أم كثرت ، صحيحة كانت أم وهما لا تحول دون الاعجاب بالتمثيل والثناء على مجموع من التزم المشروع منذ بداية كتابة القصة حتى نهاية ظهور الممثلين على الخشبة . ويكفي انك شهدت تمثيلا بارعا وابتهجت الى انك لم تفوت على نفسك فرصة المشاهدة وما انت بواجد المتعة الفنية كل يوم ولا بمحقق لنفسك الابتهاج الفني في كل مكان .

التمثيل بارع .. ولئلا يكون قلمك قد جرى مجرى الغمط . يعود فيرى للقصة ولمسرحتها حظا من الأرتياح الذي تهيأ لـك ـ وللمشاهدين الالوف ـ لان المسألة التي ازاءك هي كل ، وقد تتفاوت النسب في اسباب الظاهرة ، ولكن لابد من أخذ المجموع بنظر الاعتبار ، وما زال الطريق طويـــلا .

١٩٧٥-١٢-٣٠

دراسات معاصرة

صدر عن مديرية الثقافة الكردية العامة بوزارة الاعلام (بغداد ، مطبعة الحوادث . د.ت ١٩٧٥ ؟) مؤلفا من قسمين ، تضمن الاول اربع مقالات ترجمها عن (الروسية) جودت بلال اسماعيل ، وتضمن القسم الثاني مقالتين، لخص الدكتور إحسان فؤاد في الاولى كتاب تولستوي « ما هو الفن » وتضم في الثانية حسين عارف في « اللاتراث استحالة مطلقة » .

تأتي قيمة المقالات المترجمة من اهمية كتابها واهمية التجارب التي تقدمها، من انها ترينا – على وجه حي – شيئا مما كان يحدث في الجو الادبي داخل الاتحاد السوفيتي ، فنرى النقاش ووجهات النظر ، فنعلم ان المسألة ليست دائما كما بدت في الخارج ، مسألة أوامر ونواهٍ وشوارع ضيقة محـــدودة لا محيص عن السير فيها وحدها ...

تحدث « ايليا اهرنبورغ » عن « سيكولوجية الابداع الروائي » جواباً عن سؤال وجهه اليه قارىء – مهندس ، هو : « لماذا يبدو ادبنا شاحبا وضعيفا بالقياس الى حياتنا .. ان كتابنا الكلاسيكيين كانوا يكتبون على نحو افضل ... » وكان مما قال اهرنبورغ : « لقد كانت مهمة اسلافنا العظام اسهل بكثير من مهمتنا لانهم كانوا يصفون مجتمعا بطيء التغيير . اما مجتمعنا فانه يشيد امام انظارنا ، ويتغير الناس وتتغير العلاقات المتبادلة فيما بينهـــم وتتغير نفسياتهم ... »

وتحدث « بيلاكيوبيتسي » عن مراحل تطور الواقعيـــة والاشتراكية . والمعروف ان الواقعية الاشتراكية تبدأ عام ١٩٣٤ ؛ ولكن الكاتب يذكر انها أسبق من ذلك ، لانها ليست مصطلحا ولكنها الادب الجديد ، فهي حركة وسيلة لادراك الحياة وهي « تضرب بجذورها في اعماق تلك الفترة التي

بدأت فيها الحركة العمالية بالظهور ... واستمرت الحال الى عام ١٩٠٥ » ، وهي ليست روسية فقط ، وانما يدخل فيها اناس وتتصل بهم اتجاهات من أوربة . اننا « لا نبحث عن العنصر المشترك الذي يجمع بين هؤلاء الكتاب في الملامح والسمات الخارجية والشكلية ، بل في تلك العلاقات التي يمكن اعتبارها العلامات الثابتة للواقعية الاشتراكية . ان العنصر المشترك هو ذلك الاستيعاب الفني للواقع الذي يكون فيه الانسان الشخصية محيطه الاجتماعي (كذا) في مركز اهتمام الكاتب الذي يدرك ان سلوك الابطال وافعالهم مرهونة تاريخيا . ان فناني الواقعية الاشتراكية يتميزون في الوقت ذاته بسعيهم الدؤوب على طريق التجديد الاصيل وكذلك الايمان بضرورة ايجاد لغة مشتركة مع الجمهور المتلقي والتأثير فيه ، وبوجود امكانية لتحقيق ذلك ... »

واجاب بونداريوف عن سؤال « لماذا نكتب ، وكيف نكتب ؟ » بقوله : « ان رغبات اغلب الكتاب .. تنطابق في شيء واحد هو البحث عن الحقيقة واظهارها للانسان والتأكيد عليها » . ان « الادب .. حياة ثانية .. انه رؤية الفنان لاعماق حقيقة الواقع والسلوك الانساني والوجود الانساني وحقيقة الاشياء المحيطة به .. »

ويعرض مايكوفسكي في كلمة « الشعر والجمهور » المرارة التي كان يعانيها من اتهامه بالغموض ويقول : « الفن لا يولد جماهيريا ، ولكن ، يصبح جماهيريا نتيجة لجملة من المجهودات كالتحليل النقدي الذي يبين جدوى الفن وفائدته ... »

يلاحظ قاريء المقالات الاربع باللغة العربية تمكن المترجم من نقلها وعرضها في سهولة ويسر وكأنها تكتب بالعربية ، وهذا امر مهم جدا في فن يضعه في موضع المسؤول عن مواصلة العمل واغناء القارئين الجيدين ، ثم العربية بما ينقل من اراء وتجارب ونصوص مبدعة . وياحبذا لو استمر على تخير المقالات الادبية المهمة ونقلها .

لم يكن القاريء العربي - وحتى الاوربي - يعرف شيئا كثيرا عما جرى - ويجري - في الاتحاد السوفيتي من نقاش وسلب وايجاب في الرأي والابداع لدى التقدمي والرجعي .. وقد آن الاوان ان تكتمل الصورة وان ينتفع بالتجربة ويقف على اصح الحقائق وانفعها . ولا ولن يكون ذلك بغير الترجمة . وقد وضعنا السيد جودت بلال اسماعيل ازاء مقالات ذات دلالة كبيرة في الحياة الادبية ، فما احراه ان يزيدينا ، ولعله يثني بترجمة وقائع المؤتمر الاول لاتحاد الادباء السوفيت (١٩٣٤) ووقائع المؤتمر الثاني (١٩٥٤) ومختارات من وقائع المؤتمرات الاخرى ، انه يؤلف بذلك - لنا - كتابا لا غنى عنه .

وكان المترجم في العادة ، يعلق بهوامش جيدة ، وقد ابدى في واحد منها حماسة خاصة نحو الكاتب الروسي ايفانوف بونين ، فقد قال انه من المع واعظم كتاب القصة القصيرة في النصف الاول من القرن العشرين .. كان من اقرب المقربين الى تشيخوف .. ولا ريب في ان بقاء هذا الكاتب خارج دائرة اهتمام كتاب القصة خسارة جسيمة .

ونحن نردد ما قاله ، ويتحمل بذلك المسؤولية الاولى اذا لم يختر لنا جملة من قصص ايفان بونين ويترجمها ويسد بذلك ثغرة هو اشد العارفين بهـــا .

وتبقى بعد ذلك ملاحظات لا يخلو ابداؤها من فائدة منها :

١ - اسم الكتاب . فاذا كان المضمون مجموعة مقالات ، فلم سمي « دراسات » والدراسة غير المقالة ، وغير عرض رأي خاص .

٢ - الاخراج . ذكرت المواد المترجمة على الغلاف الداخلي وكرر معها اسم المترجم اربع مرات وكان الانسب اخراج الكتاب بحيث يذكر مرة واحدة تدل على الاربع .

٣ - وردت اخطاء في رسم الحروف ، واكثر ما ورد ذلك في الهمـزة

مثل : أوصاف تم انتقاءها ـ ص ٢١ » و « ها هم قراءنـا ـ ص ٤٢ » « طوروا ارائهم ـ ص ٥٦ » ، « روءية الفنان ص ٦٧ » ، « ترن اصدائها ـ ٧٧ » وصحيحها بالطبع : انتقاؤها ، قراؤنا ، اراءهم ، رؤية ، اصداؤها •

٤ ـ في التركيب • مثل دخول « هل » على « إن » (ص ١٧ ، ٢١ ، ٤٨ ، ٦٨) ، تكرار كلما في قولة « وكلما كانت هذه الافكار أكثر منطقية ووضوحا كلما كانت قوة تأثيرها على عقول البشر اعظم ـ ص ٦٨ » •

والصحيح حذف « ان » وحذف « كلما » الثانية ويا حبذا لو جاءت : « تأثيرها على •••• » تأثيرها في « اكراما لجهود استاذنا الدكتور مصطفى جـــواد » •

٥ ـ في الاعراب : « يستلك حواسا خمس ـ ص ٦٨ » صحيحها خمسا •

٦ ـ وردت على ص ١٩ : مصائر : وصحيحها مصاير •

٧ ـ ص ٦٨ : « الجنس اللطيف الذي يوهب الحياة لعالمنا ••• » والصحيح : يهب •

٨ ـ ص ٤٤ : « ان التباين في رسم الشخصيات ليس بنت اليوم » : الصحيح : ابن اليوم •

٩ ـ ص ٦٣ : « •• توضح التعقيد والتشابك اللذان يشوبان الموقف الراهن » • الصحيح : اللذين •

١٠ ـ ص ٣٠ « حياة تعيسة » الصحيح ـ فيما اعلم ـ حياة تعسـة (او تاعسة) •

وهذه الملاحظات مما يسهل تجنبه بعرض الترجمة على عارف باللغـة العربية استكمالا لشروط العمل وطلبا للكمال •

١١ ـ ص ٢٥ : « رواية ستندال الاسود والابيض » : الصحيح : الاحمر والاسود •

١٢ ـ ص ٤٤ : « راسين •• وكارنيل » : الصحيح : راسين وكورني •

١٣ ـ ص ٥٠ : « الماركيزة بومبادور محظية ملك فرنسا لودفيك الخامس عشر » : الصحيح : حظية •• لويس الخامس عشر •

وهذه ملاحظات يمكن تجنبها بالاستعانة بعارف بتاريخ فرنسا وادبها •

١٤ ـ ذيل المترجم ثلاث مقالات بهوامش نافعة ، وترك واحدة دون ادنى هامش •

وليس مجموع الملاحظات بالمهم الى جوار ما تمتع به المترجم من قدرة •• فالى المزيد •

١٩٧٥-٩-٢٦

كتّـاب فرنسة اليوم

تأليف بيير دهبوادفر ، ترجمة الدكتور جميل جبر ، بيروت (؟) ، المنشورات العربية ، سلسلة ماذا اعرف ـ ٢ ، د٠ت٠ ١٢٨ ص ـ صدر الاصل ضمن سلسلة « ماذا اعرف » الفرنسية ٠

يقع الكتاب في ثلاثة اقسام ، الاول : ثلاثون سنة من التاريخ الادبي ١٩٤٠ ـ ١٩٦٩ ، الثاني : وجوه جديدة في الادب التقليدي ، الثالث : الأدب نحو لغة جديدة ٠

المؤلف من النقاد الباحثين المعروفين جيدا في فرنسة ، وهو معروف للقارىء العربي بكتابه « معجم الادب المعاصر » ، وسلسلة « ماذا اعـرف » من سلاسل الكتب المعروفة جدا في فرنسة ، وهي تقدم حلقاتها في كتـب صغيرة الحجم كبيرة الفائدة يتولى تأليفها مختصون يعرضونها عرضا يبعدها عن التعقيد الاكاديمي ، وقد نقلت منها الى العربية دار عويدات عـددا غير قليل في سلسلة سمتها « زدني علما » ، والمترجم اديب لبناني دكتوراه في الاداب متمكن من العربية والفرنسية له كتب عن « أمين الريحاني » و « مي » و « جبران » ٠٠ ولكن الذي حدث ان غلب التعثر على عباراته في « كتاب فرنسة اليوم » ويحس القارىء بحاجتها الى الدقة والصقل ، ويلاحظ المتتبع لهذه الترجمة امورا يحسن التنبيه عليها اكمالا للفائدة وتعاونا على الانجاز ، ومن هذه الملاحظات ـ مع مراعاة تسلسل الصفحات في الكتاب المترجم :

١ ـ ص٦ : « وجود المسرحيين » ، يريد كتاب المسرحية ٠

٢ ـ ص ٩ : « كورناي » صحيحها كورني ـ ولا ادري لم يتبنى اللبنانيون لفظا غير صحيح لعلم مشهور جدا ممكن اللفظ الصحيح بالعربية ٠

٣ ـ ص ١١ : « برنافوس » صحيحها : برنانوس ـ وهو من الخطأ المطبعي ٠

٤ ـ ص١٣ : « الا ان ايمانويل ••• فقد اوحى ••• » ليس التركيب عربيا ، ويمكن تقويمه بأن يكون : « اما ايمانويل •• فقد اوحى ••• » او ان يكون : « الا ان ايمانويل •• قد اوحى •• »

٥ ـ ص١٦ : « شاغل الناس صار لا معرفة ما هو الانسان بل ما يستطيعه » • وقد تقيد المترجم بحرفية التركيب الفرنسي ، اما التركيب العربي فيمكن ان يكون : « لم يكن شاغل الناس معرفة ما هو الانسان ، بل معرفة ما يستطيعه » •

٦ ـ ص ١٦ : طغا : صحيحها طغى •

٧ ـ ص ١٧ : « ••• فيما كلوديل ظل ينعم بسجده » ، فصيحها : « •• بينما ظل كلوديل ينعم بمجده » •

٨ ـ ص ١٧ : « اندره جيد ١٩٦٩ ـ ١٩٥١ » الصحيح : « اندره جيد ١٨٦٩-١٩٥١ ـ ولابد من ان يكون الخطأ مطبعيا او راجعا الى السهو •

٩ ـ ص٢١ : « جان كو » صحيحها جان كوكتو ـ والخطأ مطبعي •

١٠ ـ ص ٢٢ : « تخرج من دار المعلمين العليا » ، صحيحها . تخرج في دار •••

١١ ـ ص ٢٢ : « جان بول سارتر التهوع » قد يكون للمترجم وجهة نظر لغوية لدى ترجمته قصة سارتر Nausée بالتهوع • ولكن القصة منقولة الى العربية باسم الغثيان ، وعرفت للقارىء العربي بهذا الاسم ، وكان ممكنا الاحتفاظ به •

مناسب ان يحتفظ المترجم بما صار علما بالعربية لعلم من الكتب الاجنبية من ذلك كتاب « الوجود والعدم » وكتاب « نحو رواية جديدة » ، و «واقعية بلا ضفاف » • فلا موجب للتغيير في عنوان صحيح منها ، فتأتي في كتاب فرنسة اليوم هكذا : « الكينونة والعدم » ص ٢٢ ، « في سبيل رواية جديدة » ص ٥٢ ، « واقعية بدون شواطىء » ـ ص ١٢٤ •

١٢ ـ ص ٢٩ : « لئن كرز مالرو بالالتزام فهو ... » ، الصحيح : « لئن دعا مالرو الى الالتزام ، انه ... »

ولا ندري من اين اتى المترجم بـ كـــــرز ترجمة لـ Precher التي تعني دعا الى ، وعظ . وقد عاد الى كرز مرة اخرى ص ٣٣ . اما الفاء من « فهو » فقد جاءت في غير مكانها لعدم وجود شرط ، واللازم من « لئن » للقسم ، يأتي جوابها من غير فاء كأن نقول « انه » .

١٣ ـ ص ٣٩-٤٠ « ارغون .. كاد يرئس اكاديمية جديدة » ... صحيح يرئس : يرأس بفتح عين الفعل المضارع ، وليس من الصحيح كسر العين كما تفعل الصحافة اللبنانية .

١٤ ـ ص ٤٢ : « جيل سنة ١٩٥٩ » : جيل سنة ١٩٥٠ .

١٥ ـ ص ٥٤ : « افسحت » : فسحت .

١٦ ـ ص ٦٢ : « هل ان التقشف ... » : « هل التقشف » ...

١٧ ـ ص ٧٠ : ورد عنوان قصة لمونترلان مترجما بالفتيان والصحيح انه الفتيات ـ كما ورد على الصفحة ٤٧ .

١٨ ـ ص ٧٢ « الموت بدء » : الموت بدءا .

١٩ ـ ص ١١٥ « الشجاعة الام » : الام شجاعة .

٢٠ ـ ص ١١٦ « بوخت » : برشت .

٢١ ـ ص ١١٧ « المصائر » : المصاير .

٢٢ ـ ص ١٢٢ « ان ... ازدهار المحاولات الاصلية في معظم فروع الفكر .. »

يترجم الدكتور جميل جبر كلمة Essai بالمحاولة ـ شأن عدد من اللبنانيين ـ وهذا غير صحيح ، وغير منتظر منه ، فصحيح ان الكلمة تعني ـ لغة ـ المحاولة ، ولكنها خرجت من الاستعمال اللغوي الى المصطلح الذي

صار عنوانا لنوع ادبي هو المقالة ، وليس معقولا ان نصف « المحاولة » بالازدهار ، او ان ننسب « المحاولات » الى كتاب كبار عرفوا بمزاولة هذا النوع الادبي ولهم فيه مؤلفات •

الصحيح ان نقول : ازدهار المقالات ••

٢٣ ـ ص ١٢٧ « يليل » أول الاسم دال وليس ياء •

٢٤ ـ ص ١٢٧ « موليار » : موليير ـ ولا موجب لاخضاع هذا العلم الى التصرف ، وعجيب ان يكتب البعض في لبنان : كورناي وموليار بدل كورني وموليير وهم العارفون باللغة الفرنسية والادب الفرنسي •

٢٥ ـ يرد في الورقة الاخيرة من الكتاب سرد لاثار مؤلف « كتاب فرنسة اليوم » ، ومما يلاحظ ان اسمه رسم هنا « بيار » بينما ورد على الغلاف بيير ـ وهو الصحيح ، وورد من كتبه اسم « قاموس الادب المعاصر » ترجم الى العربية وصحيح انه ترجم الى العربية ولكن اسمه بالعربية « معجم الادب المعاصر » والمناسب ان نحتفظ بالاسم الذي ترجم به كما هو •

كنا نتمنى لو ان الدكتور جميل جبر ـ وهو الاديب الاستاذ الباحث ـ بذل جهدا اكبر في ضبط الترجمة وصياغة العبارة العربية • ان لبنان تتحمل مسؤولية خاصة في عالم الترجمة •

ان التسهل في أمر الترجمة يضاعف مهمة المترجم ويدعوه الى المتابعة ، ويفتح ازاء العارفين باللغة الاجنبية واجبا جديدا ويجعل « نقد الترجمة » ضرورة اية ضرورة •

١٩ـ١٢ـ١٩٧٥

أصول ترجمة العنوان

أجل ، فكل شيء يدخل دائرة الاجتماع والحضارة تكون له اصول.. وآداب .. ومنهج .. وفن وعلم .. ان شئت .

والقاعدة العلمية في نقل عنوان كتاب من لغة الى لغة ، ان تكون الترجمة أمينة ، قريبة من الاصل قدر الامكان ، ولا عذر للتصرف البعيد ان امكن القرب ، ولا موجب للتغيير والزيادة ان امكن الاحتفاظ بالاصل ـ والا فالمسألة تخرج عن العلم والامانة الى نقائضها من جهل وابتزاز وما الى ذلك .

وقد بدأنا نترجم ..

وترجمنا عددا جيدا من الكتب واحتفظنا بالاصل الى مدى بعيد .

ولكننا لم نلتزم الجادة ، أجل ، ولا نقصد بهذا الى ما احدثت دور النشر اللبنانية الرخيصة وراء الكسب التجاري الحرام مما اصدرت باقلام مجهولة او موهومة او جاهلة .. وانما نقصد الى ما صدر ـ في بيروت أيضـــا ـ عن دور نشر تعد محترمة وباقلام تعد كذلك ، وهذه ظاهرة خطرة يحســن التنبيه عليها وايقافها عند حدها ، وفضحها ان اشتطت أكثر مما يحتمل الصبر .. ومعاتبتها على أي حال ..

ـ مثـــلا ؟

ـ مثلا ، هذا كتاب لنكولن ولسن يترجمه الاستاذ انيس زكي حسن وتصدره « دار الاداب » بعنوان « المعقول واللا معقول في الادب الحديث » سنة ١٩٦٦ وكانت « المودة » « للا معقول » فاشتراه من اشتراه مرة مدفوعا بالمودة ، ومرة بالحرص على فهم دلالة المصطلح الشائع ... واقبل ينظر فيه لعله يجد ضالته ويستزيد شيئا عما يهمه .. وينظر ، فلا يجد ذلك الشيء ولا بعضه والا فأين المسرح ، والمسرح أول ما يتصل باللامعقول ؟ وأين

يونسكو وهو واللا معقول مقترنان ، ثم ما بال بكت لا يحتل من هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته الـ (٢٩٦) غير (٥) صفحات ولم يرد فيها « غودو » الا عرضا ؟ لا ، ليس هذا كتابا في « المعقول واللا معقول » الذي نحن بصدده ، بل ان صاحبه لم يدل على هذا في مقدمته ، وتحدث وكأنه يختص كلامه بالرواية وبسكانها من الخيال والواقع ، والا فما دخل اعلام القصة الحديثة بالمصطلح الشائع ، لم ذهب جل الاهتمام الى من لا يمت « للا معقول » المصطلح بسبب علمي :••• أميل زولا ، فولكنر ، سارتر ، روب غرييه ، ه•ج• ويلز ، غوغول ، موبسان •• كازانتزاكيس » ؟؟

الأولى ان يرد اسم الكتاب هكذا « الخيال والواقع في الرواية الحديثة »

لابد ـ اذا ـ من الشك في ترجمة العنوان • ورويت ما جرى لي من الاستغراب والحدس • فقال عالم بالاصول : ليس « المعقول واللامعقول في الادب الحديث » من عنوان الكتاب : ان العنوان الذي وضعه المؤلف له هو : Strength to Dream

ويمكن ان تكون ترجمته قوة على الحلم او القوة على الحلم •• أو ما اشبه ذلك • وكان من الممكن جدا ان يصدر الكتاب بالعربية بالعنوان الذي اختاره له مؤلفه ، واذا كان لابد من تغيير فليكن قليلا ، لا يبعد بمادة الكتاب عن دلالتها ، فيكون ـ مثلا ـ « الواقع والخيال في الرواية الحديثة » •

أجل ، ان الكتاب لا يتناول « الادب الحديث » في شعره ومسرحه وقصصه •• وانما يتناوله في ناحية منه هي « الرواية » فقط •

واذ صدر الكتاب الى السوق العربية بعنوان لا يدل على المضمون ، امكن للمتأمل في الاسباب ان يقول بأن العنوان الصحيح يمكن ان يكون غير مربح والوقت وقت « مودة » اللا معقول •

ـ عجيب !••

ـ والدار الاخرى محترمة ايضا ، تكاد تكون متخصصة بالنتاج الفرنسي،

ولا بأس فان بنا حاجة الى كل لغة ، ولا بأس في ان يتوزع العمل بشرط حسن النية وحسن التخطيط والامانة والدقة •• وسلامة اللغة العربية لدى التركيب والعرض •• اقول هذا لان الملاحظ ان هذه الدار لا تعنى بسلامة اللغة العربية وجمالها •

وقد اصدرت هذه الدار ـ ونسيت ان اذكر اسمها ـ « دار منشورات عويدات » سنة ١٩٧١ كتابا بعنوان « بحوث في الرواية الجديدة » من تأليف « ميشال بوتور » وترجمة « فريد انطونيوس » والاختلاف بين العنوان الفرنسي والعنوان العربي قليل ولكنه ذو خطر كبير ، لان الترجمة الدقيقة هي « مقالات عن الرواية » : Essais Sur le Roman

او ـ اذا شئنا ان نبقى قريبين من ترجمة الدار ـ « بحوث في الرواية »• فمن اين جاءت الترجمة بكلمة « الجديدة » في العنوان العربي دون ان يكون لها دليل في « العنوان الفرنسي » ؟ حق القارىء ان يعزو ذلك الى ان الدار رأت اهتمام الناس ـ آنذاك ـ بما عرف في فرنسا ، بالرواية الجديدة ، وشيوع المصطلح لدى القارىء العربي شيوع « مودة » ، فهو مستعد ان تقتني الكتاب الذي يحمل عنوان المودة ويفضله على الذي لا يحمله ـ ولا عبرة بعد ذلك بالحقائق ـ انه يردد الان « الرواية الجديدة » ويعرف اسم الان روب گرييه ، وان كتابا لألان روب گرييه ترجم الى العربية ونجح ، عنوانه « نحو رواية جديدة » وفي الكتاب ذكر لميشال بوتور ••

من حق القارىء ان يذهب الى شيء من هذا والى ما هو ابعد منه ، وقد يرتطم ـ من غير قصد ـ بالقصد التجاري ، والا فلو كان وصف «الرواية» « بالجديدة » في صلب الموضوع لكان المؤلف اولى بوضعه •

ثم ان المؤلف نفسه لا يريد ان يحشر في حركة « الرواية الجديدة » والمترجم يعرف ذلك قبل القارىء ، فهو نفسه الذي ترجم في اخر الكتاب سؤالا وجهته اليه « مجلة » جاء فيه « انت تنتمي بحسب حكم الجمهور ، الى « الرواية الحديثة » ـ لم الحديثة وليس الجديدة ؟ ـ فما رأيك في ذلك ؟••»

وهو نفسه الذي ترجم جواب المؤلف «ان لتعبير ـ رواية حديثة ـ معنى تاريخيا واضحا : والامر يتعلق ببعض الروائيين الذين اشتهروا حوالي سنة ١٩٥٦ • ومن الواضح انه كان لهؤلاء الروائيين ، على اختلافهم ، نقاط مشتركة ••• وفي الدروس التي القينها عن فن الرواية الفرنسي في القرن العشرين كنت مجبرا على تقديم الاشياء على هذه الصورة ، وعلى القبول بالانتماء الى « الرواية الحديثة » • الا ان هذا التقارب لم يسمح البتة بايجاد مذهب مشترك ، وقد شعرت طويلا بالانزعاج من نقاد نسبوا الي ، بحجة الرواية الحديثة « نظريات » غريبة عني ، مما ضاعف سوء التفاهم • »

ونأتي نحن لنترجم كتابا لبوتور اصدره بعنوان « مقالات في الرواية » فنجعله « بحوثاً في الرواية الجديدة » فنزيد في مضاعفات سوء التفاهم •

ـ لماذا ؟

ـ وأنا أقول أيضا : لماذا ؟ ان لم يكن الجهل ، ولم يكن قصد المؤلف . فلم يبق الا قصد الجيب ، وأرجو ان اكون مخطئا في هذا •

ـ هل من مثل آخر ؟

ـ خذ ••• ومن الدار نفسها •• ولان نعزو المثل الجديد الى اللعب على الالفاظ اشرف من ان نعزوه الى الجهل ، لان الجهل سيكون فاضحا •

الكتاب هو « النقد الجمالي » تأليف : « اندريه ريشار » وترجمة « هنري زغيب » صدر سنة ١٩٧٤ •

وللفظة « الجمالي » وقع خاص على لسان ادباء اليوم ، ولم يعد القارىء العربي جاهلا بمدلول « النقد الجمالي » اذا سمع المصطلح او استعمله ، وأول ما تذهب به كلمة « النقد » ، الى النقد الادبي ، وأول ما تسير به كلمة « الجمالي » ، الى الوقوف عند الشكل والبحث فيما له من صورة وما لالفاظه من ايقاع ، ويكون « النقد الجمالي » بهذا متميزا عن الانواع الاخرى : العقائدي ، العلمي ، التاريخي ، الانطباعي ••• الخ • وهذه النقود عامة

يزاولها اصحابها على الشعر والقصة والمسرح •• ثم هناك تخصص في النقد ، ولدى النقاد ، فمنهم من يختص بنقد الشعر ، ومنهم من يختص بنقد القصة ، ومنهم من يختص بنقد المسرح • يستدعي هذا التخصص مر الزمن وتعقد الحياة وغزارة النتاج وتعدد الانواع المبدعة ـ كما هو الحال في فرنسا •

ـ فهل يعني كتاب « النقد الجمالي » في منطوق اسمه العربي ما يجب ان يفهم منه : نوعا من انواع النقود المخالفة تقف مهمته عند الشكل او جمال الشكل ؟

ـ لا •• لانه لا يتخذ الادب من شعر وقصة ودرامة موضوعا ، ولا يتخذ من الشكل الخارجي حدا •• بدليل انك تستعرض فصوله كما قدمها المترجم فتراها هكذا : النقد الاستعراضي ، النقد القياسي ، النقد الايديولوجي ، النقد التاريخي ، النقد الشخصي ، النقد الفلسفي » • واذا كان عنوان الكتاب الحقيقي « النقد الجمالي » ، والنقد الجمالي نوع من الانواع • فلم يدرس ـ إذا ـ هذه الانواع كلها ألا يعني ذلك خطأ في التخصيص ؟

وتعود الى الكتاب ثانية فتراه قائما في مادته على الرسم والنحت •• اي ما يسمى بالفن التشكيلي ، فينتفي بذلك ان يكون في النقد الادبي ، كما انتفى ان يكون نوعا واحدا من انواع النقد • انه في خلاصة الفحوى نقد الفن التشكيلي ، واذا ضيقت من مدلول كلمة « الفن » وقصرتها عـــلى التشكيليات او قصرت هذه عليه قلت : « نقد الفن » وبهذا تكون مطابقا لقصد المؤلف وللعنوان الذي اختاره لكتابه : La Critique d'Art

أجل ، ان الترجمة الصحيحة هي « نقد الفن » ، ويمكن ان يكون هذا النقد ـ كما كان فعلا ـ على انواع ، منها الايديولوجي ومنها التاريخي ومنها الفلسفي ، والمؤلف ـ كما ينص صراحة في مقدمته ـ « المعايير » ولا يقف عند معيار واحد ، ولا يدرس هذه المعايير المتعددة المختلفة الا في صلبها بمادة « الفن » ، وكلمة الفن حين تطلق هنا تدل على الخصوص الذي صارت اليه أي المظاهر التشكيلية •

وقدمت « دار النشر » المؤلف بانه « واحد من قلائل يكتبون في الفن ... هو استاذ مبرز في مادتي التاريخ وتاريخ الفن » . وكلمة « الفن » حين تطلق في هذه الحال ، يفهم منها ـ دون جدال ـ الفن التشكيلي ، ولا يذهب الظن الى الادب او الجمال .

ويصل المؤلف الخاتمة فيذكر « بيكاسو » ، ويحاول ان يخص الطبعة العربية بحديث قصير للعرب عن العرب فيذكر لهم « التصاوير والتماثيل » و « الزخرفة » وكتاب بشر فارس « الفكر والزخرفة في الاسلام » .

وكل ذلك يعني ان ترجمة الكتاب الذي الفه « ريشار » « بالنقد الجمالي » خطأ ، وان الاولى ان يترجم بـ « نقد الفن » او « نقد الفن التشكيلي » .. فكما يوجد نقد ادبي ، يوجد نقد فني ، واذا قال الفرنسيون « نقد الفن » لا يذهب ذهنهم الى غير « نقد الفن التشكيلي » ، واذا قالوا « الناقد الفني » Le Critique d'Art لم يذهب تصورهم الى غير ناقد الفنون التشكيلية . اما اذا قلنا « النقد الجمالي » فان ذلك يعني عندهم ـ وعندنا ـ أمرا آخر .

وبعد ...

فان الذي يخطىء في ترجمة عنوان الكتاب جهلا او علما ، لا يستطيع أن يقنع القارىء بصحة ترجمة الكتاب نفسه !

٦ـ٣ـ١٩٧٥

اعادت نشرها جريدة « العلم » المغربية

في ملحقها الثقافي (الاسبوعي)

١٠ فبراير ١٩٧٥

نقـــد الترجمة

سرنا في الترجمة شوطا واذا اسقطنا الغثاء والتجاري الصــرف من اعمالنا ، بقي لنا قدر صالح ، يزداد على الزمن لازدياد توفرنا على اللغةالاجنبية ولازدياد اقتناعنا باهمية الترجمة في كل ميدان •

والترجمة عمل صعب • ونظرة الى الجيد مما ترجمنا ندرك الجهـــد المبذول •• وندرك رغم ذلك ـ ضعفنا هنا او هناك ، مرة في اللغة العربية ومرة في الترجمة •• وهذا يعني ان لا بد من التعاون والتكامل • واوجدنا شيئا حسنا جدا من حيث القصد اليه ، الا وهو المراجعة والمراجع ، فمناسب ـ بل واجب ـ ان يمر الاثر المترجم قبل ان يخرج الى الناس ، على اخر او آخرين للتنبيه على اعوجاج في عبارة وسهو في مصطلح وبعد في تصور معنى وآثار ملل تؤدي الى عجلة • ولكن الذي حدث ـ وهو مؤسف بقدر ما هو منتظر ـ ان استحالت المراجعة تجارة ، بمعنى ان الناشرين ـ من يكونون ـ يضعون اسم المراجع ويختارونه ، في العادة ، لامعا ويدفعون له مبلغا معينا ـ لا بأس به ـ ويقبضه هو ثمنا للاعلان دون مراجعة او جد في المراجعة • بل انك تقرأ احيانا في اسماء المراجعين من لم يكونوا على المستوى اللائق مع العلم باللغة التي يراجع الترجمة عليها •

والمراجعة ـ في صورتها الصحيحة ـ نوع من النقد لانها تجنبنا كثيرا من الضلال ولكن الذي جرى لها في ربوعنا مؤسف لانه يفسد المعــاني ويخرج الامور عن نصابها •

الا اننا ـ على اي حال ـ لم نشترط المراجعة في كل ما نقلنا الى العربية او ننقل ، وبالاشتراط صعب التنفيذ ، ثم ان المراجعة نفسها لا تستغني عن مراجعة اخرى •

اجل ، الترجمة عمل صعب وها نحن أولاء نترجم الكتاب اثر الكتاب ، ونقع في الخطأ تلو الخطأ .. تارة في اللفظ وطورا في المعنى وحينا في الاختيار .. ولابد من تضافر الجهود طلبا للاحسن وحرصا على الحقيقة .. ومن هنا وجب قيام ناقدين متخصصين يتتبعون ما يصدر من ترجمات ويبينون ما فيها من جودة ورداءة بعد ان يرجعوا الى الاصل الذي نقل الاثر عنه ويقابلوا وينشروا ما عثروا عليه ليخدموا القاريء ويفيدوا المترجم في طبعة تالية او في ترجمة اخرى .. وليبذل المترجم جهدا اكبر في ترجماته خوفا وحذرا لانه يعمل وعلى رأسه رقيب فيزيد من أناته ولا يلقى بالورق الى المطبعة ما لم يستنفد اقصى ما لديه من طاقة وعلم ، والتخصص بالترجمة او نقدها لا يعني – ابدا – معرفة اللغة وحدها ، وانما يشترط مع اللغة العلم بالمادة المترجمة وألفة الميدان الذي يجول فيه المترجم ..

اقول هذا .. وبين يديّ كتاب من منشورات عويدات عنوانه « الرومنطيقية في الادب الفرنسي » تأليف ف.ل سولنيه وترجمة احمد دمشقية والمترجم يعرف اللغة الفرنسية التي ينقل عنها ، وانه بذل جهدا ملحوظا ، ومع هذا يمكن للمتتبع ان يلاحظ انه قد يزيد كلمة لا موجب لها كما في قوله (ص٣٥) « معركة الاسلوب والشكل » ولا يوجد في الاصل الا كلمة « الاسلوب » Style أو قد يترجم كلمة ترجمة حرفية لا تدل على مصطلحها كأن يقول (في الصفحة نفسها) في حديث عن احد الادباء : « لم يكتب .. اقل من مائة وعشرين قطعة » Pièce وهو يريد بقطعة : مسرحية . او يترجم كلمة بغير معناها فيقول (ص ١٩٥) « حملة » بدل استفتاء (او استقصاء) Enquête او يتصرف بالمعاني بما يخرجها عن دلالتها فيقول (ص١١٨) « المسرح العقائدي » والمقصود المسرح ذو المغزى الاجتماعي أو الاخلاقي à thèse ولا مجال للعقائدي – أو العقائد – فيه . ويترجم كلمة واحدة ترد اكثر من مرة بترجمتين مختلفتين لم يقصد المؤلف فيها الى هذا الاختلاف الذي قد يؤدي الى تغيير المعنى . والمناسب التزام ترجمة واحدة طبقا للاصول وحرصا على الدلالة . ففي ص ٩٢ ترجم عنوان

قصة لبالزاك باسم « السوسن » وترجمها نفسها في الصفحة نفسها باسم « الزنبقة » ثم عاد في الصفحة التالية الى « السوسن » والواجب التقيد بترجمة واحدة لان الاصل واحد Lys

وترجم عنوانا لقصة من قصص زولا (ص١٤٤) : بطن باريس وص١٦٤، قلب باريس ـ والاولى هي الصحيحة Ventre ، ويقول (ص ١٤١) الطبيعية ولكنه يقول في صفحة (أو صفحات تالية) الطبيعيات (ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦) ـ والاولى هي الصحيحة Naturalisme وترد كلمة Conversion في موضع (ص١٦٣) مترجمة بالارتداد (الى الكثلكة) وفي موضع (ص١٧١): اعتناق (الكثلكة) والمعنيان متقاربان ومؤديان للفظ الفرنسي ، وان كان الاولى التزام واحد منهما ، ولكنه يترجم المرتدين الى الكاثوليكية (ومعتنقيها) ص ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ بالصابئين . ونحن نعلم أن الصابئية مصطلح لديانة بعينها ، ولا موجب لذلك. ثم ان المعنى اللغوي لصبأ وصابئين : خرج وخرجين أي خرج عن الكاثوليكية ، وخارجين عنها الى غيرها ، وقد يؤدي ـ وقد أدى ـ استعمالنا لها الى عكس المعنى المطلوب ، لان الادباء المقصودين لم يكونوا خارجين عن الكاثوليكية وانما كانوا عائدين اليها ، داخلين فيها .

ويحمل المترجم ، في اماكن مختلفة ، أحكام المؤلف اكثر مما تحتمل ، فاذا قال المؤلف يعرف هنري رينيه انه : « روائي .. وناقد مجيد ، وشاعر قبل كل شيء» قال المترجم يعتبر.. «الروائي والناقد الفذ ، شاعرا في الدرجة الاولى» ولا يمكن في اية حال ان تعنى Critique de qualité الناقد الفذ ـ تنظر ص ١٨٧ ، واذا قال المؤلف عن ديوان انه احد الكتب الاكثر امتاعا في الشعر الفرنسي الحديث ـ قال المترجم (ص ١٩٠) : هو الطف والذ كتاب في الشعر الفرنسي الحديث ـ والفرق بين ، ولا يمكن ان يعنى قول المؤلف ... ..L'un des ما ذهب اليه المترجم .

وهناك مسائل تحتاج الى علم خارج العلم باللغة ، من ذلك ماجاء على ص١٤٦ : « موباسان •• في عرض كتابه امسيات مدان » ، والصحيح : « موباسان ••• في تقديم امسيات مدان » • ومعلوم ان « امسيات مدان » ليست من تأليف موباسان وانما هو مجموع قصصي اشترك في تأليفه عدة مؤلفين يجمعهم المذهب الطبيعي الذي يتزعمه زولا — وموباسان احدهم — هذا الى ان الاصل لا يحتوي على ضمير ، يعيد الامسيات الى موباسان •

وجاء على ص ١٦٦ عنوان كتاب لاناتول فرانس « حديقة ابوقراط » والصحيح « حديقة ابيقور » : ..Jardin d'Epicure وجاء على ص١٥٠ من هذا ان بودلير عرض نظريته في مكانين وان له ـ لذلك ـ قصيدتين ، وهذا ما لم يدل عليه كلام المؤلف اذ قال : « بودلير في نظريته عن المراسلات وعن « غابة الرموز » ومعلوم ان النظريتين جاءتا في قصيدة واحدة هي « المراسلات » Correspondances وقد يكون المفضل ان تترجم بالعلاقات •

ثم ان المترجم جعل ص ٧٨ من الشاعرة شاعرا فقال : « يستحق مارسيلين ديبورد فالمرور •• التقدير والاحترام لصدق لهجته •• » والصحيح « تستحق مارسلين ديبور ڤالمور •• التقدير والاحترام لصدق لهجتها » •

ومارسلين ديبور ڤالمور هذه شاعرة مشهورة احتلت — لما نشرت من دواوين رقيقة حزينة باكية ـ مكانا مرموقا في الرومانتيكية ، وقد اعجب بها كبار الرومانتيكيين وعلى رأسهم لامرتين وڤيني وهيگو وسنت — بيف ، فهي في اعلى الدرجات من التجسيد النسائي للرومانتيكية ، وقد الف عنها سنت ـ بيف كتابا ، كما الف اخرون •

وفي الكتاب المترجم اشياء أخرى يمكن ان يقف عندها الناقد وينبه اليها ، ولكن المسألة هنا ، مسألة الامثلة والدلالة على الحاجة الى نقد الترجمة حتى في كتاب نقله مترجم محترم ونشرته دار محترمة ، وعلى ان هذا الذي وقع للاستاذ احمد دمشقية ممكن ان يقع لغيره • ولا نريد ان يبقى الخطأ كما هو وان يتحمل القارىء عبء الخطأ •

٢ـ٤ـ١٩٧٥



لمه
بلا
فيو

از
الم
اا

ا

من شؤون النقـد

النقد الادبي العربي في العصر الحديث ابن النقد الادبي الغربي الحديث. مصطلحاتنا مصطلحاتهم ، مرة مترجمة ومرة باقية كما هي لديهم ومرة مشوهة ، بل ان كلمة « النقد الادبي » نفسها غربية ، فلم يعرف العرب هذه اللفظة المركبة ، وقد اخذها عصرنا الحديث عن الفرنسية La Critique Littéraire او الانكليزية The Literary criticism واذا قلنا نقدا فقط فانما نقولها كما يفعل الفرنسيون او الانكليز .

والسبب ان «النقد» عندالعرب لم يكن ــ لدى التحقيق ــ علما من علومهم المعترف بها، وانه ماكاد يودع القرن الخامس ــ او السادس ــ للهجرة حتى استحال بلاغة فقط ، ثم جمدت البلاغة واحترقت ... ولم تصل الى عصرنا بما يجد فيها العصر الحديث ما يسد حاجته .

حتى اذا جاء الغرب وذهبنا اليه ولد النقد الادبي الحديث ، ولا غرو ان عددت من اوائل المهتمين بالنقد ومن مثيري قضاياه العقاد ، ميخائيل نعيمة، المازني ، طه حسين ، ابو شادي .. فقد اتصل هؤلاء اتصالا وثيقا بالثقافة الغربية وبالنقد الادبي ، وانك اذ تقرأ « الغربال » او « الديــوان » او « ابولو » أو « في الادب الجاهلي » .. لا تقرأ ماضيا عربيا ولكنك تقرأ الغرب في حاضره او ماضيه القريب .. ولم يكن المرصفي صاحب «الوسيلة» ـ بحال من الاحوال ـ رائدا للنقد الحديث ..

ولابد من اضافة « سلامة موسى » ... حتى كان ما كان من امر الدكتور محمد مندور منذ مقالاته في « الثقافة » وكتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة والأثر « في الأدب والنقد » ... وتسير القافلة ... وتكون الترجمة الى العربية منطلقة من العمل القيّم الذي قدمه الى العربية الدكتور محمد عوض محمد « قواعد النقد الادبي » لابر كرومبي وتمضي الأمور من حسن الى احسن حتى تهيأ له من نقد الغرب قدر صالح .

وتكون الكليات ، ودخول النقد الادبي الغربي في مناهج اقسام اللغة العربية •• واللغات الاجنبية •

وكان لابد من الالتفات الى الماضي العربي ، فان فيه من الصفحات النقدية ومن الاثار والاراء مايمكن ان يكون شيئا ذا بال اذا استنرنا بما للغرب من نقد وتاريخ وتأليف في التاريخ النقدي •• وهكذا •• كان « تاريخ النقد الادبي عند العرب » ولا غرو أن كان كتاب طه أحمد ابراهيم (١٩٣٧) أول كتاب ، فقد درس هذا الرجل النقد الادبي في فرنسا ، وكان من حسن حظ النقد الادبي عند العرب ان يضع حجر الاساس في بناء تاريخه اديب ذواقة بحاثة كطه أحمد ابراهيم ••

اذا قيل لك ان مؤلفا عمل شيئا من لا شيء وذكر طه احمد ابراهيم فصدق دون تردد ، أجل فطه احمد ابراهيم عظيم نادر الوجود بين مؤلفينا •• واني مدين له بالكثير الكثير ••• ولم يكن مرد هذا الدين اني قرأت كتابه أكثر من مرة فأفدت منه وافدت •• فهذا قليل من كثير وانما لاني هممت مرات ، ومنذ ١٩٤٢ ان افيه حقه من الاعظام واعرب عما يسلؤني ازاءه من الاعجاب والحب •• فما استطعت ان ابلغ مرادي ••• ولن اياس •

ثم توالت كتب اخرى •• كالنقد المنهجي عند العرب للدكتور مندور ، طه الحاجري ، محمد زغلول سلام ، احمد احمد بدوي ، عزالدين اسماعيل •• احسان عباس ••

ويفيد من كتاب طه احمد ابراهيم كل من يؤلف في الموضوع او يدرسه •• ولكن نسب الامانة في دلائل الافادة والاشارة تختلف من واحد لاخر •• وان كانت في أحسن حالاتها اقل مما يقتضي الانصاف ••

ودخل الميدان من لم يكن من اهله •• ولم تجهزه الطبيعة بالذوق والشخصية ••

وبذلت مصر جهدا خاصا لاحياء البلاغة العربية ، ولكن الجهد جاء في

غير مكانه واوانه ، لقد سبق السيف العذل ••• وقد ماتت البلاغة في الغرب ••• ويصعب ان تحيا في الشرق ، وذهبت جهود أمين الخولي في « فن القول » وغيره هباء على ما للخولي من ذكاء ، لقد اراد ان يهييء للبلاغة العربية ما تهيأ للبلاغة الايطالية فاستعان بكتاب « في الاسلوب » او كتابين وكأنه اراد ان يجعل منها نقدا •• فما استطاع ••• واتخذ الزيات « الدفاع عن البلاغة » قاعدة فما ارتفع الا قليلا ، وهو رجل اقرب الى القديم منه الى الجديد ، وادخل في الضيق منه في السعة •

وسعى منهج الدراسة الثانوية الذي وضعته مصر في « منهج الوحدة الثقافية » الى تجديد البلاغة ولكنه اذ جعل الكتب المقررة خلطا •• واذ لم يهييء اليد القوية والظرف المناسب •• اخفق في القصد والسعي •• ولابد من ان يأتي يوم قريب يعترف بالاخفاق ويغير من طرائق الاجتهاد •

واذ كانت طلائع هذه الخطوات ـ ونقائضها ـ تظهر في مصر •• واحيانا في لبنان •• لم يكن منه شيء يذكر في العراق ، واذا كان فلا يتعدى التلقي والتصرف قليلا وقبيحا في أكثر الحالات ، وقد يكون السبب ، ان المتلقين او المتصرفين لم يكونوا على حظ مناسب من العلم بالنقد الاجنبي وبالبلاغة الاجنبية ، وان يكون لهم حظ من شيء ، ولم يكن لهم حظوظ من اشياء اخرى ••• ولابد من ان يخرج العراق عن هذه المرحلة الى التجويد والتميز •• وبدت في الجو بشائر وفي مسألة الدراسة الثانوية نجح العراق في ان يحول دون الخلط الذي اكتنف الكتب العربية التي الفت في « هدى » « الوحدة الثقافية » فحشرت موضوعا في البلاغة الى جوار موضوع في النقد ، وموضوعا في الجناس الى جوار القصة القصيرة ، واللغز والتورية مع المسرحية والمقالة ••• فقد فصلنا بين البلاغة والنقد فصلا تاما ••• وكان هذا اضعف الايمان والا فالواجب الغاء البلاغة واذابتها في تضاعيف النقد الادبي •• لانها جزء طبيعي منه •

وليس النقد الادبي تاريخا فقط ، وليس قضايا ونظريات فقط ، وانما

هو عمل وتطبيق وكان مجال العرب القدماء محدودا في هذا الميدان ، لانهم لم يعرفوا الا نوعا واحدا من الشعر هو الغنائي (او الوجداني او الذاتي) وقد قالوا اشياء محترمة في مجال شعرهم ووقفوا وقفات صالحة في الحكم الشخصي القائم على الذوق الفردي ، او الحكم الملتزم بعقيدة ، او المرتبط بالعلم اللغوي والبلاغي ... وفي التصنيف والموازنة . وللمرء ان ينظر في كتاب طه احمد ابراهيم ليرى فضلهم او ينظر هنا وهناك فيما خلفوا من كتب كطبقات الشعراء والاغاني والموازنة والوساطة ... ولكنهم كادوا يحصرون عنايتهم بالجزئي ، وقلما خرجوا عن الشعر الى النثر .

ولو عرفوا انواعا اخرى من الانشاء الادبي كالملحمة والمسرحية والقصة ... لقال ناقدهم رأيا هنا واصدر حكما هناك .. ولوسع من دائرة الادب ... ووسع من افق التصنيف .. وغار على اسرار ابعد .

واذ لم يكن لهم شيء من هذه الانواع التي عرفها الغرب (والشرق احيانا) كان تطبيقهم ضيقا شأن نظريتهم .

والمت الحضارة العربية ـ بشكل واخر ـ باراء ارسطو في « الشعر » و « الخطابة » بل انها حاولت ان تترجم .. ولكنها اذ حاولت ، وقعت في حيرة ، فماذا عسى ان ينقل مترجم من كتابي ارسطو الى لغة ليس فيها ملحمة ومسرحية وعن « خطابة » غير خطابته .. واذا علمنا ان الذين طرقوا هذا الباب لم يكونوا من أهل الذوق الادبي والاهتمام الادبي عرفنا اي مجال محدود جالت فيه المعلومات المنقولة الى لغة تكاد تكون غير عربية .. وليست المسألة مسألة منافسة وجدال لاننا نملك ما نقله ابو بشر متي بن يونس القنائي ، والفارابي وابن سينا وابن رشد .. ولك ان تقابل ما فعله هؤلاء بترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي لترى الفرق ولترى نفع القرب من الادب الغربي في مثل هذا الباب .

ويبدو الابتسار على ما اخذه العرب من الاغريق (والرومان) واضحا في تشبثهم بالمنطق ، وبلغ الابتسار والجفاف قمتيهما فيما الت اليه البلاغة

العربية لدى السكاكي مرة ، وفي كتاب « منهاج البلغاء وسراج الادباء » لحازم القرطاجني مرة .. فاذا اعترفنا بان هذه « بلاغة » ، فأين النقد ؟ واذا قلت : هذا نقد . قلنا : فأين الادب ؟!

اننا نجد النقد العربي خارج كتب البلاغة .. نجده في كتب الادب وفيما تناثر منه في هذه الكتب : البيان والتبيين ، الحيوان ، الاغـــاني .. وفيما يمكن ان نعده من كتب النقد : طبقات الشعراء ، عيار الشعر ، الموازنة، الوساطة .. ولا شك في اننا واجدون شيئا ، والا لما امكننا ان نؤلف كتبا حديثة محترمة في تاريخ هذه المادة ابتداء بطه أحمد ابراهيم وانتهاء ـ دون انتهاء ـ بالدكتور احسان عباس ـ وقد استطاع ان يوسع الدائرة . ولكن الذي حدث ان هذا النقد ادى دورا في مرحلة متقدمة وفي نطاق محدود من دنيا الادب .. ثم جمد ونام مع جمود العرب ونومهم ..

على حين جد الغرب واجتهد .. ووجد ـ مبكرا ـ في تنوع ادبه مجالا خصبا للسعة والعمق ... واذا كانت قواعد ارسطو قد قيدته قرونا فانه يتفلت من اسرها واسر شراحها والمتزمتين في ادعاء فهمها منذ اواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر ثم القت الرومانتيكية بثقلها على تلك القواعد حتى باتت هباء .. وصارت محط السخرية .. وهنا ، هنا في القرن التاسع عشر ، وفي أواسطه على وجه الخصوص ذاق النقد طعم الاستقلال ، وصار على يد قوية مثل يد سنت بيف نوعا من الانواع .

واذا كان النقد الغربي ـ بالمعنى الصحيح ـ قد ولد في القرن التاسع عشر ، فليس غريبا ان يولد نقدنا متأخرا عنه .. متأثرا به .. في القـــرن العشرين ـ ان شئت . قلت متأثرا ... والمسألة اكثر من تأثر .

اطلعنا على اثار الغرب في القصة والشعر والمسرحية والملحمة .. واطلعنا على آثاره في النقد نظرية وتطبيقا ، فأخذنا من كل بقدر ، مباشرة وغير مباشرة، مما كان بلغته أو مما نقل الى لغتنا فكان ذلك الاساس المتين لنقدنا الحديث .. واذ كتبنا القصة والمسرحية .. والمقالة .. وادخلنا في شعرنا نسغا جديدا

من العاطفة والخيال والفكر .. توطد الاساس فكان لنا نقد تطبيقي على النصوص .. ونظري في اذاعة هذه الدعوة او تلك مما سبقنا الغرب اليه .. ووجدنا في الجرائد والمجلات ـ في مصر ولبنان ـ اداة طبيعية للاذاعة .. واتضح على وجه لا يقبل الجدل ان النقد الغربي هو النقد .. ولم يقف للجدال الا متعصب يقوم تعصبه على الجهل والقصور عن التعلم .. وهذا طبيعي في الاشياء .. ولكنه لا يلبث طويلا .. فما قيمة اراء الرافعي مثلا ازاء اراء طه حسين او العقاد .. وما نصيب من يقول : لا حاجة لنا بنقد الغرب ، لان النقد ـ كل النقد ـ موجود في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ؟!.

نعم .. لنا آثار في النقد الادبي .. سدت مسد الفاعل يوما .. ولكنها توقفت عن العطاء ، وضعفت في النقود .. واننا لا نستغني عن الحي منها .. ثم لم هذا التعصب للقديم لانه قديم او لاننا قاصرون ... اذا كان خلاف طبيعة الاشياء .. وان ابن طباطبا نفسه لو كان حيا فينا لغير ووسع وطور .. بل ان الغرب نفسه لا يعير قديمه هذا الذي يريده لقديمنا فلان وفلان ممن سلفت صفاتهم العقلية .

١٩٧٤-٥-٢١

من شؤون النقد في البلاد العربية

من البديهيات أن الحضارة اخذ وعطاء ••• وكل ما يبقى في الامــر الحكمة في الاخذ والعطاء ، ولا يقابل الباطل بالبـــاطل والجاهلية القديمة بالجاهلية الجديدة •

اننا في نقدنا الحديث تلاميذ للغرب ، وليس عيبا ان يكون المرء تلميذا لاستاذ قدير سبقه في التجربة ، وانما العيب ان ننكر الحقيقة وان تطول مدة التلمذة وان يشوه التلميذ آثار الاستاذ •••

وكان لنا المعترفون ، النجباء الذين احسنوا التصرف •• وكان لنـــا الاخرون •• وهؤلاء الاخرون اصناف ، انزوى منها النصف المكابر الذي رأى في القديم غنية ـ أية غنية عن الجديد ـ لانه كان يحارب من غير عناد ويتعاظم عن نقص •• ولكنه اذ انزوى خلف من لا يقل عنه سوءا •• خلف قومـــا زاولوا النقد على الاسس الغربية دون ان تكون لهم العدة او الأداة من هذه الاسس بل لقد بلغت بهم الجرأة ان تصدوا للتأليف فيها حتى صارت لدينا مجموعة من كتب النقد الادبي الغربي مخجلة •• واننا اذا لم نعاتب احمد الشايب او سيد قطب •• أو أحمد أمين •• فاننا نعاتب القراء •• وعددا من الاساتذة الذين تصدوا لتدريس النقد الادبي الغربي معولين على فلان وفلان من المجموعة •• ماذا يمكن ان نقول اذا رأينا الكتاب من هذه الكتب يطبع ويعاد طبعه •• مرتين وثلاثا •• وسبعا •• وما زالت الطبعات تتـوالى •• وحسبك ان تتولى لبنان اعادة الطبع بعد ان كان المصدر الاول القاهرة !

اقل ما يدل عليه هذا •• اضطراب المقاييس في مجتمعنا الادبي ، ورواج الادعاء ، والجبن عن ان نقول للمسيء اسأت ••

ولا يمكن ان تدوم مدرسة الشايب في التأليف النقدي قوية •• ولكنها

لا تعدم من يواصل تقاليدها في التدريس الجامعي .. وهذا فظيع ولكنه قائم .. فالذين تعجبهم انفسهم موجودون ، واذ تعجبهم ، تسول لهم ان يتولوا تدريس النقد الادبي الغربي ـ دون عدة او عتاد ـ وتمكنهم اساليبهم من تحقيق المآرب حتى مع وجود الفاضل ، والمؤهل .. ويبدأون يدرسون على ما يضحك الصبية ثم يجمعون شتات ما سموه محاضرات في كتاب .. يفرضونه على الطلبة فيشتريه هؤلاء وهم يعلمون مقدار خسارتهم ولكنهم تعلموا ان الغاية تبرر الواسطة .. ولا بد لهم من النجاح بأية وسيلة وعلى أي حساب ..

وغالب اقطاب هذه المدرسة من الاساتذة ابناء جيل مضى .. وانمـــا الخشية في أن يوجد في الجيل اللاحق من هو على شاكلتهم ..

هذا في الجامعة .. والمسألة مسألة خشية وترقب .. اما في الميدان الاوسع .. في الجرائد والمجلات والكتب .. والنوادي والمحاضرات .. فقد خرج الامر من التوقع الى الواقع .. لقد تكلم أمس طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل وميخائيل نعيمة والزيات .. عن علم . اما اليوم فاننا نصول ونجول من غير علم .. ولم العلم اذا وجد الادعاء ؟ ولم الحقيقة اذا جاز الزيف ؟ ولم التعب اذا امكنت الراحة ؟

تجد في الميدان من لا يملك اوليات الفروسية ولكنه ولا عنترة . ألـم يوجد دون كيشوت ؟

انهم يصدرون الاحكام اعتباطا ويخوضون في المادة الدقيقة التي ليست لهم وكأنها ولدت على ايديهم ..

هذه هي البلية المعاصرة .. ويزيد في شدتها ان يجد هؤلاء سوقا .. ولا يخفف من وقعها الا انك تقرأ احيانا هنا وهناك اقلاما على حظ من الاتزان في الاخذ والعطاء .. ولكن كم تدوم هذه الاقلام في المقاومة ..؟ لتكن المدة قصيرة ، ولكن المستقبل ـ قرب أم بعد ـ للحقيقة والاتزان ، ولسنا بدعا في التاريخ .. واذا لم تولد الحقيقة فقد يولد الذوق ، واذا ولد الذوق فرض نفسه على كثير من الاشياء .. ولا تنس ان مشكلتنا ـ في اهم اسسها ـ

ليست وجود النقد او عدمه بقدر ما هي مشكلة وجود النقد المستند على الذوق ..

وما يقال ـ وقيل ـ عن النقد الادبي من مجاله الضيق ـ او الصرف ـ أي معالجة المعاصرين للاثار المعاصرة تطبيقا وللاراء نظرية .. يقال عن مجاله الواسع وامتداداته الى انواع اخرى من الادب التعليمي ..

فتاريخ الادب مادة حديثة اخذناها عن الغرب .. وقد قطعنا فيه اشواطا حسنة في العموم والخصوص ، في التأليف عن عصر او عن علم او عن ظاهرة .. وكانت مصر البادئة في التجويد ، وعقد الاجماع على اهمية كتاب طه حسين في « ذكرى أبي العلاء » وطه حسين ـ وغيره ـ في ذلك تلامذة للغرب .. وللمستشرقين بوجه خاص .

وكان تاريخ الادب موضوعا مهما في الجامعة .. ووجد الباحثون في التراث العربي ـ في نصوصه واخباره واحكامه ـ مادة تنفع وتعين ...

أجل ، فـ « تاريخ الادب » ـ كما هو ـ نوع غربي انتقل الينا .. واذا كان لنا منه في الماضي مادة ، فهي المادة الخام .. اما المنهج فهو غربي .. ويكفي ان نعلم ان اسم « تاريخ الادب » لم يكن يوما مصطلحا عربيا ولم يعد فيما عدّ الاوائل من علوم ..

ثم تعددت الكليات .. والدراسات .. وكتبت مصر في تاريخ الادب كثيرا ، وشهدت كلياتها مئات الرسائل ، وفيها المهم ، الا ان المؤسف ان يكون فيها كثير هزيل ، وان يكون الجيد جدا ـ فضلا عن الممتاز حقيقة ـ قليل جدا .. كنت اتمنى ان تلزم مصر حدود مقتضيات المنهج الغربي في اختيار الموضوع وجمع مادته وعرضه .. ولكنها لم تفعل ذلك .. وكنت اتمنى أن أجد لمثل كتاب الدكتور يوسف خليف عن « الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي » اندادا كثيرة ..

وبرز الدكتور احسان عباس في تاريخ الادب ، واعماله في الادب الاندلسي شاهدة على ذلك .. ومع ان الاساس الذي قام عليه كتابه عن

ابي حيان التوحيدي » بحث عمله وهو طالب ليسانس ، الا انه لم يستطع احد بعده ان يقترب من نفس ابي حيان كما اقترب ، على كثرة من تحدث عن ابي حيان وادعى العلم به .. اما كتابه عن « الشريف الرضي » فهو - الى الان - خير ما الف عن الشريف ، على كثرة الكاتبين والمعجبين ...

وانما المؤسف - في حالة الدكتور احسان عباس - ان تحول كثرة اشغاله وتعدد مشاريعه دون ان يسنح نفسه كاملة .. وان تؤدي الى التـــــوزع والانشطار ..

و « الادب المقارن » نوع غربي مئة بالمئة . وقد احسنا اذ ترجمنا كتاب فان تيكم . ولكننا لم نحسن إذ تجرأنا على التأليف دون فقه لاسس هذا النوع ومستلزماته .. وكنا في غنى عن ذلك لولا رنين الادعاء .. واذا كان العقيقي ممن يعاتب .. فان ريمون طحان أكثر عرضة للعتاب .. وقد مضى الدكتور محمد غنيمي هلال قبل اوانه ..

وقد قلنا كلمة في هزال من الف - ويؤلف - في « النقد الادبي الغربي » : اصوله وقواعده وتاريخه .. وذكرنا بالاحترام كتاب الدكتور مندور « في الادب والنقد » ولدينا غيره - بعده - كتب يمكن ان نذكر منها كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال ...

وقد نكون الى الترجمة عن الغرب احوج منا الى التأليف .. وهذا حاصل وتقدمت الترجمة - اذا تجاهلنا الترجمات التجارية - وصار لدينا فيها مادة صالحة ..

واذكر بالخير آخر مترجم قرأت له الاستاذ محي الدين صبحي .. في « مقالة في النقد » .. والحقيقة ان الاهتمام الذي تبديه سوريا في ميدان الترجمة جدير بالتقدير .. وهو يؤيد بالطبع الاهتمام المصري .. وتصدر عن لبنان اشياء جديدة الا أن كثيرا من هذا الجيد يذهب ضحية للرداءة في غيره .. ان لبنان معد - لغويا - أكثر من غيره للترجمة .. ولكن وجود من يترجم

مستأجراً (بفتح الجيم) ، ووجود من يترجم مستأجرا (بكسر الجيم) يضيع علينا الحقيقة ويجعلنا تتشكك في أن يكون هذا الاسم المثبت على الغلاف هو الفاعل الاول ••• لاسيما اذا تكرر هذا الاسم مرات يصعب معها التصديق ولا سيما اذا كانت لهذا الاسم « مشاغل » متعددة متنوعة •••

وقد وقع كتاب « النقد الادبي في فرنسا » فريسة بيد جورج سعد يونس •• ولكن « عويدات » انتشلته •••

قلت لبنان معد لغويا ، وقصدت الى وفرة من يعرف لغات اجنبية فيه ولكن معرفة اللغة الاجنبية شيء وترجمة مادة علمية او فكرية شيء آخر •• ثم ان عددا لا بأس به من المترجمين اللبنانيين يحتاج الى التمكن ـ النسبي ـ من اللغة العربية ••

واذا كانت القصة بالنسبة للغربي تعني قصة فقط ، والمسرحية مسرحية فقط •• فان القصة المترجمة والمسرحية المترجمة •• وتاريخ الادب المترجم يعني لدينا مادة للنقد الادبي •• واذا كنا قد ترجمنا عن الفرنسية والانكليزية والروسية •• فعلينا ان نسير غدا في الطريق •• والترجمة عن اللغات الاخرى والامم الاخرى ••

٢٢-٥-١٩٧٤

النقد الأدبي في العراق ـ عن الريادة

تأخر اتصالنا بالغرب فتأخر لدينا ميلاد النقد الحديث • وأطلت مصر ولبنان علينا بكتبهما ومجلاتهما (ولا سيما المقتطف) فكان تنبه وتبدل وشيء من قديم وجديد واختلف الشعر عما قبله غرضا بمعالجته السياسة والاجتماع ، وصياغة بابتعاده عن بقايا التزويق اللفظي وقربه من سمات الانسياب ••

وتنظر فترى قراءة للعقاد وطه حسين هنا ، وقراءة لميخائيل نعيمة وأمين الريحاني هناك ••• ولا ترى ما يشبه ذلك لقلم عراقي فتفهم ان لم يكن لنا نقد •

وتعود الى الجرائد والمجلات ومقدمات الدواوين وأبيات من الدواوين تبحث عما يكون لنا من نقد حديث • وقد تسمي ماتعثر به للكرملي والزهاوي والرصافي •• نقدا حديثا • وقد تقول ماهكذا النقد الحديث وليست هذه مقدمته الصحيحة • انها عود غير حميد الى الماضي ؛ ومؤاخذت لغوية وخطرات عابرة ، ولأمر ما ثارت الحزازات الشخصية ، وكان معنى « الانتقاد » بيان العيوب •• وكان الكرملي على الغاية من الخوف ـ ولا اقول الحذر ـ اذ قدم للباب الذي فتحه في مجلته باسم « المشارفة والانتقاد » وكأنه يطلب تعهدا خطيا من الاديب يأذن له فيه بأن يقول له اخطأت باللفظة الفلانية ، وقلت كذا وكان عليك ان تقول كذا •••

لو كان الكرملي غير الكرملي لكان للنقد شأن اخر ، ولكنه لم يزد على « ملا » يعرف لغات ، وخطرات الزهاوي التي ساقها شعرا ونثرا مقبولة في بابها ، ولكنه لا يبدو في تبنيها حسن النية ، وكنا نتمنى لو بدأ بنفسه فحملته خطراته على الاقلاع عن الشعر او الاقلال منه في أدنى تقدير •

نجد سمات من المقدمة الصحيحة للنقد بمعنى الريادة لدى محمود احمد (السيد) واذا كان الامر كذلك لم تعد محدودة بالشعر ، فقد تناولت القصة تناولا حسنا ، ولم تكن آراء متناثرة واحكاما عامة وتصحيحات لغوية ، وانما صرت تراها عرضا نظريا او عمليا في مقالة مكتملة . لقد نقد محمود احمد قصصا عراقية ومصرية ، وتحدث عن فن القصة في صحافة عراقية وصحافة سورية .. وتناول الشعر منطلقا من قاعدة ...

ساعده على ذلك اتصاله الحسن بالثقافة المصرية والادباء المصريين وقد بدأ يتوطد الفن القصصي فكانت الدعوة الى التمصير وكان محمود تيمور ، وساعده اتصاله الحسن بالثقافة التركية وقد نقل اليها المهم من الادب القصصي الروسي والفرنسي وغيرهما ... فكانت بذلك نافذة اوسع من نافذة الآخرين، ثم كانت – قبل ذلك وخلاله – صلته الوثيقة بحسين الرحال ، وقد عاد من أوربة يحمل الفكر التقدمي آنذاك وتقديرا بالغا للفن القصصي ، فكان عام ١٩٢٠ فاصلا في كيان محمود احمد ..

كان محمود احمد رائدا للقصة العراقية ... ورائدا للنقد الحديث ، ولو قدر له ان يمتلك اللغة الغربية مباشرة لكان اكثر من رائد ، ولكنه لم يستطع ان يهيىء لنفسه هذا الاتصال المباشر حتى استحال عقدة فيه لا يخفف من حدتها الا نهم المطالعة لما ترجم الى العربية والتركية من اراء ونصوص وما كتب متأثرا بهذه الاراء والنصوص .

– انه – في نقده – تجددي تطوري واقعي شعبي ، ضـــد الاستغلال والاستعباد ، مع المضطهدين والساعين الى تصوير آلام الشعب العاملين على اعادة حقوقه . وقد أعرب عن ذلك بثورته على الروايات الخيالية – بما فيها رواياته الثلاث الاولى – وبتلخيصه لروايات من تولستوي وباعظامه لتورگنيف ودستويفسكي وتشيكوف .. وزولا .. وبحديثه عن احرار الاتراك ونقله من آثـــارهم ..

وله في نقد القصة كلمات مهمة تعدت الخطرات الى القواعد وخرجت من

التعميم الى تحديد المصطلحات ، ويمكن ان يجمع ـ اليوم ـ هذا التراث وينشر في كراس مستقل فيراه الرائي حيا جديرا بالتقدير •• من ذلك دعوته الى أن يكون القصص شعبيا «غايته تصوير الحياة الشعبية لتظهر للعيان الجوانب الكاملة والناقصة التي يسعى المصلحون الى اصلاحها (مجلة الحديث العراقية ، مايس ١٩٢٨) • ومنها مقالته في تحديد مدلول القصة الصغيرة وسماتها (في مجلة الحديث الحلبية ، شباط ١٩٣٠) ، ومنها مقالته « فجر القصة في العراق» وقد نبه الى مكانها (جريدة البلاد ، ٣٠ حزيران) ونوه بمكانتها الأستاذ عبدالاله احمد وقال ـ بحق ـ : « يمكن اعتبارها من انضج ما كتب في النقد القصصي في الثلاثينات ، ولفترة طويلة بعدها ••• » •

ولا يذكر نقد القصة وتنسى مقالة لانور شاؤل في نقد قصة لمحمود احمد صدرت سنة ١٩٢٨ بعنوان « جلال خالد » ، فالمقالة وثيقة تضم الى وثائق محمود احمد وتكون واياها امرا حقيقيا من امور النقد الحديث ما كان ليكون حديثا دون اتصال بالادب الغربي ، ولكن انور شاؤل لم يواصل السير مع ما يسلك من لغة ، ومحمود احمد ادى اقصى ما يستطيع ان يؤديه رجل لم يمتلك اللغة مباشرة •••

ومن كان كمحمود احمد وفي بلد كالعراق فنه الاول ـ ان لم يكن الوحيد ـ الشعر ، لا يجد بدا من تناول الشعر والشعراء ، وقد فعل ، ولكن محمودا الذي احتفظ بتوازنه في نقد القصة فوفق بين حمل الرسالة الفكرية ورعاية الفن ••• لم يستطع في نقد الشعر ان يحتفظ بهذا التوازن ، فقد طغت الفكرة وضاع في خضمها الاهتمام بالشكل ، فهو لا يطالب الا بفكرة واحدة هي فكرته : « •• انني •• اتناول الفكرة من الشعر لا غلافها •• فان لم يكن للشاعر من مثل أعلى يطمح اليه في قصائده ، فهو ناظم او مسجل اراء لا أكثر ولا أقل » • كأنه يرى نفسه هنا ـ في نقد الشعر ـ إزاء اعلام بارزين ـ يكفي ان يكون بينهم الزهاوي ـ وانه يريد ان يغلبهم ، وبيده وسيلة لا يملكونها ولم يصلوا اليها ، لانهم لم يقتربوا من الفكر الماركسي ولم يقترب هذا الفكر منهم ••

ان في منطلق محمود احمد لنقد الشعر خطورة ، كأنها ـ في ظاهرها ـ من مستلزمات النقد العقائدي ... اما في الباطن ، فهي تقتضي من صاحبها رسوخا في الفكرة وهدوءا في الاعصاب وطولا في التأمل والممارسة واستماعا لنصائح الهداة المجربين ... وهذا ما لم يتهيأ لمحمود احمد ... ولا لكثيرين ممن جاءوا بعده وسلكوا سبيله .

اجل ستصبح « العقيدة » اساسا في النقد الادبي ... ويصبح « الادب للحياة » شعارا ... ولا يعني هذا ان محمود احمد هو الذي سيعمم هذا النقد ويشيع هذه الروح .. فقد ادرك محمودا الفتور ، وبدا السعي الى النقد العقيدي كأنه آت على انقطاع ، ومن جهات لم تكن على ارتباط وثيق بمحمود احمد السيد .

يصعب ان نجد بين رواد النقد العربي من ضرب على الاوتار التي ضرب عليها الرائد العراقي ، ويصعب ان يحتل النقد العقيدي من بلد عربي ما احتله من العراق .

١١-٦-١٩٧٤

الشعر •• وهل يموت ؟!

رأى أرسطو ان الشعر محاكاة والمحاكاة غريزة في الانسان • وليس بالمسألة حاجة الى أرسطو ، ولكننا اعتدنا الاستشهاد بالادمغة الكبيرة اكراما لها وتقوية لنا •• والا فالحال من البداهة بمكان •

الشعر فطرة ، ولازمة من لوازم الحياة ، ترتاح اليه النفس وتتخفف به وتوازن العناصر الاخرى داخلها وخارجها • ولم يكن هناك معلم او مدرسة حين كان الشعر الاول والشاعر الاول ، وحين استمر طويلا ، كان فلان دون قومه يقول الشعر فيستمعون اليه ويرددون وينشدون •• كأنه شعرهم وكأنه صدر عنهم •• لدى الدفاع ولدى الهجوم •• ولدى كل أمر ••

وأقل ما يعني هذا ، ان ما كان فطريا كان اصيلا في الانسان ، وما كان أصيلا اكتسب صفة الدوام ••• وقد يتعثر حينا ويضعف حينا ، الا انه ينهض ويقوى كأن لم يكن هو المسؤول وانما المسؤول ظروف خارجة عن طبيعته او انه المسؤول استدرك فأدرك ، فعاد هو هو ذهابا وايابا ، وقد تغير منه العرض ، والجوهر باق ، أجل ، لابد للانسان من شيء ، سمه ما شئت ، وسمه الشعر ان قصدت الى التيسير •

ثم ان الشاعر لا يغني لنفسه حتى حين يغني لها وحدها ، أي أن هناك طرفين « توصل » بينهما اللغة • هناك ثلاثة أشياء : مرسل ومتلق وسلك رابط ، ولابد من سلامة هذه العناصر مجتمعة لكي يكون الشعر في صحة ، وقد بدت ، منذ يومها الاول ، سليمة ، واستمرت طويلا كذلك ، ولهذا كان لها ما كان من شأن في المجتمعات والحضارات ، وربما استقل الشعر وحده بالدلالة على الحضارة •• حتى اذا اختل عنصر ، اختل الجهاز فتوقف شأن الشعر ، أو تلكأ وبدا كأن لا حاجة اليه ••• وما هي الا مدة ـ تقصر أو تطول ـ حتى يصلح الجهاز ويعود الشعر الى مكانه ويتضح للناس الخطأ فيما تصوروا •• ولكنه اذ يعود هذه المرة ، لا يعود كما كان في البداية ، منفردا ـ أو شبه منفرد ـ في الميدان ، لان من شأن الحضارة التعقيد والتعقد ، فهو

ـ اذن ـ واحد من اشياء أخرى لم تكن من قبل او لم تكن لها هذه المكانة ••• وهذه الاشياء الاخرى قريبة الصلة به متصلة بالمنبع الذي تنبثق منه ، وقد كانت معه على وجه من الوجوه ، وهو لا يعود نسخة لما كان ، فلا بد من تغير ما يتبع التغيرات الخارجية ويطاوعها ويستوعبها ، فما من طبيعة الاشياء ان يبقى كما هو ، ولو بقي لما حفل به احد •

ويبحث العلماء في الظواهر الاجتماعية ويحاولون ان يجدوا لها في ضعفها وقوتها اسبابا ، وفي الظواهر الاقتصادية كذلك •• وقد تكون الاسباب منفردة أو مجتمعة ، مقبولة أو أقرب الى المقبولة ، فهي تعمل ـ على أي حال ـ في مجال ممكن ، وملموس •••

ويبحثون في الظواهر غير المنظورة ، ومنها الشعر (والشاعرية) ، مرة في مجال غيبي ومرة في التحليل النفسي ومرة في علم الاجتماع ••• والاقتصاد ••• بين اقصى المثالية واقصى المادية ويقولون اشياء قد تقبل ولكنها لا تقنع ، بل انك تلاحظ التردد ـ والتناقض ـ على الاحكام التي يقدمونها اليك ، وقد يتضمن التردد او الحكم نوعا من الاعتذار بصعوبة الحقل المتناول •

ليس ازدهار الشعر كازدهار الصناعة والزراعة ، والصحة الجسمية والنفسية ،ولا تشترط مصاحبته لها انبثاقه عنها او انبثاقها عنه ، وليس القحط فيه كالقحط في المواد الغذائية • ولكن العقل الانساني ـ مع ذلك ـ لا يكل • فمن مزاياه المحاولة والدأب وقد يصل يوماما الى السبب او الأسباب• اما تشخيص الظاهرة نفسها فسهل وممكن ، لانها ـ في ابسط صفاتها ـ ظاهرة •

ازدهر الشعر العربي في الجاهلية ، واخرجت الجزيرة كبارا •• كل ذلك وهي في حالة جاهلية ، ولكنه قحط وقد توحد ابناؤها تحت لواء وخرجت من حدودها الضيقة الى ما هو اوسع واوسع •• ثم عاد وازدهر •• وعاد وقحط بعد المتنبي وازداد قحطا في القرون التالية ، اربعة قرون ، خمسة ، تسعة •• ولم يكن القحط في الكمية ، فقد كان العدد عديدا ، ولكن العديد لم يزيدوا

ـ لدى التحقيق ـ عن نظامين صغار ، فلماذا ؟ وفيهم العالم باللغة والعروض •• والتاريخ والفقه •• ان اي واحد منهم يملك من العلم ما لم يملكه أمرؤ القيس ••• فلماذا ؟

ـ لم ازدهر الشعر ؟ ولم قحط ؟

ـ يمكنك ان تذكر اسبابا كثيرة ، منها ما يتعلق بسعة مجال القول وضيقه ، ومنها ما يتعلق بالتشجيع والتثبيط ، ومنهـــا ما يتعلق بالظروف الاجتماعية •• وقد تقبل اسبابك ، ولكنها لا تقنع ، وقد تكون انت أول متشكك بها •

وما جرى للعرب جرى لغيرهم من فرنسيين وانكليز والمان ، لقد زاد الشعراء في فرنسة في القرن السابع عشر وجودوا ، ولم يبلغوا هذا المبلغ في القرن الثامن عشر ، واستأنفوا الجودة ، كما وكيفا في التاسع عشر • وقد تنوع الشعر خلال هذه الماجريات ، بل انه في القرن التاسع عشر نفسه رأى صورا لا تكاد تشبه الواحدة منها الاخرى من رومانتيكية الى پارناسية الى رمزية •• وقد بعد في كل ذلك كثيرا عما سمي بالكلاسيكية •

ـ لم هذا التغير ؟

ـ لان الاذواق تغيرت ، وحاجات العصر تغيرت ، والتاريخ تغير •

ـ الجواب مقبول •• ولكن لم يقحط الشعر حينا ويزدهر حينا ؟

ـ لابد من ان يرد ذلك الى قصور فيه عن مساوقة الذوق ، عن استعمال اللغة المناسبة التي تنقل ما في الطرف الاول من الجهاز الى الطرف الثاني •• وقد يكون الطرف الاول قاصرا في « موهبته » • او يكون الطرف الثاني في شغل شاغل ـ مؤقتا ـ عنه •• وقد تجتمع هذه « القصورات » وقد تفترق •• ويزيد الموقف تعقيدا خفاء « الموهبة » على مدى المعرفة •• فما هي ؟ وكيف تكون ؟ واين •• ومتى •• ولم نراها عند من لا يدل اي شيء فيه عليها ولا نراها عند من يسلك كل مظاهر امتلاكها ؟؟

ولابد من ان تكون هناك مواهب كبيرة ، ومواهب صغيرة ، ومواهب ليست مواهب •• وشاعر يدرك غور الظرف وشاعر لا يدرك ، وظـــروف معينة على الاستثمار وظروف معاكسة •••

ولا يوصلنا ـ هذا كله ـ الى جواب عن ازمة شعرية تقع لانه يعمم ولا يحدد ، ويعدد ولا يوحد ••

والعلم في بحث دائب ، وقد يصل ، قد •

ونعود الى ما نحن فيه واقرب اليه : الازمة ، وهل الشعر في ازمة ؟ وتعني الازمة ـ هنا ـ وجوهها المختلفة : القحط والرداءة في الموجود ، وانصراف الناس عن الموجود ••• وليس الامر مقصورا على أمة دون امة ؟ وقد مر الشعر الاوربي بذلك ••• في سنوات من القرن التاسع عشر •• وخيل الى الناس ، والى الباحثين ـ أن أمر الشعر قد انتهى ، فلم يعد له مكان في المجتمع ، ولا يهتم به الناس ، ولا يجدون اليه حاجة •• وما الحاجة اليه والعصر عصر علم وصناعة واختراعات ميكانيكية •• والشعر وسيلة بدائية ومظهر فطري •• وقد تعقدت الحياة وتحضر الناس ؟!

وكاد السامعون يستنيمون الى هذه النظرة ويستسلمون الى هذه المقولة، ولم يدر بخلد اصحابها ـ وفيهم علماء ومفـــكرون ـ شيء من الضلال في حكمهم ،ولم يمر ببالهم ان الامر سيتغير ، وسيولد من الشعراء من هم أكبر ممن رأوا ، ويولد من الشعر طراز ما كان من قبل •• وسيصغى الناس الى هذا الشعرون ويرون فيه كثيرا مما في انفسهم ويقبلون عليه •• وقد يصحب ذلك كفر بالآلة وبالعلم الصرف •

لم يدر ببالهم ••
ولكن هذا الذي حدث ••

واذن ، فليس عصر العلم نافيا للشعر ، وليس خمود الشعر ابديا ، انه خمود مؤقت وليس موتا ، انه ، توقف بانتظار الحركة •

وكان حريا بالناس ان يتخذوا عبرة مما جرى • والا يكرروا الحال ويعيدوا السقطة • فليست الازمة خالدة ، انها ازمة وليست موتا • ولكن العبرة لم تتمكن من النفوس ، أو ان الاجيال تنسى احيانا •• فما عادت المكتشفات العلمية والاختراعات الحديدية وغير الحديدية • والفلسفات الموغلة في العقل ، حتى بدأ قوم يتشككون في قيمة الشعر وصلاحه للحياة ، ويرون ان زمانه قد انتهى ، وانه ابن الجاهلية والبداوة ، ولا مكان له في القرن العشرين ، عصر الذرة والصاروخ والمشي على القمر •• وصاح صائح : اين الشعر اين ؟ ما باله قد اختفى ؟ لقد ثبت عجزه وتأيد انتهاؤه !

وصدق المقولة من صدق ، وكثير من الناس يصدقون آذانهم ولا سيما اذا كان الظرف مناسبا ، وتلفتوا فرأوا علما ولم يروا الشعر ، رأوا شواهق العمارات ولم يروا عوالي المعلقات ، وبرزت التكنولوجيا على انها نقيض الشعر وانها العامل في القضاء عليه •

وليس الرأي صحيحا ، لان الشعر لا يقتل ، ولكنه قد يضعف ، وقد يستهان به ، وقد تقل عوامل ازدهاره ••• ثم لا يلبث ان يعود ، اما لانه عرف الحياة الجديدة وعبر عنها واما لان الحياة الجديدة عرفته واصلحت شأنها •

ان العلوم ، والتكنولوجيا ، من مفاخر الانسان ، وما كان كذلك لا يقضي على مفاخر الانسان الاخرى وانما يؤيدها ويفسح لها المجال ويتكامل معها • وليست المسألة مناقضة بين طرفين وانما هي مسألة سوء فهم وسوء استعمال واختلال بالتوازن وتصرف غير مدني ، لان التصرف الصحيح ان يستغل الانسان كل شيء في سبيل سعادته أي سعادة مجتمعة ، في سبيل ان يخلص الحياة من الالام ويحيلها رخاء ، وبديهي جدا ، ان الحضارة ليست عمارات شاهقة ومكائن وطيارات وصواريخ ••• انها اذا ارادت ان تكون صحيحة راقية لائقة بما يراه الانسان لنفسه من عقل وعاطفة ••• تشترط التوازن ••• بل ان الانسان الذي يسيطر على الطبيعة بعقله ، يبقى لديه نقص لا يسده عقله ،

وفائض وقت هو والوقت الذي صرفه العقل سواء في القيمة ، انه يرى من تمام الحياة ومن تمام حاجاته ، وربما ابعد حاجاته : الفنون الجميلة ، ومن الفنون الجميلة الشعر ، ومن الفلاسفة من يعد الشعر قمة الفنون .

ان الانسان الذي يصارع يحتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الصراع ، فاذا نجح ، ويجب ان ينجح ، احتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الجمال ، بل انه لا يعود يكتفي بهذا الشعر الذي يسمعه من مواطنيه اليوم ، وانما يزيد عليه ما بقي في لغته على الزمان ، ثم لا يكتفي بهذا الذي في لغته ، وانما يتقصى الروائع مما جادت به قرائح الامم الاخرى ..

وهو اذ يقرأ او يسمع يحس بانه حفظ التوازن في الحياة وانه انسان فعـــلا .

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥

هل الشعر العربي في أزمة ؟

ان صيغة الاستفهام هذه واللهجة المنسابة في حروفها ، تقرير للازمة، أي ان الشعر العربي في أزمة ، وقد يكون ادق من ذلك أن تتذكر ان استعمالنا لكلمة ازمة هذه ترجمة لـ"Crise" وان كنا نملك حروف اللفظة من قبل ... وليس الشعر الذي هو في ازمة ، انه في رداءة ، في قحط الجودة ، انه من حيث الكمية كثير ، وربما كثير جدا ، وحسبك ما ترى منه في الجرائد والمجلات ... والكتب ... والدواوين الصادرة فرادى وثنى في كل قطر من بلاد العرب ... وفيها الشعر العمودي التقليدي ، والحر ، والنثر ، تبحث فيه عن قصيدة تعجبك فتدهشك فلا تكاد ترى ، ولا ترى ... ولتكن بعد ذلك ، من أي نمط يتعصب له صاحبه اقصى التعصب ويناقش ويطيل النقاش كأنه الغاية ، وكأن المهم ان تكون القصيدة عمودية او حرة او نثرا ... وليس المهم ان تكون شعرا .

ولابد من ان يكون الدافع وراء الجدل هو قحط الجـــودة ، والا فيستطيع أي مناقش ان يقدم لك ـ عوضا عن الاطالة والغضب والتعصب ـ نتاجه ، ويقول هاك اقرأ ، فتقرأ ، فتقول ، انه الشعر روحا وقوة وصورة وأثرا وتأثيرا ، ان لك لموهبة ! ومن قال ان الشعر في ازمة !

اجل ، ولكن هذا لم يتهيأ ، وان ما يقذف به الشعراء من كل نوع ومن كل قطر ، الفاظ ، الفاظ جوف يريدها اصحابها ان تكون ذات معنى وان يكون المعنى مبتكرا ، جديدا لم يسبق . فصاحب الشعر العمودي يرى انه استأنف المتنبي ، ولولا قليل من الحياء لزاد في القول ، وصاحب الشعر الحر يرى انه استأنف الشعر كله .. ولكنك اذا فتشت وراء هذا وذاك لم تجد طائلا ،

فلا العمودي كالعمودي ولا الحر كالحر . لقد استحال العمودي كلاما منتظما على بحر وقافية ، وقد تطول القصيدة وتطول دون ان تكون شعرا ، وليس هذا بالقليل كمية في مصر وسورية ولبنان والعراق وكل مكان .. ولكن جعجعة الجدل حالت دون سماعه وشدة الهزال عرضت دون رؤيته .

ولو سكت هؤلاء لوفروا علينا الحبر والورق ... والوقت ، ولكنهم لم يسكتوا لانهم يبحثون عن سند لوجودهم وعن مسوغ لكيانهم ، ومنهم من يحقق بهذا الشعر الذي ليس شعرا مكاسب جمة ، مادية ومعنوية . وهذا هو العيب في الشعر العمودي ، انه نظم ، وليس هو في ازمة من حيث هو وزن وقافية ، ومن حيث هو كمية .. انه في بحبوحة من ذلك ، ولكنه في ازمة الجودة والابداع ، وقد يكون الانسب ان نقول ان الشاعر العمودي في ازمة، أجل ، فهو المتأزم ، ولم يأت تأزمه من حالة نفسية تحتويه ويريد ان يعرب عنهـا ، فتلك ازمة بناءة تؤدي الى الشعر لدى انفراجها .. او ان الشعر الصحيح يؤدي الى انفراجها ، ولكنها ازمة الموهبة فيه ، فهو لا يملك الاساس الفطري للمجد الذي يتصدى له ، ولا يملك القابلية على استيعاب نفسه وعصره ليصل الى نفوس الاخرين وينفذ الى قلوبهم وعقولهم . وتعني الازمة هنا القحط ، الجدب . واذا اجدب امرؤ من الموهبة كان نتاجه الجفاف والموت ، وايذاء اسماع الاخرين وابصارهم ، ويذهب الجوهر ولا يخلف غير الادعاء ، والتنقل بالادعاء من ميدان الى ميدان ، من ميدان الشعر الى ميدان الجدل بين العمودي والحر ، الى ميدان مهاجمة النقاد ... والاذواق ، والناس الذين لا يقدرون الشعر !

وليس الشاعر ، اي الذي يعرض نفسه في الناس ، في المؤتمرات ... على انه شاعر بالغبي ، وانما هو المتغابي الذي يريد ان يصطاد وبكل سبب . ولو وجدت الموهبة لاصطاد بها ، ولكنه اذ فقدها تسلح بالهواء ، وجيش

جيوشا وهمية وشن غارات مجانية ، مرة على الاذواق التي فسدت ، ومرة على النقاد الذين لا يعرفون قدره ، ومرة على العصر المتأخر ، الحقير ، عصر المادة والتكالب الذي تضيع في خصمه المثل العليا ...

ويعود لينظم ، وهنا يرى نفسه في « مـرآه الغريبة » فيراها كما هي عاجزة عن النظم ، مجردة من الموهبة ، يحاول فلا يستطيع ، يهم فيتقهقر ، ويكون الناتج بعد الجهد الجهيد : قصيدة طويلة من البحر الطويل والقافية الطويلة ... وكل شيء غير الشعر والشاعرية فيزداد تأزما ... وحقدا .. ويلج بصعود المنابر وتصدر المهرجانات ..

هذه هي الحقيقة يا شعراء العمود ، ليس العيب في العمود او في الناس والعصر ، انه فيكم ، ولو كان منكم من هو على قدر شوقي ووزن الجواهري لكان فوق الازمة ولفرض شعره على الرائح والغادي ، القديم والحديث ، وليست المسألة فرضا قدر ما هي استجابة وحاجة .

ومشكلة اصحاب الشعر الحر ، ليست في انهم تحرروا من بحور الخليل والقافية ، لقد تحرروا فسودوا الجرائد والمجلات ودونوا الدواوين وجلدوا الكتب ، فما دلوا على الموهبة ولا قدموا للعصر الشعر ، فلاذوا بالنقاش ، بالمعركة ، بنقل الموضوع من ميدان الى ميدان . من الموهبة والابداع الى الصراع بين القديم والجديد ، الى الهجوم على الخليل ، والنقاد ، والاذواق ... ولو كانوا صريحين لكانوا ـ كما هم ازاء المرآة المجلوة ـ قحطا في الموهبـة وغزارة في النتائج ، ولا قيمة للثاني اذا كان الاول ... يعرفونها خيرا من غيرهم ، ولكن المسألة مسألة تشبث بالوجود ، فاذا كانت وراء هذا التشبث نتيجة ملموسة ، ايده من ايده ممن لا يدري جوهر الشـــعر ، ومن يطبل بالتجديد للتجديد ليتميز عن أهل القديم ، ثم ما الذي يميز الجديد ؟ الغموض فخذوا الغموض ، الصور العائمة ، التعبيرات الغائمة ، الظهور بمظهر الغربي، الاساطير والرموز ، التمثيل لدى الالقاء ، الكسموبولتيه ... البحث عن رئيس تحرير يريد ان يروج لمجلته بشيء .. الجرأة ان لزمت الجرأة ، الضعف ان استدعى الامر ضعفا ... خذوا الصور الغائمة ... وخذوا ...

وهذه كلها خارجة عن طبيعة العمل ، والشعر كثير ، وأكثر من المطلوب ، ولكنه مصاب بقحط الجودة ، وهذه الرداءة هي السر في الكساد ، وهم يعرفون ذلك ، ولكن الدهاء يقتضي المغالطة واشعال المعركة تغطية للحقيقة وكسبا للانصار ، والا فان القصيدة الجيدة تفرض نفسها ، ويعجب بها القارىء قبل ان تكون عمودية او حرة او نثرية ، وليس الشعر الشعر مما يخفى على الناس وعلى النقاد ، والشعراء انفسهم يعرفون ذلك جيدا لانهم هم انفسهم الذين يعانون الازمة . ومن كان كذلك فر من الحقيقة الى الباطل وزاد من نسب المساحيق ليتهم بالمساحيق ، ولو جاءوا بالشعر الجيد لوجدوا القراء ... والمعجبين . ألم يكن السياب جديدا ؟

ما اشبه الشعر الجديد بالشعر القديم من حيث جدب المواهب ونضوب الابداع ، وظاهر الحال في هذا يدعو الى اتفاق الطرفين لان قضيتهم واحدة ، والازمة واحدة ، ولكن واقعها لم يؤد الى هذا الاتفاق لانه يضر المعنيين به ، ولانه يقتضي ان يتفقوا على التصريح بالحقيقة والقاء السلاح واراحة القراء بانتظار من يدخل الساحة دخولا طبيعيا مزودا بالموهبة والمؤهلات الاخرى ، فيقول الشعر الشعر ، فيسمعه السامع فيتبعه ويبحث عن قصائده لانه شاعر ولانه استوعب العصر .. ويمكن بعد ذلك ان يصدق كل ما يقوله عن نفسه، وأكبر الظن انه لن يحتاج الى الكذب واللغط ، ولن يحتدم في صراع .

وحتى يولد هذا الشاعر ... فالشعراء في ازمة ... واشتدي ازمة تنفرجي .

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦

هل يلغي النقد بعضه بعضاً

لا ، لا يلغي ، والا فقد قيمته واضاع وجوده واستحال ضربا من الهزل واللعب والعبث ، ولأضربت عنه البشرية مبكرا وبحثت عن بديل قبل ان يستقر وتكون له المكانة التي يعترف بها العقل وتوثقها الحضارة .

اتريد ان نبدأ بالواقع الراهن ، وهو ما ترى للنقد في الصحافة والمنتديات والجمعيات ... والكتب وأروقة الجامعات ، وما ترى من توطد وتنوع وسعة ، وما ترى من خدمات للقارىء والكاتب والنص نفسه ؟

أم نبدأ بالبداية ، ولو لم يكن النقد في الصميم من الكيان الانساني لما بدأ معه ، ولما استمر ، ولما تميز صاحبه من بين العشرات ثم الالوف ثم الملايين ... بالحس المرهف والذوق المهذب والنباهة والخفة في الحكم والاختيار والتمييز ، ثم سارت القافلة فكان تاريخ حافل بالثمار والنتاج والاقلام والاذهان .. هو في الوقت نفسه تاريخ للذوق الانساني في سيره وتطوره وتمكنه .

تقول : انك من حسن الظن كمن يدافع عن قضيته ، والا فاين انت مما وقع فيه النقاد من تناقض ؟ اين انت من ناقد يعجب وناقد يزعج والنص واحد والشاعر واحد ؟ اين انت من زمان بالغ في قصيدة فحفظها واستعادها وغبر يقرأ ويسمع ويشرح ثم لم تلبث القصيدة ان اندثرت وكأنها لم تكن ، يقرأها زمن آخر فلا تثير فيه حسا ، واذا اثارت فهو الاشمئزاز والعجب من سلف لم يكن له ميزان ؟ اين انت من قصة مبدعة لم تلق الاهتمام اللازم والحظوة الكافية ثم أتى زمان رأى فيها الرأي الصحيح فرفعها ورفع صاحبها ؟

وقولك صحيح ، فلقد وقع ذلك يوم كان المظهر النقدي يصدر عن هوى شخصي وحاجة آنية ولدى تولي أمور النقد من لم يكن في كيانه ما يدرك

به سر الابداع ولم يكن في هدفه الاخلاص لوجه الحقيقة ••• وقد جرت الامور خارج الصميم •

وفرق بين ما كان ويكون ، ولا يشذ النقد في هذا عن أية ظاهرة من النشاط الانساني ، وليس العيب في النقد ، وانما هو في المتصدين للنقد ، في الظروف الخارجية المتحكمة بهم وفرضتهم يقدمون ويؤخرون ويحلون ويحرمون ••• ولو كانوا اهلا للمهمة لادوها صحيحة تسند ما سبقها ويسندها ما لحقها ••• في أية صورة كانت من الايجاز والاطناب ، من الحكم والتعليل ••• وفرق بين ان نعزو الخطأ الى المتصدي وبين ان نعزوه الى النقد نفسه !•

ما بالنا نقف عند أمثلة من التضارب والتناقض « والتلاغي » ولا نقف عند أمثلة من الانسجام والتعاضد والتآزر ، وهي قائمة بل كثيرة تكفي فيها نظرة الى الادب العربي ، نظرة الى الشعر الجاهلي • الم تكن « قفا نبك » و « أمن أم أوفى » و « عفت الديار » و « لخولة اطلال » و «هل غادر الشعراء» ••• رائعات برأي الناقد الجاهلي ، وكانت كذلك على مر العصور وما زالت طرية يؤيد حكم المعاصر فيها حكم الغابرين ويجد في مطاويها طريفا يزيده على تليـــــده •

وجرير والفرزدق والاخطل ؟ اما كانوا كبارا في عصرهم ؟ واذا اختلف الناس في التفاضيل بينهم فانهم لم يختلفوا في التكامل •

وبشار وابو نواس ؟ اليسا شاعرين كبيرين برأي الناقد المعاصر ؟ ألم يكونا كذلك قبل اليوم ؟ الم يعترف بهما عصرهما ويحلهما مكانا عليا ••• وان قلل من قلل من شأنهما فلغرض في نفسه ولسبب خارج عن طبيعة الشعر وبعملية ليست من العملية النقدية •

وكانت أقرب الوسائل الى الادب في محاربتهما : اللغة • ان لغتهما ليست قديمة ، وشعرهما ليس مما يستشهد به • فهل هذه حجة ؟ أشرط في شـــعر القرن الثاني الهجري ان ينظم بلغة ابن القرن الثاني قبل الهجرة ؟ أينظم شعر

ليستشهد بلغته على لغة عصور سابقة ؟ ما اسرع ما سقطت الحجة وعلا الشاعران فكانا في الرأس من المحدثين وصار للمحدثين كيان يبقى على الزمن والى اليوم .. ويجد الناقد في كل نظرة مادة معاصرة اجتازت الدهور واخترقت الحجب.

وابو تمام ؟ كم لقي من المزعجين ؟ لقي الكثير . وكنت اود ان تحدثني عمن لقي من المحبين ، ولا اخالك تجهل انه لقي منهم الكثير الكثير ، واذا كان رأي المحبين مناقضا لرأي الكارهين فان ذلك يعني ان المعجبين كانوا يملكون خميرة الناقد وكانوا نقادا ، اما الكارهون فلم يكونوا من النقاد في شيء ولم تكن منطلقاتهم نقدية ، ويكون التناقض في هذا طبيعيا وضروريا وحكاية ابـــن الاعرابي ذات الف دلالة .

والمتنبي ؟ لا تنكر انه لقي المكانة العليا في زمانه ، ولم يلق ذلك عبثا ، ولكنك لا تنكر انه لقي العنت الكبير ، ولقي المؤامرات وتقديم الدون عليه. فلم تريد ان تفهم من هذا تناقضا في الحكم النقدي ، ودليلا على أن النقـد يلغي بعضه بعضا ؟ اذا فهمت ذلك واصررت عليه فما انت بصاحبي . وان كنت ترى المعجبين نقادا وغير المعجبين غير نقاد فانت اخي وصديقي ... ولنتذكر معا ان بين الكثيرين الذين اعتنوا ابا الطيب من لم يكن جاهلا قدر شعره وصحته وعمقه وإبداعه ، وانما كان يضيق به لانه يعرف القدر جيدا ، ولكن عوامل جمة منها الحسد وحب الذات والهوى تجعله يرى الاشياء على غـــير حقيقتها او يذيعها على خلاف ما يعرف من حقيقتها ، فيشغل الناس عن صميم الشعور بأمور عابرة يراها مرة في حياة المتنبي ومرة في سلوكه ومرة في لفظة لا يرتضيها ومعنى لا يروق له ، وما هذا من صميم النقد . وما الصاحب بن عباد بناقد للمتنبي . واذا بدا كارهو المتنبي على نقيض من محبيه فذلك الدليل على أن النقد لا يلغي بعضه بعضا وانما النقد الصحيح يطرد ما ليس بنقد .

وهكذا مضى الزمن ، ومضت معه الاحقاد والصغائر والطوارىء ، وبقي الطيب وأبو الطيب ، يؤيد فيه النقد الجديد النقد القديم ويزيد كل عصر درجة في العمق ودرجة في العلو .

اليس هذا تماسكا وتآزرا وتعاضدا ••• وكان من ثمرة ذلك هـــذا الاجماع على خوالد التراث العربي •

ومثل خوالدنا العربية ما وصل الينا من ماضينا السحيق ، اتريـــد أن اذكرك بكلكامش ؟ لا • انك في غنى عن هذا . لانك تعلم انها ثمرة ناضجة في عصرها ، ارتضاها النقد القديم جدا واعزها ، ثم غطت عليها السنون وطمرتها الاتربة ، ثم اكتشفها الانسان الجديد • ولم لا يكون هذا المكتشف ناقدا ؟ وليكن الذي اكتشفها في الاثار آثاريا ، وليكن الذي استنبط منها مواد حضارية باحثا حضاريا ••• ولكن الذي اعجب بها ناقد ، والذي قرأها فهام بها على أنها أثر فني ناقد •

وها نحن نقرؤها ـ في ترجمة الاستاذ طه باقر ـ وكأنها كتبت اليوم في عبقرية معاصرة ، ولا يمكنك ان تلغي فيها رأيا قديما او تنقض رأيا غريبا • فاذا لم يكن هذا دليلا على أن النقد لا يلغي بعضه بعضا فماذا يكون ؟!•

ولا يجهل احد الالياذة ، ولا يجهل المسرحيات الاغريقية ، ولا يجهـل الروائع من كل عصر •• وقد قال النقد في هذه كلها كلمته • لقد هام الاغريق بالالياذة بمن فيهم افلاطون • ولم يحاربها افلاطون نكرانا لعظمتها ولكنه اعتمد في الحرب مقياسا غير المقياس المناسب ، واذا الغى بحكمه حكما سابقا فانما الغى نفسه ، ولا ادل على ذلك من ذهاب رأيه ادراج الرياح اي انه لم يكن ناقدا اذ نقض وتناقض •••

لقد هام الاغريق بمسرح اسخيلوس وسوفوكليس واضرابهما • الم يكن هيامهم نقدا ؟ وتعلم ان للاغريق لجانا تحكم فيما يقدم من مسرحيات ، فتكون هذه الاولى وتكون لها الجائزة ، وينال اسخيلوس الجائزة اكثر من مرة وينالها كذلك سوفوكليس ويوربيديس وارستوفانيس ••• اليست هذه اللجنة ناقدة ويلتقي حكمها مع حكم الشعب ثم مع حكم ارسطو وهوراس والزمن • وها نحن اليوم بعد مر القرون والقرون نقرؤها وتترجمها ونمثلها ونعجب بها في

كل حال الا يكون دليلا على التآزر وعلى ان النقد لا ينقض نفسه اذا كان قائما على أساس صحيح ؟

وتقول : ان القرون المتوسطة اضربت عن المسرح الاغريقي • ولا اقول : لا ، لان الاضراب حقيقة ، ولكن الحقيقة الاخرى ، الاكبر ، هي ان القرون المتوسطة ليست قرون نقد • انها لم تقرأ النصوص الاغريقية ولم يسمح لها بالوقوف عليها ، وهذا وحده يكفي لاسقاط نقدها من مسيرة الاحكام على النص الاغريقي •• لقد حكمت القرون المتوسطة بالنص ما ليس منه ، وحكمت على غائب ، وتابع المتابعون جهلا او خوفا او طمعا ••• على غياب من النقد والقوة الناقدة ••• ثم استيقظ النقد وأعلى من مكان المسرحية الاغريقية ، وعد رجوع الحق الى نصابه دليل نهضة انسانية كبيرة وعامل نهضة ••• ومضى الامر قدما منذ القرن الخامس عشر في ايطاليا وفرنسا وغيرهما •• وحتى يومنا هذا في العالم كله ••• فأيد الحاضر الماضي وشد من بنيانه وزاده عمقا الى عمق ووجد فيه ما خفي حتى على عارفي فضله •

اتريد امثلة أخرى ؟ انك أكثر ذكاء وأكثر علما ، ولكنه سؤال سألته استثارة حينا ، وخضوعا لما ترى من واقع خطأ حينا ، والتناقض الذي تراه طبيعي كما هو في كل ظاهرة عقلية ، ولكنه لا يعزى الى النقد وانما يعزى الى دخول – او تدخل – ما هو خارج عن طبيعة النص الادبي وخارج على طبيعة النقد الادبي ، ولا بد من ان يزول الدخيل وتظهر الحقيقة ، وهل هناك حقيقة أجلى من ان شكسبير لم يقدر في زمانه ، وقدم عليه من دونه ، وليكن ، فأقل ما يقال في ذلك ان الناقد لم يكن متوافرا في عصره ، ويكفي في هذا الذي يتصدى لشكسبير ان يكون قليل الذوق ، ضعيف الشخصية خاضعا للتقاليد والحكم السائد ، مقيدا نفسه بالقواعد ، وأية قواعد ؟ ينسبها الى ارسطو ويتمسك بها أكثر من أرسطو ، ولو كان أرسطو في عصر شكسبير لرأى فيه الرأي الحسن ولاستنبط منه قواعد وقوانين ، ولحماه من سدود لا تحتملها العبقرية •

وما هي الا ان عاد الى شكسبير حقه واستعاد مكانه ، وتسابق اليه الالمان

والفرنسيون ، وتنبه الانكليز الى خطئهم ، فاذا الاحكام الصحيحة يؤيد بعضها بعضا •

وكان كورني شاعرا كبيرا وكانت « السيد » مسرحية شعرية كبيرة ، ومع هذا ، ولهذا ، قامت القيامة عليها وعلى صاحبها ، ورميت بالاخفاق ورمي صاحبها بالضعف ، وكاد يرى نفسه وحيدا في الميدان ازاء باطل يلبس لباس النقد ، ويحاسب الرجل بما هو ليس من النبوغ ، ويطلب في « السيد » ماليس فيها ، وكان يكفيه ظلما له وللنقد ان يكون وراء الحملة الظالمة أقوى رجل في الدولة ، وهو الذي يعيش على مائدته الكثيرون ، بل هو صانع الاكاديمية الفرنسية ••• الا وهو الكاردنال الوزير : رشيليه الذي يحتجن غيظا على من ينجح من الادباء لاخفاق ادبي قديم سحقه ••• ووجد المرجفون المتآمرون الحاقدون حججا يروجون بها لسوقهم ، لها ظاهر من النقد وليس لها باطن ، لها قشر وما لها لباب ، هي احكام جاهزة لم تصنع للسيد •••

وتمضي سنون واذا الساقطون هم والناجح كورني • ولم يكن في الامر تناقض بين نقد ونقد ، ولكنه تناقض بين من لم يكن ناقدا او لم يحتكم الى النقد الصحيح وبين من كان ناقدا واجه النص بقلب سليم •

الامثلة كثيرة ••

تضيف اليها أمثلة كثيرة مما قال النقد كلمته فيها ومضت صحيحة على العصور ، وتزداد مع مضيها قوة وعمقا ••• ومن هذه الكلمات ما حكمت بالجودة فأصابت ،ولا يقل عنها عددا وشأنا كلمات حكمت بالرداءة فاصمت •

لا يعود سبب التناقض ـ اذن ـ ونقولها مرة اخيرة ، الى النقد ، وانما يعود الى ما ليس من النقد والى من لم يكن ناقدا او كان ناقدا مغلوبا على أمره • والا فالمفروض في النقد الحقيقي الا يلغي بعضه بعضا • ولم تعد المسألة مسألة « مفروض » بعد ان صارت واقعا تؤيده الادلة ـ ووراء هذا الواقع مسؤولية كبيرة ادركتها امم سبقتنا ، وبقي علينا ان نلحق وان نتصدر ـ وذلك آت •

آب (أغسطس) ١٩٧٦

الفهرست

تصميم الغـــلاف : نضـــال الأغـــا
التصميم الداخلـي : احمـد ســالم
الخطـــــــوط : خالـد الخالدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٤١٨ لسـنة ١٩٧٧

دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧ م

الجمهورية العراقية
وزارة الإعلام
بغداد

السعر : ٢٥٠ فلساً

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغداد

السعر ٢٥٠ فلساً

توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان

دار الحرية للطباعة
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م